to:
WWW.AL-MOSTAFA.COM

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد ، أذن الخير التى استقبلت آخر إرسال السماء لهدى الأرض ولسان الصدق الذى بلغ عن الحق مراده من الخلق وعلى آله وصحبه دعاة الحق وسادة الخلق [1] وبعد.

فإن الصلاة هى عمود الدين [2] ، ونور المؤمنين [3] ، وهى الصلة بين العبد وربه ، وهى الفارقة بين الكفر والإيمان ، فقد أخرج مسلم فى صحيحه [٨٢/١٣٤] عن جابر رضى الله تعالى عنه قال : « سمعت النبى ﷺ يقول بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » .

وهى أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة ، فقد روى الترمذى وصححه الألبانى [١١٧٢/١٤٢٥] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال :

سمعت رسول الله ﷺ « إن أول ما يحاسب به العبد المسلم يوم القيامة الصلاة المكتوبة فإن أتمها وإلا قيل انظروا هل له من تطوع فإن كان له تطوع أكملت الفريضة من تطوعه ، ثم يفعل بسائر الأعمال المفروضة مثل ذلك » .

---

(١) كان الشيخ دائما يحب أن يستفتح بهذه المقدمة .

(٢) جاء فى وصية الإمام على رضى الله تعالى عنه لما طعنه عدو الله ابن ملجم . فقال رضى الله تعالى عنه : « .. ثم أوصيكم يا حسن ويا حسين ، وجميع أهلى وولدى ومن بلغه كتابى » إلى أن قال : « والله الله فى الصلاة فإنها عمود دينكم .. » .
رواه الطبرانى فى الكبير [١٦٨/٩٧/١] .

(٣) روى الامام أحمد فى المسند [١٦٩/٢] عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه أن النبى ﷺ ذكر الصلاة يوما فقال : « من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع قاروق وهامان وأبى بن خلف » وحسنه الأرناؤوط .

حضور القلب الذى هو لُبها ، فصار العبد إذا دخل فيها : استشعر دخوله على ربه ، ووقوفه بين يديه موقف العبد المتأدب مع سيده ، مستحضرًا لكل ما يقوله وما يفعله ، مستغرقًا بمناجاة ربه ودعائه .

وهذا الحضور على هذا النحو يوجد للعبد فى قلبه وصفًا وداعيًا يدعوه إلى امتثال أوامر ربه واجتناب نواهيه .

ولأهمية الصلاة وعلو مكانتها بين أركان الإسلام فقد فرضت بالأمر المباشرمن اللّه تعالى لرسوله ﷺ فى رحلة المعراج عند سدرة المنتهى حيث تأخر جبريل عليه السلام وتقدم النبى ﷺ واقترب : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝ ﴾ [النجم] .

ولما كان ذلك كذلك شمر الباحثون بمركز التراث لخدمة الكتاب والسنة عن ساعد الجد وغاصوا فى بحور خواطر الشيخ الإمام لاستخراج اللآلئ والدرر من بين سطوره وثناياه ، وضبطوا آياته وخرجوا أحاديثه ، وشرحوا غريبه وفصلوا مجمله ، وزادوا على فوائده من جنس ما يحبه الشيخ ويرضاه من كتب العلماء والفقهاء .

واللّه تعالى أسأل أن يجعله فى ميزان حسنات شيخنا الجليل ، وأن ينفع به أحبابه ومريديه وعامة المسلمين . إنه سبحانه سميع قريب مجيب .

رمضان ١٤٢٠ هـ

ديسمبر ١٩٩٩ م

عبد اللّه حجاج

فى حديث الإسراء والمعراج : ثم علا به - أى النبى ﷺ - فوق ذلك بما لا يعلمه إلا اللّه حتى جاء إلى سدرة المنتهى ، ودَنَا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى اللّه فيما أوحى خمسين صلاة على أُمتك كل يوم وليلة ، ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال : يا محمد ماذا عهد إليك ربك ؟ قال : عهد إلى خمسين صلاة كل يوم وليلة ، قال : إن أُمتك لا تستطيع ذلك ، فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم ، فالتفت النبى ﷺ إلى جبريل كأنه يستشيره فى ذلك فأشار إليه جبريل أن نعم إن شئت ، فعلا به إلى الجبار فقال وهو مكانه : يا رب خفف عنا ، فإن أمتى لا تستطيع هذا ، فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع إلى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات ، ثم احتبسه موسى عند الخمس ، فقال : يا محمد واللّه لقد راودت بنى إسرائيل قومى على أدنى من هذا ، فضعُفُوا فتركوه فأُمتك أضعف أجسادًا وقلوبًا وأبدانًا وأبصارًا وأسماعًا ، فارجع فليخفف عنك ربك وكل ذلك يلتفت النبى ﷺ إلى جبريل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة فقال : يا رب إن أُمتى ضعفاء أجسادُهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم فخفف عنا ؟ فقال الجبار : يا محمد ، قال : لبيك وسعديك قال : إنه لا يبدل القول لدى كما فرضت عليك فى أُم الكتاب قال : فكل حسنة بعشر أمثالها فهى خمسون فى أُم الكتاب ، وهى خمس عليك ، فرجع إلى موسى فقال : كيف فعلت ؟ فقال : خفف عنا أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها قال موسى : قَدْ واللّه راودت بنى إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه ، ارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضًا قال رسول اللّه ﷺ : قد واللّه استحييت من ربى مما اختلفت إليه قال : فاهبط بسم اللّه ، قال : واستيقظ وهو فى المسجد الحرام .

وربما يتبادر إلى أذهاننا جميعاً تساؤل وهو : إذا كانت الصلاة قد فرضت فى المعراج ، وهذه المرائى قد رآها رسول الله ﷺ ، قبل أن تفرض الصلاة على أمته . والتساؤل نفسه يمكن أن يكون مطروحا بالنسبة لآكل الربا ، وآكل مال اليتامى ، فلماذا لم يفرضا وقتها ؟! والصورة الأخرى التى تدل على تشريعات اجتماعية ، فى المجتمع الإسلامي ، لم تكن قد فرضت بعد ؛لأن كل التشريعات فرضت بعد ذلك فى المدينة المنورة بعد الهجرة ، ولكن سنجتزئ بالمثال الخاص بالصلاة ، لماذا ؟ لأن كل التكاليف والأوامر فى الإسلام إنما كانت بوحى من الله تبارك وتعالى إلى رسوله ﷺ عن طريق جبريل عليه السلام ، لكن للصلاة منزلة خاصة ، فهى لم تفرض عن طريق جبريل ، وكانت هى العبادة الوحيدة التى فرضها الله مباشرة على رسوله ﷺ .

وأما مسألة المرائى التى أُرِيَها رسول الله ﷺ ، لأمور لم تكن قد شرعت فى الإسلام ؛ لأن تشريعها سيتأخر ، فالعلم عند الله سبحانه وتعالى فى المسائل ليس مترتبًا ، بأن يعلم شيئا يقع أولا ، وبعد ذلك شيء يقع ثانيًا .

وإنما كل الكون ، بما كان وسيكون ، معلوم لله سبحانه وتعالى وحدة واحدة حتى قبل أن يكون ، فهو سبحانه وتعالى خالقه وموجده بما فيه - وكأن الحق سبحانه وتعالى أمد رسوله ﷺ بنهايات هذه الأشياء ، حتى إذا ما أنزل تكليفًا ، أقبل الناس عليه بجد واجتهاد مستسلمين مذعنين ، لماذا ؟ ؛ لأنهم علموا مسبقًا ، ماذا يكون جزاء من يخالف منهج الله سبحانه وتعالى .

إذن .. علم الله تعالى فى التكليف ، وعلم الله تعالى فى الجزاء ، لا ترتيب فيه أبدًا كطريقتنا ، بل كل شيء عند الله هو هو[1] . فهو سبحانه خالق التكليف ،

(١) قال الإمام أبو بكر بن خزيمة فى باب ذكر إثبات العلم لله جل وعلا : تباركت أسماؤه وجل ثناؤه ، بالوحى المنزل على النبى المصطفى ﷺ الذى يقرأ فى المحاريب والكتاتيب من العلم الذى هو من علم العام ، لا بنقل الأخبار التى هى من نقل علم الخاص ، ضد =

وخالق الجزاء . فإذا كان الله تعالى قد عرض لنا صورة لشيء سيكلّفنا به فيما بعد ؛ فلأن الواقع فى الجزاء عنده ، هو هذا ، ولن يتغير ولن يتجدد فيه شيء آخر أبدًا . ولذلك يجب أن نفطن إلى أن الله سبحانه وتعالى حينما يتكلم عن أمر مستقبلي ، يتكلم عنه لا بصفة الاستقبالية ، فصفة الاستقبالية يأخذها البشر بزمانهم فقط . أما بالنسبة للحق سبحانه وتعالى ، فلا استقبال ولا حال ولا ماضي ؛ لذلك نجد هذا واضحا فى قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ لو أن

= قول الجهمية المعطلة الذين لا يؤمنون بكتاب الله ، ويحرفون الكلم عن مواضعه ، تشبها باليهود - ينكرون أن لله علما ، يزعمون أنهم يقولون أن الله هو العالم ، وينكرون أن لله علمًا مضافًا إليه من صفات الذات .

قال الله جل وعلا فى محكم تنزيله : ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ﴾ [النساء : ١٦٦] وقال عز وجل : ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ ﴾ [هود : ١٤] .

فأعلمنا الله أنه أنزل القرآن بعلمه ، وخبرنا جل ثناؤه أن أنثى لا تحمل ولا تضع إلا بعلمه ، فأضاف الله جل وعلا إلى نفسه العلم .

فكفرت الجهمية وأنكرت أن يكون لخالقنا علم مضاف إليه من صفات الذات ، تعالى الله عما يقول الطاعنون فى علم الله علوًا كبيرًا ، فيقال لهم : خبرونا عمن هو عالم بالأشياء كلها ، أله علم أم لا ؟ فإن قال : الله يعلم السر والنجوى وأخفى وهو بكل شيء عليم ، أله علم أم لا علم له ؟ فلا جواب لهم لهذا السؤال إلا الهرب ، ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] .

كتاب التوحيد [١/٢٢،٢٣] .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله ، لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ، ولا يعلم ما فى غدٍ إلا الله ، ولا يعلم متى يأتى المطر أحد إلا الله ، ولا تدرى نفس بأى أرض تموت إلا الله ، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله » .

أخرجه البخارى [٧٣٧٩] .

هذا الكلام من عند غير اللّه سبحانه وتعالى ، لقلنا : كيف يقول : ﴿ أَتَىٰٓ ﴾ وبعد ذلك يقول : ﴿ تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ ، وهل نستعجل إلا ما لم يأتِ ؟

اللّه تبارك وتعالى حين يقول : ﴿ أَتَىٰٓ ﴾ فى أمر ما ، يأتى أو سيأتي ، فهو آتٍ لا محالة ، فلا زمن عند اللّه تعالى ، فكذلك هذه الأشياء وإن كانت ستأتى بعد ذلك ، والمخالفون سيأتون بعد ذلك ، إلا أن اللّه أعد لهم ذلك الجزاء ، وإن كان قبل أن يوجد التكليف لعلمه سبحانه بما كان وسيكون .

أما مسألة الصلاة : فهنا بحث يجب أن نبحثه ، وهو أنه وردت الأحاديث الصحيحة بأن رسول اللّه ﷺ صلّى إماماً بالأنبياء فى بيت المقدس ، قبل أن يُعرج به إلى السماء . والصلاة فرضت بعد العروج ؟ فنقول لهم : نعم ، الصلاة على هيئتها الحالية ؛ فرضت فى رحلة المعراج . أما الصلاة كصلاة فهى موجودة فى كل رسالة ، وعند أتباع كل رسول . ولذلك فالحق سبحانه وتعالى يقول لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام : ﴿ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ .

وأيضاً فى سورة آل عمران : ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٣] .

وفى آية أخرى : ﴿ رَبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [إبراهيم : ٣٧] .

إذن .. فهناك ركوع وهناك سجود ، من يوم أن خلق اللّه الأرض ، ومن يوم أن جعل اللّه التكليف .. فكان هناك صلاة ولكن لا كالصلاة الآن ؛ فالصلاة الآن جمعت ميزات كل صلوات الرسل . فصلوات الرسل كانت فى بعض الأزمنة غدوة وعشية ، ركعتين فى أول النهار ، وركعتين فى آخره ،لها شكل خاص فى القيام ، وشكل خاص فى الركوع ، وشكل خاص فى السجود .

فلما فرضت الصلاة فى الإسلام الخاتم ، أخذت كل ميزات الصلوات السابقة ، ولم يأخذ رسول من الرسل السابقة العدد الذى فرض على أمة محمد ﷺ ، بذلك

التوزيع الزمني ، خمسة أوقات فى اليوم والليلة ، ولذلك نجد أن موسى عليه السلام استكثر هذا .

إذن .. كانت هناك صلاة ، ولكن الصلاة التى فرضت ، هى الصلاة الجامعة لكل مزايا الصلوات المتقدمة ، عند الرسل السابقين ، عليهم الصلاة والسلام .

بعد ذلك نقول : إن التكاليف التى يكلّف اللّه بها عباده ، بواسطة الرسل ، هى تكاليف لتنظيم حركة حياتهم من ناحية مجتمعهم ، ومن ناحية سياستهم ، واقتصادهم ، وأخلاقهم . وإن الإقبال على هذا المنهج ، لابد وأن يكون بدافع أن اللّه تعالى هو الذى أمر به .. لماذا ؟ لأن البشر لهم فى مثل هذه الأمور تشريعات اجتماعية ، وخلقية ، فما الذى يجعلنى أرغب عن تشريعات البشر ، إلى تشريعات الحق سبحانه وتعالى ؟ لأننى آمنت بأن اللّه سبحانه وتعالى هو الإله الحق المستحق للعبادة وحده ، ولذلك وجب على أن أتلقى تكاليفى منه وحده سبحانه .

إذن .. فالحق تعالى ، الذى آمنت به ، يطلب منى أن أقف بين يديه ، كل يوم خمس مرات ؛ لأظل دائما موصولا به سبحانه ، وأظل فى عبودية دائمة له سبحانه .

والصلاة هى الشحنة التى تشحذ همة المؤمن ؛ ليقبل على أوامر ربه بجد واجتهاد ، وأن هذه الشحنة هى الأساس ، الذى سيحرك هذه « القاطرة » الإنسانية نحو الأوامر والنواهى الإلهية .

لقد كانت الصلاة فى فرضها والتكليف بها ، تختلف عن كل الأحكام ، بأنها فرضت من اللّه تعالى مباشرة .

ولنضرب مثلًا – وللّه تعالى المثل الأعلي– إن الرئيس حينما يكتب إلى مرؤوسه كتابًا ، فيكون أمراً عادياً ، فإذا كان الأمر أهم ، استدعاه عنده ، وقال له : افعل كذا وكذا . فهو لم يستدعِهِ إلا لأن هذا أمر بالغ الأهمية ؛ ولأن رسول اللّه ﷺ جُعل له المعراج تكريماً لقربه من حضرة ربه . وما دام تكريماً لقربه من حضرة ربه ، ومحمد ﷺ مبعوث رحمة للعالمين جميعاً ، وحرصه على أمته حرص شديد ، لم

يشأ اللّه تعالى فى مقام قربه منه ، إلا أن يردّه إلى أمته بما يقرب المؤمنين به من اللّه سبحانه وتعالى ، فكانت الصلاة هدية القرب للقرب .

المعراج كان تكريماً لرسول اللّه ﷺ ؛ لأنه كان قرباً من اللّه سبحانه وتعالى . لم يستأثر رسول اللّه ﷺ وحده بالتكريم ، ولكن لأنه يحب أمته ،لابد أن يرجع بهدية من اللّه تعالى إلى من يؤمن به ؛ لتكون وسيلة إلى القربى . ولذلك يقول الحق : ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾[1] [العلق : ١٩] فكأن السجود الذى هو أظهر مظاهر

(١) يقول البقاعى : ﴿ وَٱسْجُدْ ﴾ أى دم على صلاتك وخضوعك بنفسك ، وجدد ذلك فى كل وقت . ولما كان السجود أقرب مقرب للعبد إلى اللّه ، قال : ﴿ وَٱقْتَرِب ﴾ أى اجتهد بسرك فى بلوغ درجة القرب إلى ربك بكل عبادة ، لاسيما الصلاة . فإنه أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد[1] ، وقد شرح هذا المقام كما تقدم فى الفاتحة قوله ﷺ : « أعوذ بعفوك من عقوبتك »[2] فإن هذه الجملة أفادت - كما قال فى كتاب الشكر - مشاهدة أفعال اللّه فقط ، فكأنه لم ير إلا اللّه وأفعاله ، فاستعاذ بفعله من فعله . قال : ثم اقترب ففنى فى مشاهدة الأحوال ، وترقى إلى مصادر الأفعال ، وهى الصفات ، فقال : « أعوذ برضاك من سخطك » لأنّهما صفتان . ثم رأى ذلك نقصانًا فى التوحيد ، فاقترب وترقى من مقام مشاهدة الصفات ، إلى مشاهدة الذات. فقال : « وأعوذ بك منك » ، فراراً منه إليه من غير رؤية فعل وصفة. ولكنه رأى نفسه فارًا منه إليه ومستعيذًا ومثنيًا ، ففنى عن مشاهدة نفسه إذ رأى ذلك نقصانًا ، فاقترب فقال : أنت كما أثنيت على نفسك ، لا أحصى ثناء عليك[3] فقوله : لا أحصى نفسه ، وخروجه عن مشاهدتها ، =

(١) عن أبى هريرة رضى اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء » . أخرجه مسلم [٤٨٢] ، والنسائى فى الكبرى [٧٢٣] .

(٢) راجع نظم الدر [٣٤،٣٣/١] .

(٣) عن عائشة رضى اللّه عنها قالت : فقدت رسول اللّه ﷺ ليلة من الفراش ، فالتمسته ، فوقعت يدى على بطن قدميه ، وهو فى المسجد ، وهما منصوبتان وهو يقول : « اللّهم أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك . لا أحصى ثناءً عليك . أنت كما أثنيت على نفسك » . أخرجه مسلم [٤٨٦] واللفظ له ، وأبو داود [٨٧٩] ، والنسائى فى المجتبى [٢١٠/٢] ، وابن ماجة [٣٨٤١] .

الخضوع فى الصلاة ، هو الذى يقرب الإنسان إلى اللّه تعالى وذلك القرب الذى اقتربه رسول اللّه من ربه ، فكأن اللّه سبحانه وتعالى حيا محمدًا ﷺ ، حين قرّبه منه فى الملأ الأعلى ، بأن حمّله هدية إلى المؤمنين برسول اللّه ﷺ ؛ لتكون لهم

= وقوله : « أنت كما أثنيت » بيان أنه المثنى والمثنى عليه ، وأن الكل منه بدأ وإليه يعود ، وأن كل شيء هالك إلا وجهه ، فكان أول مقامه نهاية مقامات الموحدين . وهو أول أفعاله ، فيستعيذ بفعل من فعل ، فانظر إلى ماذا انتهت نهايته ؟ إذن .. انتهى إلى الواحد الحق ، حتى ارتفع من نظره ومشاهدته سوى الذات الحق . ولقد كان ﷺ لا يرقى من مرتبة إلى أخرى ، إلا ويرى الأولى بعدًا بالإضافة إلى الثانية ، فكان يستغفر اللّه من الأولى ، ويرى ذلك نقصا فى سلوكه ، وتقصيرًا فى مقامه . وإليه الإشارة بقوله ﷺ « إنه ليغان على قلبى حتى أستغفر اللّه فى اليوم والليلة سبعين مرة »[1] فكان ذلك لترقيه إلى سبعين مقامًا ، بعضها يعد نقصًا لنقص أوائلها ، وإن كان مجاوزًا أقصى غايات مقامات الخلق ، ولكن كان نقصانًا بالإضافة إلى أواخرها ، فإن استغفاره لذلك .

ولما قالت له عائشة رضى اللّه عنها : قد غفر اللّه لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فما هذا البكاء فى السجود ، وما هذا الجهد الشديد؟ قال : « أفلا أكون عبدًا شكورًا ؟! »[2] معناه : أفلا أكون طالبا للمزيد فإن الشكر سبب الزيادة ؛ حيث قال تعالى : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم : ٧] انتهى . وهو على ما ترى من النفاسة ، فمن أكثر من الدعاء فى سجوده ، فقمن أن يستجاب له ، والصلاة لا تكون قراءة ، فإذا فعلت ذلك احتجبت عن الأغيار بحجاب منيع ، فازددت صفاء وصنت حالك عن الغِيَر - كما يرشد إليه ما فى صحف إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، ينبغى للعاقل أن يكون حافظًا للسانه ، عارفًا بزمانه مقبلاً على شأنه » - واللّه أعلم فقد رجع آخرها إلى الأول ، أوجه وأجمل وأكمل ، واللّه الهادى .

نظم الدرر [١٧٣/٢٢-١٧٥] .

(١) أخرجه مسلم [٤١/٢٧٠٢] عن الأغر المزنى بلفظ : « إنه ليغان على قلبى ، وإنى لأستغفر اللّه فى اليوم مائة مرة » . وأخرجه أبو داود [١٥١٥] .

(٢) أخرجه البخارى [١١٣٠، ٤٨٣٦] ، ومسلم [٧٩/٢٨١٩، ٨٠، ٨١] .

مدخلاً للقرب من الله ، كما كان لرسول الله حظه فى القرب منه سبحانه وتعالى .

ولتوضيح معنى أن الصلاة تقربك من الحضرة الإلهية ، نقول :

إن الإنسان خلق من اللهِ تعالى ، فالله تعالى هو مُبْدِعُه ، وهذا الخلق والإبداع يقفَ كل يوم خمس مرات ، فلابد أن يكون على أوفى شىء من الضبط . وقلنا : إن المهندس من البشر ، يصلح الآلة بشيء مادى يصنعه فيها ، ولكن الحق سبحانه وتعالى - لأنه غيب بالنسبة لنا - يُصْلِح عبده الذى يقف بين يديه ، فى لحظة القرب هذه ، بأمر غيبى أيضاً ، وليس بعملية مادية . فتخرج من مقامك بين يدى ربك ، وأنت منشرح الصدر ، وقد انزاحت همومك من على كاهلك ، وقوى إيمانك وتوثّقت صلتك بالله تعالى .

إذن .. فالصلاة هى التى تعلم الإنسان ، كيف يقبل على التكاليف ، وإذا كان الإسلام قد بنى على خمس :

١ - شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله .

٢ - وإقام الصلاة .

٣ - وإيتاء الزكاة .

٤ - وصوم رمضان .

٥ - وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً .

فلننظر إلى هذه الأركان ، قد لا توجد هذه الأركان فى بعض الناس ، صحيح هى أركان الإسلام ، ولكن ليست هى أركان المسلم . بمعنى : أن المسلم قد يكون فقيراً فلا تجب عليه الزكاة [1] ، والمسلم قد يكون مريضاً أو على سفر ، فلا يصوم ،

(١) عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا رضى الله عنه على اليمن قال : إنك تقدم على قوم أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صلوات فى يومهم وليلتهم . فإذا فعلوا الصلاة فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أموالهم وترد على فقرائهم ، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم ، وتوق كرائم أموال الناس . =

ويسقط عنه فرض الصوم لأجل مسمّى [1] ، وقد لا يستطيع الحج ، فيسقط عنه فرض الحج [2] .

إذن .. هى أركان الإسلام ، وليست أركان المسلم ؛ لأن المسلم يعتمد أولاً على الشهادة ثم الصلاة بإقامتها . وعلى هذا فإن الركن الأساسى ، الذى لا ينفك عن الإنسان المسلم أبداً ، بعد الشهادة هو الصلاة .

والشهادة قد يقولها المسلم مرة عند دخوله الإسلام فهى مفتاح دخول الدين وإن كان عليه بالطبع أن يرددها باستمرار مع المؤذن ، ويجدد بها إيمانه دوماً ، وأما الصلاة فلا تنفك عن المسلم أبداً حتى وهو فى الحرب ، أو وهو مريض ؛ إذ يجب عليه أن يؤدى الصلاة ، حتى ولو بقلبه .

= أخرجه البخارى [١٣٩٥، ١٤٥٨، ١٤٩٦، ٤٣٤٧، ٧٣٧١، ٧٣٧٢] واللفظ له ، ومسلم [١٩] .

(١) وذلك قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

(٢) قال تعالى : ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٧] وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال كان الفضل رديف رسول الله ﷺ ، فجاءت امرأة من خثعم ، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه ، وجعل النبى ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر ، فقالت : يا رسول الله إن فريضة الله على عباده فى الحج أدركت أبى شيخًا كبيرًا لا يثبت على الراحلة ، أفأحج عنه؟ قال : نعم وذلك فى الوداع .

أخرجه البخارى [١٥١٣، ١٨٥٤، ١٨٥٥، ٤٣٩٩، ٦٢٢٨] .

إذن .. فلا عذر لمن لا يؤديها أبداً ، لا مهرب ولا مفر[1] .

أنت مطلوب منك أن تشهد بأن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، ولو مرةً واحدة ؛ إذ هى مفتاح دخولك الإسلام ، وبعد ذلك قد تصوم أو لا تصوم ، وذلك حسب الصحة والمرض والسفر ، وقد لا تحج إذا كنت غير مستطيع للحج فلا تحج ، فما الذى بقى لك من أركان الإسلام ، بقى لك الصلاة ، وهى الركن المتكرر الدائم ؛ لذلك فالصلاة عماد الدين[2] .

(١) عن عمران بن حصين ، قال : قال النبى ﷺ : صلِّ قائماً ، فإن لم تستطع فقاعداً ، فإن لم تستطع فعلى جنب » . أخرجه البخارى [١١١٧] .

وعن جابر أن النبى ﷺ قال : بين الكفر والإيمان ترك الصلاة

أخرجه الترمذى [٢٦١٨] وقال : حديث حسن صحيح ، واللفظ له ، وابن ماجة [١٠٧٨] ، وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى [٢١١١]

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر » .

أخرجه الترمذى [٢٦٢١] وقال : حديث حسن صحيح غريب ، والنسائى فى المجتبى [٢٣٢،٢٣١/١] ، وابن ماجة [١٠٧٩] ، وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى [٢١١٣]

(٢) الصلاة عماد الدين ، ولقد وعد الله تعالى بالجنة من يحافظ على الصلاة ، وأوعد بالويل الذين هم عن صلاتهم ساهون ، كما فى قوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ﴾ [الماعون] ، وقوله تعالى : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝ ﴾ [المدثر] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : إن النبى ﷺ قال : « إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته ، فإن وجدت تامة ، كتبت تامة ، وإن كان انتقص منها شىء » ؛ قال : انظروا ، هل تجدون له من تطوع يُكَمِّلُ له ما ضيع من فريضة ، ثم سائر الأعمال تجرى على حسب ذلك » أخرجه النسائى فى المجتبى [٢٣٢/١] ، وصححه الألبانى فى صحيح النسائى [٥٢] .

وإذا نظرت إلى الصلاة وجدت – مع كونها لا تسقط عن مسلم أبدا – فيها كل أركان الإسلام ؛ لأنك لابد فى الصلاة أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فالركن الأول مكرر فيها .

وأيضاً إيتاء الزكاة ، ما الزكاة ؟ إن الزكاة هى شىء من مال يعطى للمحتاج ؛ أى أن تضحى بشىء من مالك ، والمال فى عرف الإسلام فرع الوقت ؛ لأن العمل يحتاج إلى وقت ، فكأنك ضحّيت ببعض مالك الناتج من عملك ، الناتج من استغلال وقتك . والصلاة لا تأخذ من المال ، ولكن تأخذ من الوقت الذى يُعمل فيه العمل ، الذى يأتى بالمال ، فكأن الزكاة أخذت شيئاً من المال الناتج عن العمل ، والعمل الناتج عن الوقت . إلا أن الصلاة أخذت من الوقت نفسه ، من الأساس الأصيل .

إذن .. حينما تأخذ من يومك ساعةً للصلاة ، تكون قد اقتطعتَ جزءًا من الوقت ، فجعلته للصلاة ، كما تقتطع جزءاً من المال .

إذن .. فالزكاة اقتطاع من المال ، والمال ناشئ عن العمل ، والعمل يحتاج إلى وقت ، فالصلاة تقتطع من الوقت الأساسي ، ففيها زكاة أهم من المال . والذى يمنع الناس عن كثير من الصلاة ، هو أن يقولوا : إنها تحتاج إلى وقت ، وهذا يعطّلنا عن مصالحنا . فيكون ردّنا عليهم بأن نقول لهم : كما أن الله سبحانه وتعالى سمى نقصان المال من الزكاة : زكاة ، فهو لم يسمّه نقصاناً ، ولكن سمّاه زكاة ، ونماء[1] ، فيجب أن تستقبل أيضًا الوقت الضائع عندك فى الصلاة ، الذى

(١) يقول العلامة الراغب الأصفهانى : أصل الزكاة النمو الحاصل عن بركة الله تعالى ، ويعتبر ذلك بالأمور الدنيوية والأخروية ، يقال : زكا الزرع يزكو ، إذا حصل منه نموّ وبركة . وقوله : ﴿ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا ﴾ [الكهف : ١٩] إشارة إلى ما يكون حلالاً لا تُستوخم عقباه ، ومنه الزكاة لما يخرج الإنسان من حق الله تعالى إلى الفقراء ، وتسميته بذلك لما يكون فيها من رجاء البركة ، أو لتزكية النفس ، أى تنميتها بالخيرات والبركات =

تقول عليه : ضائعاً ، استقبالك الناقص يخرج من مالك ، فهو ينمّيه ويزيده ولا ينقصه . فكذلك الوقت إذا ضحّيت منه ببعضه ، وجعلته لله سبحانه وتعالى ، فإن البركة فى بقية الوقت ، ستعوّضك كل ما قد مضى ، كما أن الزكاة نماء ، والربا محق .

وأيضاً فيها صوم ، وما هو الصوم ؟ الصوم هو الإمساك عن شهوتى البطن والفرج ، فى نهار رمضان . وأنا فى الصلاة أمسك عن شهوتى البطن والفرج ، وعن الحركة والكلام ، وعن كل شىء .

= أو لهما جميعا ، جودان فيها ، وقرن الله تعالى الزكاة بالصلاة فى القرآن بقوله : ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة : ٤٣] وبزكاة النفس وطهارتها ، يصير الإنسان بحيث يستحق فى الدنيا الأوصاف المحمودة الأجر والمثوبة . وهو أن يتحرّى الإنسان ما فيه تطهيره ، وذلك ينسب تارة للعبد ؛ لكونه مكتسبًا لذلك ، نحو : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ [الشمس : ٩] وتارة ينسب إلى الله تعالى ؛ لكونه فاعلا لذلك نحو : ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ﴾ [النساء : ٤٩] وتارة إلى النبى ﷺ ، لكونه واسطة فى وصول ذلك إليهم ، نحو : ﴿ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ وتارة إلى العبادة ، التى هى آلة فى ذلك ، نحو : ﴿ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾ أى مزكّى بالخِلقة ، وذلك على طريق ما ذكرنا من الاجتباء ، وهو أن يجعل بعض عباده عالماً وطاهر الخلق ، لا بالتعلم والممارسة ، بل بتوفيق إلهى . كما يكون حال الأنبياء والرسل ، وبنعته بالمزكّى لما يكون عليه فى الاستقبال ، لا فى الحال والمعنى سيتزكى ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴾ ، أى يفعلون ما يفعلون من العبادة ليزكّيهم الله أو ليزكّوا أنفسهم والمعنيان واحد . وليس قوله للزكاة مفعولا لقوله فاعلون ، بل اللام فيه للعلة والقصد . وتزكية الإنسان نفسه ضربان : أحدهما : بالفعل وهو محمود وإليه قصد بقوله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ .

والثانى : بالقول كتزكية العدل غيره ، وذلك مذموم أن يفعل الإنسان بنفسه ، وقد نهى الله تعالى عنه فقال : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ [النجم : ٣٢] ونهيه عن ذلك ؛ تأديب لقبح مدح الإنسان نفسه ، عقلا وشرعًا ، قيل لحكيم : ما الذى لا يحسن وإن كان حقا ؟ فقال : مدح الرجل نفسه . مفردات ألفاظ القرآن [٢١٨] .

إذن .. فهناك لون من الصيام متعلقاته فى المنع ، أوسع من متعلقات الصيام(١) .

وأيضاً فيها قصد البيت الحرام والاتجاه إليه ؛ لأنك تستحضر وأنت تصلى الكعبة ، بيت الله سبحانه وتعالى ، فتتجه إليه ، وتتحرى عن اتجاهه .

ولما كانت الصلاة هى الركن الوحيد الذى لا يسقط عن المسلم ، جاءت فيها كل الأركان فى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله . ومن الزكاة بشيء أكثر فائدةً من المال ، بل بالوقت الذى يأتى بالمال ، ومن صومٍ صمته فوق ما تصوم فى رمضان ،واستحضار لبيت ربك فى كل وقت من الأوقات ، فكأنك حججت بقلبك ، وإن عجزت عن الحج بجسدك .

ولكن .. ماذا عن دور موسى عليه السلام فى النصح بمراجعة الله سبحانه وتعالى ؛ للتخفيف عن المسلمين بإنقاص الصلاة ؟

هنا نريد أن نقول : فرضية الصلاة كانت بالمباشرة – كما قلنا سابقًا – لأهميتها ، والرواية التى قالت لنا : إن الله سبحانه وتعالى قد فرض خمسين صلاة ، ولما أخبر رسول الله ﷺ موسى بذلك ، فقال له : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، وتكرر ذلك حتى صارت خمساً (٢) .

(١) يقول الراغب الأصفهانى : الصوم فى الأصل : الإمساك عن الفعل مطعماً كان أو كلاماً أو مشياً ؛ ولذلك قيل للفرس الممسك عن السير أو العلف : صائم ، قال الشاعر :

خيلٌ صيامٌ وأخرى غير صائمةٍ

وقيل للريح الراكدة : صومٌ ، ولاستواء النهار صومٌ ؛ تصوراً لوقوف الشمس فى كبد السماء ، والصوم فى الشرع : إمساك المكلّف بالنية ، من الخيط الأبيض إلى الخيط الأسود ، عن تناول الأطيبين والاستمناء والاستقاء .

مفردات ألفاظ القرآن [٢٩٨] .

(٢) عن أنس بن مالك : أن ابن عباس وأبا حيّة الأنصارى كانا يقولان : قال النبى ﷺ : ثم عرج بى حتى ظهرتُ لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام قال ابن حزم وأنس ابن مالك : =

فى هذا المقام أحب أن أُذكر المسلمين بأن كراهيتنا لليهود ، يجب ألا تنسحب على موسى عليه السلام . يجب أن يُفهم هذا الكلام جيداً ، فلا يدخل فى نفوسنا شىء على موسى عليه السلام ؛ لأن موسى عليه السلام ، رسول من رسل اللّه سبحانه وتعالى ، بل هو من أولى العزم من الرسل[1] . وكونه طلب من رسول اللّه ﷺ أن يرجع إلى ربه فيسأله التخفيف ، هل فى ذلك وصاية ؟ وما نوع هذه الوصاية ؟ الوصاية تكون من الإنسان الذى يأتى ليفرض عليّ أمراً أكثر ، أما الوصاية التى تأتى بالتخفيف ، فهل توصف بأنها وصاية ؟ إنه يريد أن يخّفف عنى أموراً ، يعلم هو أننى لا أطيقها .

وقد ورد فى الحديث : « فإن أمتك لا تطيق ذلك » ، فهل يريد أن يقّلل من شأن الأمة الإسلامية واحتمالها ، كما يقول بعض الموتورين ممن لا عقل لهم ؟

= قال النبى ﷺ : ففرض على أمتى خمسين صلاة ، فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال : ما فرض الله على أمتك ؟ قلت : فرض خمسين صلاة . قال : فارجع إلى ربك ، فإن أمتك لا تطيق ذلك . فراجعته فوضع شطرها . فرجعت إلى موسى قلت : وضع شطرها . قال : فارجع إلى ربك ، فإن أمتك لا تطيق . فراجعته ، فوضع شطرها . فرجعت إليه فقال : ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق . فراجعته فقال : هى خمس وهى خمسون ، لايُبدَّل القول لدى . فرجعت إلى موسى فقال : راجع ربك . فقلت : استحييت من ربي جزء من حديث أخرجه البخارى [٣٤٩ ، ١٦٣٦ ، ٣٣٤٢] واللفظ له ، ومسلم [٢٦٣/١٦٣] .

(١) قال اللّه تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

وجاء فى الحديث الطويل الذى رواه عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه عن النبى ﷺ ، أنه سُئل عن الإيمان فقال : « أن تؤمن باللّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » جزء من حديث أخرجه البخارى [٤٧٧٨،٥٠] عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه ، ومسلم [١/٨] واللفظ له .

نقول : لا ، انظر حينما يقول موسى لمحمد عليه الصلاة والسلام : « أنا جرّبتُ الأمم قبلك » ، لم يكن اللّه سبحانه وتعالى قد فرض على قوم موسى عليه السلام إلا صلاتين ، صلاة بالعشي ، وصلاة بالغداة ، ومع ذلك ما قاموا بها . فموسى عليه السلام وهو الذى عاش مع قومه طويلاً يدعوهم إلى اللّه تعالى ويرغبهم ، ومع ذلك لم يقوموا بوقتين من الأوقات ، ويقول ذلك لرسول اللّه ﷺ ، فهذا دليل على أنه يحب رسول اللّه ﷺ ، ويحب أمة رسول اللّه ﷺ ؛ ولذلك يريد ألا يعرضها لما تعرضت له أمته ، من أنها لم تستطع . فهذه ليست شهادة بأننا ضعفاء ، وإنما هو يخشى أننا قد لا نقوى على هذا ، لماذا ؟ لأنه جرب مع أمته فلم تقو .

ومعنى جرب فى قومه ، فهذه شهادة ضد أمته ، وليست ضدنا نحن ؛ لأن معنى ذلك أنه عرف أن أمته لم تستطع ، ولم تقدر ، فخشى علينا . ما الذى جعله يخشى علينا ؟ يقينه بما فعلته أمته .

إذن .. فهذا أمر ضدهم ، وليس ضدنا نحن .

ثم نأتى إلى السؤال عن كثرة أنبياء بنى إسرائيل ، الذين قابلهم الرسول ﷺ نقول : إن الأنبياء – كما سبق أن قلنا – إنما جاءوا لتبليغ منهج اللّه تعالى إلى خلق اللّه تعالى ليعالجوا أدواء البشر .

فكأنهم الأطباء الذين أرسلهم اللّه تعالى ؛ ليعالجوا البشرية من علاتها ، فإذا ما كثر على أمة أطباء ، فاعلم أن أمراضها كثيرة .

وما دام أنبياء بنى إسرائيل كانوا كثيرين ، فمعناه أن بلاءهم كان كثيراً ، وأن نبياً واحداً لم يكفهم ، وهذا دليل على استفحال الأدواء فيهم ، وأن نبياً واحداً لم يكن ليكفيهم ؛ ولذلك لا يؤخذ كون اليهود أكثر الأمم أنبياءً ، على أنهم أحسن الأمم وأعظمها .

ونكرر قولنا لهم : إن الأنبياء ، كالأطباء ، وكثرتهم عند اليهود تدل على أن أمراضهم أمراض كثيرة معضلة ، وإن طبيباً واحداً لم يكن كافيًا ، فعلى الرغم من تعدد الأنبياء ، كان ما كان منهم[1] .

(١) قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة : ٤٧] .

قال ابن كثير : يذكّرهم تعالى بسالف نعمه على آبائهم وأسلافهم ، وما كان فضّلهم به من إرسال الرسل منهم ، وإنزال الكتب عليهم وعلى سائر الأمم من أهل زمانهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الدخان : ٣٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة : ٢٠] .

قال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية فى قوله تعالى : ﴿ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ . قال بما أعطوا من الملك والرسل والكتب على من كان فى ذلك الزمان فإنّ لكل زمان عالمًا .

وروى عن مجاهد والربيع بن أنس وقتادة وإسماعيل بن أبى خالد نحو ذلك ويجب الحمل على هذا ؛لأن هذه الأمة أفضل ؛ منهم لقوله تعالى خطاباً لهذه الأمة ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ ﴾ [آل عمران : ١١٠] وفى المسانيد والسنن عن معاوية القشيرى قال : قال رسول الله ﷺ : « أنتم توفون سبعين أمّة أنتم خيرها وأكرمها على الله » والأحاديث فى هذا كثيرة تذكر عند قوله تعالى : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ﴾ . وقيل : المراد تفضيل بنوع ما من الفضل على سائر الناس ، ولا يلزم تفضيلهم مطلقاً حكاه الرازى وفيه نظر . وقيل : إنهم فُضلوا على سائر الأمم ؛ لاشتمال أمتهم على الأنبياء منهم حكاه القرطبى فى تفسيره ؛ لأن العالمين عام يشتمل من قبلهم ومن بعدهم من الأنبياء ، فإبراهيم الخليل قبلهم وهو أفضل من سائر أنبيائهم ، ومحمد بعدهم وهو أفضل من جميع الخلق وسيد ولد آدم فى الدنيا والآخرة صلوات الله وسلامه عليه .

تفسير ابن كثير [٨٥/١] بتصرف . =

.....

○○○

= وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ﴾ [البقرة : ٨٧] .

قال أبو حيان : أرسل الله على أثر موسى رسلاً هم : يوشع ، وشمويل ، وشمعون ، وداود ، وسليمان ، وشعيا ، وأرميا ، وعزير ، وحزقيل ، وإلياس ، واليسع ، ويونس ، وزكريا ، ويحيى . وغيرهم . البحر المحيط [٤٨٠/١] .

وقال ابن عطية : تُروى أن بنى إسرائيل كانوا يقتلون فى اليوم ثلاثمائة نبى ثم تقوم سوقهم آخر النهار ، ورُوى : سبعين نبيًا ثم تقوم سوق بقلهم آخر النهار .

المحرر الوجيز [١٧٦/١، ١٧٧] .

هى .. خمس والثواب على خمسين

إذا كان اللّه قد جعلها خمس صلوات ، فلماذا أمر فى بدء الأمر بخمسين ؟

نقول : إن التكاليف من اللّه سبحانه وتعالى ، ليست لحاجة اللّه تعالى إلى فعلنا ، وإنما هى لصالحنا نحن . فالأساس الأصيل ، أن التكاليف لا ينتفع اللّه تعالى بها ، وإنما هى لصالحنا نحن ، فحين يكلّفنا اللّه سبحانه وتعالى تكليفًا ، فإنه يكون لصالحنا ، ويعطينا على هذا التكليف أجراً إن قمنا به .

وحين فرض اللّه سبحانه وتعالى الصلاة خمسين وصيّرها إلى خمس ، هل أنقص ما يريد إعطاءه من الثواب ،أم ظل الثواب خمسين ؟

نقول : لقد ظل الثواب خمسين .

إذن .. فالعطاء غير متناسب مع العمل ، فتقرير العطاء من اللّه تعالى على الخمسين ،وظل العطاء هو العطاء ، وبعد ذلك خُفّفت الوسيلة لا العطاء ،فبعد أن كانت خمسين أصبحت خمساً ، ولكن الثواب ظل كما هو .

وكثير من الناس يقول : كيف ينسخ اللّه تعالى الحكم ، قبل أن نمكّن من الفعل ؟ فيكون الرّد عليهم : إن الناس يفهمون أن مراد التكليف من اللّه سبحانه وتعالى ، إنما هو فعل الشيء المكلف به ، بمعنى أن المراد من كل تكليف من اللّه سبحانه وتعالى لخلقه ، أمران :

الأمر الأول : الإيمان بالتكليف وعدم ردّه .

الأمر الثانى : فعله .

فإذا قبلت الأول ، فقد أخذت شقاً من الأمر بالتكليف ، وبعد ذلك الشق الآخر وهو الفعل ، وأنا أريد أن أوضح هذه النقطة ، فأقول مثلاً : إبليس عصى ربه ، وآدم عصى ربه ، لماذا طرد إبليس من رحمة اللّه ؟ ولماذا تلقى آدم كلمات من ربه ، فتاب اللّه عليه ؟

هنا ننظر إلى معصية كل منهما ، فإبليس عصى اللّه تعالى فى أنه رد الأمر التكليفى على اللّه تعالى ، وقال : ﴿ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ [الإسراء : ٦١] بمعنى أنه لا يعجبنى هذا التكليف ، فأنا خير منه .

إذن .. فقد رد التكليف على من ؟ على اللّه تعالى .

لكن آدم عليه السلام لم يردّ التكليف على اللّه تعالى[1] ، بل اتهم نفسه وقال كما ورد فى الذكر الحكيم فى سورة الأعراف آية [٢٣] : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ فحين كلّف اللّه سبحانه وتعالى رسوله أن تكون الصلاة خمسين ، قبلها رسول اللّه ﷺ ، وانصاع لأمر التكليف ، ولم يعارض فيه . ثم بعد ذلك طلب التخفيف .

فيكون قبوله ﷺ هو التسليم بأمر اللّه سبحانه وقبول التكليف ، ثم بعد ذلك : فعله شيء آخر .

فالذى نسخ ليس قبول التكليف ، ولكن الذى نسخ هو فعل التكليف . فالخمسون صلاة ، صارت خمسًا ، فهل يكون اللّه سبحانه وتعالى قد كلّف بشيء ، وقبل أن يمكن منه نسخه ؟ نقول : إنه مكّن فى واحدة ، ولم يمكّن من الثانية ، مكن من ماذا ؟ من أنه قبل أمر التكليف .

---

(١) قال القاسمى فى قوله تعالى : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴾ أى أضررناها بالمعصية ﴿ وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا ﴾ أى ما سلف ﴿ وَتَرْحَمْنَا ﴾ أى بالتوبة وقبولها ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ أى لنصيرن ممن خسر جميع ما حصل له من الكمالات .

قال الضحاك ابن مزاحم فى قوله : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ... ﴾ الآية : هى الكلمات التى تلقاها آدم من ربه .

لطيفة : قال الجشمىّ : يقال إن آدم عليه السلام سعد بخمسة أشياء : اعترف بالذنب ، وندم عليه ، ولام نفسه ، وسارع إلى التوبة ، ولم يقنط من الرحمة . وشقى إبليس بخمسة أشياء : لم يقر بالذنب ، ولم يندم ، ولم يلم نفسه بل أضاف إلى ربه فلم يتب ، وقنط من الرحمة . تفسير القاسمى [٢٦٤٣/٧] .

وشاهد ذلك فى قصة نبى اللّه ابراهيم عليه السلام : إن الحق سبحانه وتعالى طلب من إبراهيم عليه السلام أن يذبح ولده ، ماذا كان من إبراهيم ؟ قال : ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الصافات] ، أى : تقبلتَ يا إبراهيم الأمر بإيمان ويقين ، وأقبلتَ أنتَ وولدكَ لتفعله ، فتكون المسألة قد انتهت ، فهذا هو المراد من إبراهيم[1] ، فكأن الأمر التكليفى يطلب منه شيئان :

(١) يقول ابن كثير : يذكر تعالى عن خليله إبراهيم ، أنه لما هاجر من بلاد قومه سأل ربه أن يهب له ولداً صالحاً ، فبشره اللّه تعالى بغلام حليم وهو إسماعيل عليه السلام ؛ لأنه أول من ولد له على رأس ست وثمانين سنة من عمر الخليل . وهذا ما لاخلاف فيه بين أهل الملل ؛ لأنه أول ولده وبكره ، وقوله : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ ﴾ أى شبَّ وصار يسعى فى مصالحه كأبيه ، قال مجاهد : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ ﴾ أى شبَّ وارتحل وأطاق ما يفعله أبوه من السعى والعمل . فلما كان هذا رأى إبراهيم عليه السلام فى المنام أنه يؤمر بذبح ولده . هذا وفى الحديث عن ابن عباس مرفوعاً : رؤيا الأنبياء وحى[1] . قاله عبيد بن عمير أيضاً ، وهذا اختبار من اللّه عز وجل لخليله ، فى أن يذبح هذا الولد العزيز ، الذى جاءه على كبر وند طعن فى السن ، بعدما أمر بأن يسكنه هو وأمه فى بلاد قفر ، وواد ليس به حسيس ولا أنيس ، ولا زرع ولا ضرع . فامتثل أمر اللّه فى ذلك وتركهما هناك ؛ ثقة باللّه وتوكّلاً عليه ؛ فجعل اللّه لهما فرجاً ومخرجاً ورزقهما من حيث لا يحتسبان . ثم لما أمر بعد هذا كله بذبح ولده ، هذا الذى قد أفرده عن أمر ربه ، وهو بكره ووحيده الذى ليس له غيره ، أجاب ربه وامتثل أمره وسارع إلى طاعته . ثم عرض ذلك على ولده ؛ ليكون أطيب لقلبه وأهون عليه من أن يأخذه قسراً ويذبحه قهراً ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ ﴾ فبادر الغلام الحليم سر والده الخليل إبراهيم ، فقال : ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ . وهذا الجواب فى =

(١) جزء من حديث أخرجه البخارى [١٣٨، ٨٥٩] .

= غاية السداد والطاعة للوالد ولرب العباد ، قال اللّه تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴾ قيل : ﴿ أَسْلَمَا ﴾ أى استسلما لأمر اللّه وعزما على ذلك .

وقيل : هذا من المقدّم والمؤخّر ،والمعنى ﴿ وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴾ : أى ألقاه على وجهه . قيل : أراد أن يذبحه من قفاه ؛ لئلا يشاهده فى حال ذبحه ، قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك . وقيل : بل أضجعه كما تضجع الذبائح ، وبقى طرف جبينه لاصقاً بالأرض ، و ﴿ أَسْلَمَا ﴾ أى سمى إبراهيم وكبر ، وتشهد الولد للموت .

قال السدى وغيره : أمر السكين على حلقه فلم تقطع شيئاً ويقال : جعل بينها وبين حلقه صفيحة من نحاس واللّه أعلم .

فعند ذلك نودى من اللّه عز وجل : ﴿ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ . قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ﴾ أى قد حصل المقصود من اختبارك وطاعتك ومبادرتك إلى أمر ربك . وبَذْلِكَ ولدك للقربان ، كما سمحت بيدنك للنيران ، وكما مالك مبذول للضيفان ؛ لهذا قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الصافات : ١٠٦] أى الاختبار الظاهر البين .

وقوله : ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ أى وجعلنا فداء ذبح ولده ، ما يسره اللّه تعالى له من العوض عنه ، والمشهور عن الجمهور أنه كبش أبيض أعين أقرن ، رآه مربوطاً بسمرة فى ثبير .

قال الثورى عن عبد اللّه بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كبش قد رعى فى الجنة أربعين خريفاً . وقال سعيد بن جبير : كان يرتع فى الجنة حتى تشقق عنه ثبير وعليه عهن ، أى صوف أحمر ، وعن ابن عباس : هبط عليه من ثبير كبش أعين أقرن له ثغاء ، فذبحه ،وهو الكبش الذى قربه ابن آدم فتقبل منه . رواه ابن أبى حاتم .

قال مجاهد : فذبحه بمنى ، وقال عبيد بن عمير : ذبح بالمقام . فأما ما روى عن ابن عباس أنه كان وعلا ،

وعن الحسن : أنه كان تيساً من الأروي ، واسمه جرير فلا يكاد يصح عنهما . ثم غالب ما هاهنا من الآثار مأخوذ من الإسرائيليات . وفى القرآن كفاية عما جرى من الأمر العظيم والاختبار الباهر ، وأنه فدى بذبح عظيم ، وقد ورد فى الحديث أنه كان كبشاً .

قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان حدثنا منصور عن خاله نافع عن صفية بنت شيبة =

الأول : أن يؤمن به ، وأن يتلقاه بالقبول والتسليم والرضا وعدم الرفض والرد .

والثانى : أن يفعله ؛ ولذلك إذا جاء واحد لم يُصَلِّ ، ونقول له : أنت لم تُصَلِّ ، فهل أنت منكر للصلاة أم كسلان ؟ فإن كان منكراً ، فنقول له : كفرت . لماذا ؟ لأنه ردّ الأمر فى الأول . وإن كان متكاسلاً فنقول له : يجب أن تصلي ، فأنت عاصٍ للّه تعالى بترك الصلاة ويخشى عليك كذا وكذا .

والذى يتعامل بالربا ، إن قال : إن الربا حرام ، ولكننى مضطّر إليه ويعدد أسباب اضطراره ، ويطلب من اللّه تعالى أن يعاونه على الخلاص منه فإنه قد قبل الحكم من اللّه سبحانه وتعالى ، ولكن نفسه ضعُفت فلم ينفذه . فهذا مؤمن عاصٍ ، لكن الذى يحل الربا أو يحل بعض صوره ، يكون قد دخل فى منطقة الكفر ، لماذا ؟ لأنه لم يقبل الحكم من اللّه ، ورده عليه سبحانه وتعالى .

○○○

= قالت : أخبرتنى امرأة من بنى سليم ولدت عامة أهل دارنا ، قالت : أرسل رسول اللّه ﷺ لى عثمان بن طلحة ، وقال مرة : إنها سألت عثمان لم دعاك رسول اللّه ﷺ ؟ قال : « إنى كنت رأيت قرنى الكبش حين دخلت البيت ، فنسيت أن آمرك أن تخمرهما فخمرهما ، فإنه لا ينبغى أن يكون فى البيت شىء يشغل المصلى » .

قال سفيان : لم تزل قرنا الكبش فى البيت حتى احترق البيت فاحترقا [1] . وهذا روى عن ابن عباس أن رأس الكبش لم يزل معلقاً عند ميزاب الكعبة قد يبس . وهذا وحده دليل على أن الذبيح إسماعيل ؛ لأنه كان هو المقيم بمكة . وإسحاق لا نعلم أنه قدمها فى حال صغره . واللّه أعلم .

البداية والنهاية [١/١٤٨-١٤٩] .

(١) رواه أحمد فى المسند [٤/٦٨، ٥/٣٨٠] .

إن الصلاة هى الركن الذى يتكرر كل يوم خمس مرات بخلاف بقية الأركان فالزكاة لا تكون إلا كل عام ، وكذلك الصيام ، وحج الفريضة لا يكون إلا مرة واحدة فى العمر .

وتكرار الصلاة فى اليوم خمس مرات ، ذلك للتعبير عن دوام الولاء العبودى للّه تبارك وتعالى .

قال تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة : ١١٠] .

والصلاة حين تتكرر كل يوم ؛ فإنها تعطى المؤمن شحنة اليقين والإيمان ، وتأخذه من دنياه للوقوف بين يدى اللّه سبحانه وتعالى خمس مرات فى اليوم والليلة ، وهذه هى العبادة التى لا تسقط أبدًا عن الإنسان ؛ فهو يؤديها في حال الصحة ، وحال المرض . فالمؤمن يستطيع أن يصلى واقفًا ، وأن يصلى جالسًا ، وأن يصلى راقدًا ولا مانع إذا اضطرته الظروف أن يجرى مراسم الصلاة على قلبه [1] .

وعندما يرتفع صوت المؤذن بقوله : « اللّه أكبر » ، فهذه دعوة للإقبال على اللّه تعالى ، إقبال فى ساعة معلومة ؛ للوقوف بين يديه سبحانه ، واستحضار عظمته ، فيعطينا سبحانه وتعالى المدد .

يقول اللّه سبحانه وتعالى : ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨] ، والقنوت فى الصلاة معناه : الخشوع والاطمئنان والمداومة ، والإنسان القانت صادق مع نفسه ذلك لأن العبد قد لا يفهم أو يدرك المراد من التكليف ولذا فإقبال العبد على

(١) أخرج البخارى [١١١٧] عن عمران بن حصين رضى اللّه تعالى عنه قال : « كان بى بواسير فسألت النبى ﷺ عن الصلاة ؟ فقال : « صلِّ قائمًا ؛ فإن لم تستطع فقاعدًا ، فإن لم تستطع فعلى جنب » .

التكليف بخشوع وحب وطاعة لأمر الحق تبارك وتعالى الذى نثق فى حكمته ولا نعلم مراده قد يدخلنا فى نورانية لنرى العلة من هذا التكليف ذلك بأن يرينا فرقانًا فى أنفسنا يقول رب العزة سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الأنفال : ٢٩] ، أن يصركم وينجيكم مما تخافون[1] .

« إن كنت تريد أن تعرف علّة أى حكم كلفك الله به فاتق الله فى تنفيذه ولذا يقول الحق : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٨٢]

ولقد مدح الله تعالى القانتين فقال : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ [آل عمران] .

وكلمة : « قانتين » هى وصف لمن يعيشون القنوت . والقنوت هو عبادة مع خضوع وخشوع ومداومة .

والحق لم يشرع العبادات كى ينفذها الناس حتى ينقذوا أنفسهم من العذاب فحسب ، لكن الحق أراد بالتكليف أن يرفع من قيمة الإنسان فى الحياة ولذا فالتكليف يُعد نعمة من الله سبحانه أجراها على عباده .

(١) قوله تعالى : ﴿ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ قال الواحدى : بين حقكم وباطل من يبغيكم السوء من أعدائكم بنصره إياكم عليهم وهذا قول « مقاتل » وقال عكرمة والسدى : ﴿ فُرْقَانًا ﴾ نجاة يعنى أن الله يفرق بينكم وبين من تخافون ، فتنجون والفرقان مصدر لفرق .
التفسير الوسيط [٢/٤٥٤] .

والذى يؤدى الصلاة بقنوت يكون أهلاً لمودة الله ، أما الذى أدى الصلاة ثم تركها بعد ذلك ، ولم يداوم عليها بدون عذر ، كأنه لم يجد حلاوة العبادة ولم يجد الله سبحانه أهلا للود والعياذ بالله فامتنع عن الوقوف بين يديه .

والعبد القانت لا يترك عبادةً دخل فيها تطوعًا لله إلا بعذر ؛ لأنه ذاق حلاوة استدامة العبادة لله ، وما دام قد أدرك حلاوة العبادة فهو يقبل عليها بخشوع واطمئنان ومداومة ؛ وبذا يدخل دائرة القانتين وفى ذلك يقول الرسول ﷺ : « أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قلّ[1] » فالمداومة على العمل وإن قل تجعل العبد داخلاً فى عباد الله القانتين ، أى : المداومين على العبادة .

ولقد كانت السيدة مريم رضى الله تعالى عنها أهلا لاصطفاء الله تعالى لها وذلك قول الحق سبحانه : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٢] .

ولذلك كان حقًا عليها بعد هذا التكريم بالاصطفاء أن تكون من القانتين قال تعالى : ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٣] .

وهذا أمر بالعبادة الخاشعة المستديمة لربها قنوتًا وسجودًا بل ﴿ وَٱسْجُدِى ﴾ أى : أكثرى من السجود والخشوع ؛ لأن السجود هو أعلى مراتب الخضوع .

لكن أيعفيها هذا اللون من الخضوع مما يكون من الركوع لله سبحانه مع الناس ؟ لا .. لقد صدر أمر الحق سبحانه بأن تكون من الراكعين مع الناس ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ ، وكأن الله تعالى يقول لها : لا يعفيك من الركوع أنك فعلت الأمر الأعلى منه فى الخضوع وهو السجود ، بل عليك أن تركعى مع الراكعين فلا يحق لك يا مريم أن تقولى : لقد أمرنى الله بأمر أعلى ولن أنفذ الأمر الأدنى ، لذا يجب أن تكونى أيضًا فى ركب الراكعين .

(١) أخرجه مسلم [٢١٨/٧٨٣] عن عائشة رضى الله تعالى عنها .

ولكن لماذا لم يقل الحق سبحانه مع الراكعات ؟ إن الله سبحانه حينما تكلم عن آدم سماه : « نفس » وهى كلمة مؤنثة ، لذا فليس نص التأنيث فى اللفظ أنه أقل معنىً من التذكير . كما أن كلمة : « ناس » نص فى مجموع الإنسان وهى تطلق مرة على المذكر ومرة على المؤنث ؛ وعليه فالتذكير والتأنيث علامة لوضع الأشياء فى مسمياتها الحقيقية كوسيلة للتخاطب وليست هناك أفضلية . وإنما يدمج الله تعالى المرأة فى الرجل ؛ لأنها مبنية على الستر والحجاب ، فهى مطمورة فيه ، وداخلة فيه .

فإذا قال سبحانه : ﴿ وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ فالركوع ليس خاصًا بالمرأة حتى يقال : اركعى مع الراكعات . وإذا قال : اركعى مع الراكعات ، وهى فى محرابها والناس يصلون ، هل تمتنع عن الصلاة لأنه لا يوجد راكعات[1] ؟

إذن .. فقوله : ﴿ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ أعم ؛ لأنه أدخل الراكعات فى الراكعين ، ولو قال : الراكعات ، لم تدخل فى الراكعين .

○○○

(١) قال الفخر الرازى : لِمَ لم يقل : واركعى مع الراكعات ؟ والجواب : لأن الاقتداء بالرجال حال الاختفاء من الرجال أفضل من الاقتداء بالنساء .

التفسير الكبير [٨/٤٤] .

وقال أبو حيان : وجاء ﴿ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ دون الراكعات ؛ لأن هذا الجمع أعم إذ يشمل الرجال والنساء على سبيل التغليب ، والمناسبة أواخر الآيات قبل وبعد ، ولأن الاقتداء بالرجال أفضل إن قلنا إنها مأمورة بصلاة الجماعة .

البحر المحيط [٣/١٤٩] .

صلاة الخاشعين .. والاستعانة بالصبر والصلاة

الخشوع : هو الخضوع لمن ترى أنه فوقك بلا منازع وهو الله سبحانه وتعالى وهو الذى خلق ووهب وأوجد من العدم ، وقول الحق : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ [البقرة : ٤٥] يلفتنا إلى أن مطلوب الإيمان شاق ويحتاج إلى ضرورة الاستعانة بالصبر والصلاة ؛ لأن المسألة ليست سهلة بل تحتاج إلى جهد فالصبر معناه حمل النفس على أمرٍ صعب ، وكل مؤمن يدخل منهج الإيمان محتاج إلى الاستعانة بالصبر ليحمل نفسه على مشقة المنهج وتكاليفه ، وليمنع نفسه عن الشهوات التى حرمها الله سبحانه تعالى . وقد فسر بعض العلماء « الصبر » بأنه الصيام وما يتبعه من مشقات[1] .

(١) **وفى الحديث عن حذيفة** رضى الله عنه قال : « كان النبى ﷺ ، إذا حزبه أمر صلى » . أخرجه أبو داود [١٣١٩] ، وأحمد فى المسند [٥ / ٣٨٨] ، وحسّنه الألبانى فى صحيح أبى داود [١١٧١] .

وعن صهيب الرومى رضى الله عنه عن النبى : ﷺ « .. كانوا - يعنى الأنبياء - يفزعون إذا فزعوا إلى الصلاة .. » أخرجه أحمد فى المسند [٤ / ٣٣٣] بسند صحيح .

وعن ابن عباس رضى الله عنه : نعى إليه أخوه قُثَم وهو فى مسير فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ، ثم قام يمشى إلى راحلته وهو يقول : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ [البقرة : ٤٥] أخرجه سعيد بن منصور فى سننه [٢/٦٣٢] بسند صحيح ، وابن جرير الطبرى فى تفسيره [٢/١٤ رقم ٨٥٢] .

وروى الطبرى بسنده عن أبى العالية فى قوله : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ يقول : استعينوا بالصبر والصلاة على مرضاة الله ، واعلموا أنهما من طاعة الله .

وعن الربيع فى قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ ، اعلموا أنهما عونٌ على طاعة الله .

وأما قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ ، فإن تأويله : فإن الله ناصرهُ وظَهيرهُ وراضٍ بفعله ، كقول القائل : « افعل يا فلان كذا وأنا معك » ، يعنى : إنى ناصرُك على فعلك ذلك ومُعينك عليه .

= **وقال الطبرى** : وهذه الآية حضٌّ من اللّه تعالى على طاعته ، واحتمال مكروهها على الأبدان والأموال ، فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ على القيام بطاعتى ، وأداء فرائضى فى ناسخ أحكامى ، والانصراف عما أنسخه منها إلى الذى أُحدِثه لكم من فرائضى ، وأنقلكم إليه من أحكامى ، والتسليم لأمرى فيما آمركم به فى حين إلزامكم حكمه ، والتحول عنه بعد تحويلى إياكم عنه - وإن لحقكم فى ذلك مكروهٌ من مقالة أعدائكم من الكفار بقذفهم لكم الباطل ، أو مشقةٌ على أبدانكم فى قيامكم به ، أو نقصٌ فى أموالكم - وعلى جهاد أعدائكم وحربهم فى سبيلى ، بالصبر منكم لى على مكروه ذلك ومَشقته عليكم ، واحتمال عنائه وثقله ، ثم بالفزع منكم فيما يَنوبكم من مفْظِعات الأمور إلى الصلاة لى . فإنكم بالصبر على المكاره تُدركون مرضاتى ، وبالصلاة لى تستنجحون طلباتكم قِبلى ، ومدركون حاجاتكم عندى ، فإنى مع الصابرين على القيام بأداء فرائضى وترك معاصىّ ، أنصرُهم وأرعاهم وأَكْلَؤُهُمْ ؛ حتى يظفروا بما طلبوا وأمّلوا قِبلى .

تفسير الطبرى [٣/٢١٣ ، ٢١٤] .

وقال القاسمى فى قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ أرشد تعالى المؤمنين ، إثر الأمر بالشكر فى الآية قبل ، بالاستعانة بالصبر والصلاة . لأن العبد إما أن يكون فى نعمة فيشكر عليها . أو فى نقمة فيصبر عليها . كما جاء فى الحديث[1] : « عجبا للمؤمن لا يقضى له قضاء إلا كان خيراً له . إن أصابته سراء فشكر كان خيرا له . وإن أصابته ضراء فصبر كان خيراً له » . وبّين تعالى أن أجود ما يستعان به على تحمل المصائب فى سبيل اللّه ، الصبر والصلاة . كما تقدم فى قوله : ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ . وفى الحديث[2] : أن رسول اللّه ﷺ كان إذا حَزَبَه أمر صلّى . =

(١) أخرجه مسلم [٢٩٩٩] عن صهيب بلفظ : « عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير . وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن . إن أصابته سراء شكر . فكان خيراً له . وإن أصابته ضرّاء صبر ، فكان خيرًا له » . وأخرج أحمد فى المسند [٥/٢٤] عن أنس بن مالك قال : قال رسول اللّه ﷺ : « عجباً للمؤمن ، لا يقضى اللّه له شيئًا إلا كان خيراً له » .

(٢) تقدم ، أخرجه أحمد فى المسند [٥/٣٣٨] ، وأبو داود [١٣١٩] ، وحسنه الألبانى فى صحيح أبى داود [١١٧١] عن حذيفة بن اليمان رضى اللّه عنه .

= ثم إن الصبر صبران : صبر على ترك المحارم والمآثم ، وصبر على فعل الطاعات والقربات . والثانى أكثر ثوابا . لأنه المقصود . وأما الصبر الثالث ، وهو الصبر على المصائب والنوائب ، فذاك أيضا واجب . كالاستغفار من المعائب .

وقال الإمام ابن تيمية فى كتابه « السياسة الشرعية » : وأعظم عون لولىّ الأمر خاصةً ، ولغيره عامة ثلاثة أمور :

أحدها : الإخلاص للّه ، والتوكل عليه بالدعاء وغيره . وأصل ذلك المحافظة على الصلاة بالقلب والبدن .

والثانى : الإحسان إلى الخلق بالنفع والمال الذى هو الزكاة .

والثالث : الصبر على الأذى من الخلق وغيره من النوائب . ولهذا يجمع اللّه بين الصلاة والصبر كثيراً كقوله تعالى : ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ .

وكقوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [هود] .

وقوله : ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ [طه : ١٣٠] .

وأما قِرانُهُ بين الصلاة والزكاة فى القرآن فكثير جداً .

فبالقيام بالصلاة والزكاة والصبر يصلح حال الراعى والرعية . إذا عرف الإنسان ما يدخل فى هذه الأسماء الجامعة ، يدخل فى الصلاة من ذكر اللّه تعالى ودعائه وتلاوة كتابه وإخلاص الدين له والتوكل عليه ، وفى الزكاة الإحسان إلى الخلق بالمال والنفع : من نصر المظلوم وإعانة الملهوف وقضاء حاجة المحتاج . وفى الصبر احتمال الأذى وكظم الغيظ والعفو عن الناس ومخالفة الهوى وترك الشر والبطر .

وقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ قال الإمام ابن تيمية « فى شرح حديث النزول » : لفظ المعية فى كتاب اللّه جاء عاماً كما فى قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد : ٤] . وفى قوله : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ [المجادلة : ٧] ، إلى قوله : ﴿ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ﴾ .

وجاء خاصاً كما فى قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل : ١٢٨] . =

= وقوله : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه : ٤٦] .

وقوله : ﴿ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾ [التوبة : ٤٠] . فلو كان المراد بذاته مع كل شيء ، لكان التعميم يناقض التخصيص . فإنه قد علم أن قوله : ﴿ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾ أراد به تخصيص نفسه وأبا بكر دون عدوّهم من الكفار ، وكذلك قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ خصهم بذلك دون الظالمين والفجار . وأيضاً ، فلفظ المعية ليست فى لغة العرب ولا فى شيء من القرآن أن يراد بها اختلاط إحدى الذاتين بالأخرى . كما فى قوله تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [الفتح : ٢٩] ، وقوله : ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [النساء : ١٤٦] ، وقوله : ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة : ١١٩] ، وقوله : ﴿ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ ﴾ [الأنفال : ٧٥] . ومثل هذا كثير . فامتنع أن يكون قوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ ﴾ يدل على أن تكون ذاته مختلطة بذوات الخلق . وقد بسط الكلام عليه فى موضع آخر وبيّن أن لفظ المعية فى اللغة ، وإن اقتضى المجامعة والمصاحبة والمقارنة ، فهو إذا كان مع العباد ، لم يناف ذلك علوّه على عرشه . ويكون حكم معيته فى كل موطن بحسبه . فمع الخلق كلهم بالعلم والقدرة والسلطان . ويخص بعضهم بالإعانة والنصرة والتأييد .

محاسن التأويل [٢/٣١٦ - ٣١٩] .

وقال العلامة السعدى رحمة الله تعالى عليه : أمر الله تعالى المؤمنين بالاستعانة على أمورهم الدنيوية ﴿ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ﴾ . فالصبر هو حبس النفس وكفها عما تكره ، فهو ثلاثة أقسام :

الأول : صبرها على طاعة الله ، حتى تؤديها .

الثانى : وعن معصية الله حتى تتركها .

الثالث : وعلى أقدار الله المؤلمة فلا تتسخطها .

فالصبر هو المعونة العظيمة على كل أمر ، فلا سبيل لغير الصابر ، أن يدرك مطلوبه وخصوصاً الطاعات الشاقة المستمرة ، فإنها مفتقرة أشد الافتقار إلى تحمل الصبر ، وتجرع المرارة الشاقة . فإذا لازم صاحبها الصبر ، فاز بالنجاح ، وإن رده المكروه والمشقة عن الصبر والملازمة عليها ، لم يدرك شيئاً ، وحصل على الحرمان ، وكذلك المعصية التى =

وسياق الآية كان يقتضى أن يقال : « وإنهما » ولكن قال : ﴿ وَإِنَّهَا ﴾ فهل المقصود الصبر أم الصلاة ؟

ونقول إنه عندما يأتى أمران منضمان إلى بعضهما فإن الأمور لا تستقيم إلا بهما ، كما جاءت فى قول الحق : ﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ

= تشتد دواعى النفس ونوازعها إليها وهى فى محل قدرة العبد ، فهذه لا يمكن تركها إلا بصبر عظيم ، وكف لدواعى قلبه ونوازعها ، لله تعالى ، واستعانة بالله على العصمة منها ، فإنها من الفتن الكبار .

وكذلك البلاء الشاق ، خصوصاً إن استمر ، فهذا تضعف معه القوى النفسانية والجسدية ، ويوجد مقتضاها ، وهو التسخط ، إن لم يقاومها صاحبها بالصبر لله ، والتوكل عليه ، واللجأ إليه ، والافتقار على الدوام .

فعلمت أن الصبر محتاج إليه العبد ، بل مضطر إليه فى كل حالة من أحواله ، فلهذا أمر الله تعالى به ، وأخبر أنه : ﴿ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ أى : مع من كان الصبر لهم خلقاً وصفة ، وملكة - بمعونته وتوفيقه وتسديده - فهانت عليهم بذلك المشاق والمكاره ، وسهل عليهم كل عظيم ، وزالت عنهم كل صعوبة ، وهذه معية خاصة تقتضى محبته ومعونته ، ونصره وقربه ، وهذا منقبة عظيمة للصابرين . فلو لم يكن للصابرين فضيلة إلا أنهم فازوا بهذه المعية من الله ، لكفى بها فضلاً وشرفاً ، وأما المعية العامة فهى معية العلم والقدرة ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ ﴾ وهذه عامة للخلق .

وأمر تعالى بالاستعانة بالصلاة لأن الصلاة هى عماد الدين ، ونور المؤمنين ، وهى الصلة بين العبد وبين ربه ، فإذا كانت صلاة العبد صلاة كاملة ، مجتمعاً فيها ما يلزم فيها ، وما يسن ، وحصل فيها حضور القلب الذى هو لبها ، فصار العبد إذا دخل فيها استشعر دخوله على ربه ، ووقوفه بين يديه ، موقف العبد الخادم المتأدب ، مستحضراً لكل ما يقوله وما يفعله ، مستغرقاً بمناجاة ربه ودعائه لا جرم أن هذه الصلاة ، من أكبر المعونة على جميع الأمور ، فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر .

ولأن هذا الحضور الذى يكون فى الصلاة ، يوجب للعبد فى قلبه ، وصفاً ، وداعياً يدعوه إلى امتثال أوامر ربه واجتناب نواهيه ، هذه هى الصلاة التى أمر الله أن يستعين بها على كل شيء .

تيسير الكريم الرحمن [١/١٠٩ - ١١١] .

أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : ٦٢] ذلك لأن الله ورسوله يلتقيان على حق واحد وليس لكل منهما حق ، وقول الحق سبحانه ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ﴾ [الجمعة : ١١] حيث أن للتجارة واللهو فى وقت الصلاة عمل واحد وهو : شَغْل المؤمنين عن العبادة والذكر .

والصبر والصلاة فيهما مشقة على النفس تبعدها عن نعيم الدنيا وزخرفها ، والصلاة تحارب استكبار النفس ؛ لذا فلا يتم الصبر بلا صلاة ولا تتقن الصلاة إلا بالصبر .

والخشوع يجعل الإنسان يستحضر عظمة الحق سبحانه ومدى ضآلة الإنسان أمام خالقه ؛ ذلك لأن الإنسان يعيش فى عالم من الأغيار ، ولذا يجب أن يخشع الإنسان للذى لا يتغير . والذين يغترون بالأسباب نقول لهم : اخشعوا لواهب الأسباب وخالقها ، واعلموا أن الأيام دولٌ فقوى اليوم ضعيف غدًا ، ألم يقل الحق : ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٠] وعليه فالخشوع لا يكون إلا لله والخاشع هو الطائع لله . الممتنع عن المحرمات الصابر على الأقدار المتيقن أن الأمر كله لله وحده وليس لأى قوة أخرى وهذا ما يؤكده قول الحق أيضًا : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٥٣] .

وقد سُئل الإمام علىّ رضى الله عنه عن حق الجار فقال : « تعلمون . أنك لا تؤذيه ؟ قالوا : نعم .. قال : وأن تصبر على أذاه » وقول الحق ﴿ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ هنا أى : يطلب منك الحق أن تواجه الحياة فى معية الله . والأحداث لا تملأ الناس بالفزع والهلع إلا ساعة الانفلات من منهج ربهم والذى يعيش فى معية ربه ومنهجه لا يجرؤ عليه شيطان ؛ لأن الشيطان بطبعه خنّاس ولا يستطيع أن يدخل

مع الله سبحانه فى معركة ولكنه يدخل معاركه مع من يبتعدون عن منهج الله سبحانه من الناس .

إذن .. لابد أن نعشق الصبر ؛ لأنه يجعلنا دائمًا فى معية الله سبحانه ، وإن هذه الآية لا تجعل الإنسان ييأس مهما لقى فى حركة حياته من مشقة .

وقلنا : إن الإنسان المخلوق لله عندما يقف كل يوم خمس مرات بين يدى الله فإنما يصلح من ذاته ويتطهر من ذنوبه [1] .

إن الإنسان صنعة الله ، وعندما يذهب الإنسان إلى لقاء خالقه جل وعلا ؛ فإنه يصلح ما يصيبه من عطب ؛ وقد لا يدرى الإنسان هذا اللون من العطب . وهكذا يُعد الخالق سبحانه خلقه لمواجهة كل ألوان المتاعب فى الحياة بقوله سبحانه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ ؛ إن الحق يدعو المؤمنين إلى الحضور الدائم فى معيته ، معية النصر والتأييد والمدد . إن أحداث الحياة والمصائب فيها لا يمكن أن تتسلط على النفس إلا إذا انعزلت النفس عن مصدر قوتها ، وفى هذا الموضع يأتى أمر الحق بالتكليف الواضح ؛ بالصبر على إيذاء اليهود وأهل الكتاب والمشركين لمشاعر المسلمين ، قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾[2] . الله تبارك وتعالى يطلب من المؤمنين أن يستعينوا بالصبر والصلاة فى أى أمر فى حركة الحياة يفوق طاقة المؤمن وقدرته ؛

(١) عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى من درنه شيء ؟ » قالوا : لا يبقى من درنه شيء . قال : « فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » .

أخرجه البخارى [٥٢٨] ، ومسلم [٦٦٧/٢٨٣] واللفظ له .

(٢) قال الإمام أحمد رحمة الله تعالى عليه : الصبر فى القرآن فى نحو تسعين موضعاً وهو واجب بإجماع الأمة . وهو نصف الإيمان . فإن الإيمان نصفان : نصف صبر ونصف شكر . وهو مذكور فى القرآن على ستة عشر نوعاً : =

لأن أى أمر لو كان فى مقدور الإنسان لما طلب المعونة ، ولنا أن نسأل : متى يطلب الإنسان المعونة ؟

= **الأول** : الأمر به . نحو قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [البقرة: ٤٥] . وقوله : ﴿ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] . وقوله : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ .

الثانى : النهى عن ضده كقوله : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ [الأحقاف : ٣٥] . وقوله : ﴿ فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾ [الأنفال : ١٥] . فإن تولية الأدبار : ترك للصبر والمصابرة . وقوله : ﴿ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ . فإن إبطالها ترك الصبر على إتمامها . وقوله : ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ ﴾ فإن الوهن من عدم الصبر .

الثالث : الثناء على أهله كقوله تعالى : ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧] . وقوله : ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ وهو كثير فى القرآن .

الرابع : إيجابه سبحانه محبته لهم كقوله : ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ .

الخامس : إيجاب معيته لهم ، وهى معية خاصة ، تتضمن حفظهم ونصرهم وتأييدهم ، ليست معية عامة ، وهى معية العلم والإحاطة ، كقوله : ﴿ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ . وقوله : ﴿ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤٩] .

السادس : إخباره بأن الصبر خير لأصحابه ، كقوله : ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ . ونوله : ﴿ وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [النساء : ٢٥] .

السابع : إيجاب الجزاء لهم بأحسن أعمالهم . كقوله تعالى : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٦] .

الثامن : إيجابه سبحانه الجزاء لهم بغير حساب . كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] .

التاسع : إطلاق البشرى لأهل الصبر . كقوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٥٥] . =

= **العاشر** : ضمان النصر والمدد لهم . كقوله تعالى : ﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران : ١٢٥] ومنه قول النبى ﷺ : « واعلم أن النصر مع الصبر »[1] .

الحادى عشر : الإخبار منه تعالى بأن أهل الصبر هم أهل العزائم . كقوله تعالى : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورى : ٤٣] .

الثانى عشر : الإخبار أنه ما يُلَقَّى الأعمال الصالحة وجزاؤها والحظوظ العظيمة إلَّا أهل الصبر كقوله تعالى : ﴿ ... وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ [القصص : ٨٠] . وقوله : ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٥] .

الثالث عشر : الإخبار أنه إنما ينتفع بالآيات والعبر أهل الصبر . كقوله تعالى لموسى : ﴿ ... أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم : ٥] وقوله فى أهل سبأ : ﴿ .. فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [سبأ : ١٩] . وقوله فى سورة الشورى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ .

الرابع عشر : الإخبار بأن الفوز المطلوب المحبوب والنجاة من المكروب المرهوب ودخول الجنة إنما نالوه بالصبر كقوله تعالى : ﴿ .. وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد : ٢٣ ، ٢٤] .

الخامس عشر : أنه يورث صاحبه درجة الإمامة . سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية =

(١) جزء من حديث رواه أحمد فى المسند [٣٠٧/١] ، والحاكم فى المستدرك [٥٤١/٣] عن ابن عباس رضى الله عنهما بلفظ : « واعلم أن مع الصبر النصر » . وصححه الشيخ أحمد شاكر فى المسند برقم [٢٨٠٤] .

= قدس الله روحه – يقول : بالصبر واليقين تنال الإمامة فى الدين . ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : ٢٤] .

السادس عشر : اقترانه بمقامات الإسلام والإيمان ، كما قرنه الله سبحانه باليقين والإيمان وبالتقوى والتوكل وبالشكر والعمل الصالح والرحمة ؛ ولهذا كان الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا إيمان لمن لا صبر له . كما أنه لا جسد لمن لا رأس له .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « خير عيش أدركناه بالصبر »[1] .

وأخبر النبى ﷺ فى الحديث الصحيح : « أنه ضياء »[2] .

وقال : « ومن يتصبر يصبره الله »[3] .

وفى الحديث الصحيح : « عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير . وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن . إن أصابته سراء شكر . فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضرّاء صبر ، فكان خيراً له »[4] .

وقال للمرأة السوداء التى كانت تصرع فسألته : أن يدعو لها : « إن شئت صبرت ، ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك » . فقالت : أصبر ، فقالت إنى أتكشف فادع الله لى أن لا أتكشف . فدعا لها[5] .

وأمر الأنصار رضى الله عنهم بأن يصبروا على الأثرة التى يلقونها بعده حتى يلقوه على الحوض[6] .

(١) أخرجه البخارى مُعَلَّقًا بصيغة الجزم . وقال الحافظ فى الفتح : قد وصله أحمد فى كتاب الزهد بسند صحيح عن مجاهد قال : قال عمر : « وجدنا خير عيشنا الصبر » . وأخرجه أبو نعيم فى الحلية من طريق أحمد كذلك . وأخرجه عبد الله بن المبارك فى كتاب الزهد من وجه آخر عن مجاهد به . فتح البارى [١١/٣٠٣] .

(٢) أخرجه مسلم [١/٢٢٣] ، عن أبى مالك الأشعرى رضى الله تعالى عنه .

(٣) أخرجه مسلم [١٢٤/١٠٥٣] ، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه .

(٤) أخرجه مسلم [٦٤/٢٩٩٩] ، عن صهيب الرومى رضى الله تعالى عنه .

(٥) أخرجه البخارى [٥٦٥٢] ، ومسلم [٥٤/٢٥٧٦] ، عن ابن عباس رضى الله عنهما .

(٦) أخرجه البخارى [٤٣٣٠] ، ومسلم [١٣٩/١٠٦١] ، عن عبد الله بن زيد رضى الله عنه .

الإنسان يطلب المعونة عند عدم القدرة . إذن .. لابد أن تستوعب قدرة الإنسان الفعل فيستطيع إنجازه ، ولكن ماذا يفعل الإنسان حين يجىء فعل يفوق قدرته ؟ ساعتها يجب عليه أن يستعين بالقادر الذى لا تنفذ قدرته أبدًا .

إن هذه الآية يستطيع المؤمن أن يسير على هُداها فى كل حركة فى الحياة ، فيقبل على الأشياء مستعيناً بمن خلق الأشياء سبحانه ، ولا يستعين الإنسان بالخالق جل وعلا إلا إذا كان مؤمنا به .

وقول الله تعالى : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ ﴾ معنى ذلك أن الحق ينبهنا إلى أن هناك أحداثا ستأتى لتستنفد الطاقة البشرية وتعلو عليها وتتخطاها ، والصبر هنا يدل على أن هذه الأحداث فيها إيلام وفيها مشقة ، وكأن الحق يعد النفس المؤمنة لعملية جهادية كبيرة قد تستنفد طاقة الإنسان العادى ، لكن المؤمن يستطيع أن يتحمل مشقة الأحداث بالصبر على ما يلاقيه ، إن الحق لا يُمَنِّى المؤمنين الذين اختاروا السير على الصراط المستقيم فى الحياة ، بأن طريق الإيمان طريق سهل خالٍ من المشاقّ . إن مهمة أهل الطريق المستقيم فى الحياة أنهم أصحاب حق ، وأصحاب الحق لا تستنفر هممهم إلا حين يستشرى الباطل ، والباطل حين يرى دنياه تتزلزل من تحت أقدامه فهو يحاول جاهدا أن يصدَّ جنود الحق .

= وأمر عند ملاقاة العدو بالصبر . وأمر بالصبر عند المصيبة . وأخبر : « أنه إنما يكون عند الصدمة الأولى »[1] .

وأمر ﷺ المصاب بأنفع الأمور له ، وهو الصبر والاحتساب . فإن ذلك يخفف مصيبته ويوفر أجره . والجزع والتسخط والتشكى يزيد فى المصيبة ، ويذهب الأجر . وأخبر ﷺ أن الصبر خير كله : فقال : « وما أعطى أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر »[2] .

مدارج السالكين [٢ / ١٧٤ : ١٧٨] .

(١) أخرجه البخارى [١٢٨٣] ، ومسلم [١٤/٩٢٦] ، عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه .

(٢) أخرجه البخارى [١٤٦٩] ، ومسلم [١٢٤/١٠٥٣] ، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه .

إن اللّه يهدد المؤمنين بأنهم سيواجهون عنفا ويواجهون شراسة ويواجهون مكراً ويواجهون كيداً ، فإياكم أيها المؤمنون أن تخور منكم القوة وأنتم تؤدون المهمة ، هذه المهمة هى : إعلاء كلمة اللّه فى الأرض ؛ وإخراج الناس من عبادة الناس إلى عبادة اللّه الواحد القهار ، وهذا الأمر لن يتم بيسر وسهولة ، لابد من المشقة وتحمل تبعات ذلك .

إن أعداء الإسلام سيتكالبون عليكم فكونوا أنتم أشد منهم قوة واستعينوا بالصبر .

والصبر هو أن يتحمل الإنسان لونين من المشقة .

اللون الأول من المشـقة هو : أن الطاعة قد تكون صعبة على النفس فعلى المؤمن أن يصبر عليها .

واللون الثانى من المشقة هو : أن الطاعة تتطلب أيضًا أن يكفَّ الإنسان عن شهوة تلح النفس عليها [1] ، وهذا أيضا يتطلب صبراً .

(١) ولذلك فقد قَسَّم العلماء « الصبر » إلى أنواع ، وذلك بالنسبة لما يستقبله العبد من أمور فى حياته وإلى أنواع أخرى بالنسبة لعلاقة المسلم بربه ، وعرَّفوا الصبر لغة وشرعاً ، وها نحن نذكر كلامهم على وجه من الاختصار الغير مخل ، فأنواع الصبر لما يستقبله العبد من أمور فى حياته هى :

١ - **الصبر فى اللغة** : الحبس والكف ومنه قوله تعالى ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الكهف : ٢٨] أى : احبس نفسك معهم ، كما قال الإمام ابن القيم . مدارج السالكين [٢ / ١٧٨] .

٢ - **الصبر شرعاً** : حبس النفس على ما يقتضيه الشرع ، فهو حبس النفس عن الجزع والتسخط ، وحبس اللسان عن الشكوى ، وحبس الجوارح عن المعاصى والبعد عن الله نتيجة ظروف الحياة .

وقد قال الراغب : فالصبر لفظ عام وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه ، فإن كان حبس النفس لمصيبة سُمِّىَ صبراً لا غير ويضاده الجزع .

وإن كان فى محاربة سُمِّىَ شجاعة ويضاده الجبن . =

إذن .. فالطاعة تتطلب صبرا فى حالة تنفيذ مطلوبها وتتطلب صبرا آخر فى حالة الابتعاد عن المشقة ، إن الطاعة تتطلب الصبر على القيام بعمل قد يرى الإنسان أنه شاق ، وتنهى عن عمل قد يرى الإنسان أنه سهل وفيه لذة ، لذلك نجد الرسول ﷺ يقول فى الحديث : « حُفَّتِ الجَنَّةُ بِالمكارِهِ ، وحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَواتِ » [1] .

الطاعة إذن تتطلب لونين من الصبر ، الصبر على مشقة الطاعة لتفعلها ، والصبر على ترك المعصية لتتجنبها ، لكن إذا ما ظلت النفس مع اللّه تعالى باتباع أمره واجتناب نهيه فلن تقدر أحداث الحياة أن تتسلط بالهموم على النفس الإنسانية . إن الإنسان المؤمن ما دام فى حصانة دينه فلا يقوى عليه حدث أبداً ، أما الإنسان المنعزل عن منهج اللّه فهو الذى تقوى عليه أحداث الحياة ؛ لأنه يواجهها بقدرته المحدودة ، وأما الإنسان المؤمن بمنهج اللّه فهو يعيش فى معية ربه القادر القدير ، فلا يتغلب عليه أحد أبدًا إلا إذا انعزل عن معيَّة ربه أو خالف فى شىء من منهجه ،

= وإن كان فى نائبة مضجرة سُمِّىَ رحب الصدر ويضاده الضجر .

وإن كان فى إمساك الكلام سمى كتماناً ويضاده المذل ، وقد سمى الله تعالى كل ذلك صبراً .

مفردات ألفاظ القرآن [ص ٤٧٤] .

وللصبر أنواع أخرى منها :

١ - **الصبر للّه** « فلا يرائى فيه » لقول اللّه تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة : ٥] .

٢ - **الصبر باللّه** : قال تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل : ١٢٧] . وقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢٦] .

٣ - **الصبر عن الله** : وهو حرام وذلك لمن ذاق حلاوة القرب من الله عز وجل ثم صبر على البعد عنه بعد ذلك .

مدارج السالكين [٢ / ١٧٨] وما بعدها .

(١) أخرجه البخارى [٦٤٨٧] عن أبى هريرة رضى اللّه عنه ، ومسلم [٢٨٢٢/١] عن أنس ابن مالك رضى اللّه عنه واللفظ له .

فإن أراد المؤمن أن يستديم نصر الله ، فليظل دائماً فى معية الله ، والحق يكون مع الصابرين ؛ حتى يعلموا أن الله تعالى يفرج عنهم .

إن أمر الحق للمسلمين بالصبر والصلاة ، هو تجديد استدامة الولاء له سبحانه عندما رحلوا من مكة إلى المدينة ، وكان اليهود فيها أصحاب شىء من العلم ؛ ولهم جزء من السيطرة على الاقتصاد ، لذلك جاء أمر الله بالاستعانة بالصلاة لتستمر القيم التى هجرها اليهود ، وأمرهم الحق بالزكاة ؛ لأن الزكاة فى جوهرها إيجاد حركة من الإنسان ؛ لتسع حاجتة وحاجة من يعول وتزيد ، وبذلك يستغنى المسلمون عن اليهود فلا يحتاجون إلى اقتصاد يسيطر عليه هؤلاء الذين لعنهم الله .

إن الأمر بالزكاة ، كان فى جوهره أمراً بزيادة الحركة فى الحياة ؛ ليواجه المسلمون أمور حياتهم بحزم ، ويصلحوا من هذه الأمور بمنهج الله .

إن الحق سبحانه وتعالى يعلم أن تبعات الإيمان ، ومواجهة المؤمنين لخصوم الإيمان ستتطلب من المسلمين مشقة عنيفة ، فهى تهددهم فى ذواتهم وفى أهلهم وفى أموالهم ؛ لذلك أراد الحق سبحانه وتعالى أن يعطى المؤمنين فى هذه البيئة مناعة ضد كل هذه الأشياء ، فأمرهم بالاستعانة بالصبر والصلاة ، فقال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ .

○○○

الصلاة .. الركن الفارق بين الإسلام والكفر

لو نظرت إلى أركان الإسلام الخمسة تجد أن المسلم قد يؤدى بعضها ويسقط عنه البعض الآخر .

إذن .. فهناك فرق بين أركان الإسلام وأركان المسلم ، فالمسلم الفقير الذى لا يجد الضرورات تسقط عنه الزكاة ، ويسقط عنه الحج ، والمسلم المريض مرضاً مزمناً يسقط عنه الصوم ، وإذا كان مريضًا وفقيرًا سقطت عنه الأركان الثلاثة . ولم يبق له من الأركان إلا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة ، وهذان لا يسقطهما عنه شىء ، ولا يحول دونهما حائل أبدًا ، لا فى الفقر ، ولا فى الغنى ، ولا فى الصحة ولا عند العجز .

لذا كانت الصلاة هى الفارقة بين المسلم وغير المسلم[1] وهى عماد الدين[2] وهى فريضة فى اليوم خمس مرات لإعلان دوام الولاء لله سبحانه ؛ ومن ثم كانت

---

(١) أخرج مسلم [١٣٤/٨٢] عن جابر رضى الله تعالى عنه قال : سمعت النبى ﷺ يقول : « إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » .

وروى الترمذى [٢٦٢١] والنسائى فى المجتبى [٤٦٣] ، ومحمد بن نصر المروذى فى كتاب الصلاة [١٠٠٣/٢] وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى [٢١١٣] .

عن يزيد ابن حبيب الأسلمى قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » .

وقال الترمذى : حديث صحيح ، إسناده على شرط مسلم .

(٢) وورد عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال : « الصلاة عمود الدين » . ذكره الألبانى فى ضعيف الجامع الصغير [٣٥٦٧] وعزاه لأبى نعيم ؛ الفضل بن دُكين فى الصلاة .

وروى الترمذى [٢٦١٦] عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : « .. ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت : بلى يا نبى الله ، قال : فأخذ بلسانه ، قال : « كف عليك هذا » . فقلت : يا نبى الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : =

الصلاة اهم اركان الإسلام ليس لهذا السبب سالف الذكر فقط ، ولكن لأن الصلاة أيضًا تشمل كافة الأركان .. كيف هذا ؟

إننا نعلم أن كل صلاة إنما تضم كل أركان الإسلام ففى كل صلاة نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وكل صلاة فيها زكاة لأن الزكاة إخراج بعض المال للفقراء ؛ والمال يأتى من العمل والعمل ، محتاج لوقت والصلاة تأخذ بعض وقتك الذى يمكن أن تستخدمه فى العمل ليعطيك رزقًا تزكى به ، فكأنك وأنت تصلى أعطيت بعض مالك لله تبارك وتعالى . فكأن الصلاة فيها زكاةُ الوقت .

ونأتى بعد ذلك للصوم وأنت فى الصوم تمتنع عن شهوة البطن وشهوة الفرج لبعض الوقت ، وكذلك فى الصلاة كما أنك لا تستطيع أن تأكل أثناء الصلاة ولا أن تقترب من زوجتك ، ولذا أنت بالصلاة تكون فى دائرة أوسع من الإمساك لشهوتى الفرج والبطن ذلك أنك ممنوع من الحركة وممنوع من الكلام .

فإذا جئنا إلى حج بيت الله الحرام ، نقول إنك ساعة تصلى لابد أن تتجه إلى بيت الله الحرام وتحرى القبلة ، إذن فكأن بيت الله الحرام الذى يقصده الحجيج يكون فى بالك وفى ذِكرك وأنت تتجه إليه فى كل صلاة .

وعلى ذلك فقد جمعت الصلاة أركان الإسلام الخمس كلها ، ولذلك قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عمر رضى الله تعالى عنه « إن الصلاة عمود الدين » ولذا فإن من أقامها فقد أقام الدين .

= « ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكُبُّ الناسَ فى النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم . رأس الأمر وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد ... » ، وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى [٢١١٠] .

والمتأمل لترتيب آيات القرآن يجد أن الصلاة مقرونة دائمًا بالزكاة لان الزكاة طهارة المال ، والصلاة طهارة الوقت ، ونحن محتاجون إلى الوقت لنعمل فيه حتى نأتى بالمال الذى نزكى به .

ومن ثم كانت الصلاة هى أهم أركان الإسلام والتى تجمع كل أركان الإسلام لبعض المسلمين الذين تسقط عنهم بعض الأركان لمرض أو فقر ومن هنا تتجلى عظمة الصلاة .

○○○

قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود : ١١٤] وهكذا كشف الله تعالى وجهًا من حكمته سبحانه فى القيام بالصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل وهى أن الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر ، ولكن ما هى الحسنة وما هى السيئة ؟ الحسنة هى ما رتب الله تعالى على عملها ثوابا ، والسيئة هى ما جعل الله سبحانه على عملها عقابا .

وأولى حسنات الإيمان أن نشهد أن لا إله إلا الله فَتُذْهِبُ حسنة الإيمان سيئةَ الكفر .

وقال بعض العلماء إذا كان الإيمان حسنة أذهبت سيئة الكفر ؛ فيامن تقول إن المؤمن الذى عمل الذنوب الكبائر سيخلد فى النار ما الفرق بين إنسانٍ عصى وهو مؤمن وإنسانٍ عصَى وهو كافر ؟

وإذا كان الإيمان حسنة أذهب الله تعالى بها الكفر ، ألا يذهب بها سبحانه ما هو دون الكفر ؟

إن الإيمان حسنة أذهب الله تعالى بها سيئة الكفر ، فالمؤمن العاصى مهما كانت معصيته لا يخلَّد فى النار ، لأنه ليس من العدل المساوة بين من آمن بالله تعالى ولكنه حدث عنده بعض التقصير فى أمور ، وبين من لم يؤمن بالله أصلًا .

إذن .. كلمة الإيمان قد صنعت حسنة كبيرة بأن أذهبت الكفر أولًا فمنعت خلود المؤمن فى النار ثانيًا ، ولذلك الفرقة الناجية التى جاءت فى أحاديث رسول الله ﷺ لا يخلد فى النار منها أحد أبدًا ، وإن كان يدخلها بقدر ما ارتكب من المعاصى ، إذا لم تتداركه رحمه الله تعالى بأن تكون حسناته أكثر فى ميزانه من

سيئاته ، أو يشفع الله تعالى فيها ، أو تناله شفاعة النبى ﷺ ، أو يشفع فيه أحدًا من المأذون لهم فى الشفاعة [١] .

والحسنات هى الفرائض التى فرضها الله تعالى على عباده ، إذن .. فالحسنات التى هى الفرائض تذهب بالسيئات التى هى المعاصى ، وما يوجب عذاب الله .

ولكن هناك أحاديث وردت فى غير الفرائض منها مثلا صوم يوم عرفة إلى عرفة يكفر السنة الماضية والباقية[٢] ، وعلى الإنسان إذا طعم طعامًا فعليه أن يقول : الحمد لله الذى أطعمنا هذا من غير حول منى ولا قوة . وإذا لبس ثوبًا جديدًا قال : الحمد لله الذى كسانى هذا الثوب من غير حول منى ولا قوة ، هذا الحمد يكفر الذنوب[٣] .

وإذا قلت : سبحان الله ، والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله تكفر الذنوب[٤] .

---

(١) انظر كتاب : « الشفاعة والمقام المحمود » لفضيلة الشيخ الإمام وهو من منشورات مكتبة التراث الإسلامى بالقاهرة .

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم [١١٦٢/١٨٧] عن أبى قتادة الأنصارى رضى الله عنه .

(٣) روى أبو داود [٤٠٢٣] عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أكل طعامًا ثم قال الحمد لله الذى أطعمنى هذا الطعام ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ومن لبس ثوبًا فقال : الحمد لله الذى كسانى هذا الثوب ورزقنيه من غير حول منى وقوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

وقال الألبانى فى صحيح أبى داود [٣٣٩٤] : حسن دون زيادة « وما تأخر » فى الموضعين .

(٤) روى ابن ماجه [٣٨٠٧] ، والحاكم فى المستدرك [١٨٨٧/٦٩٣/١] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ مر به وهو يغرس غرسًا فقال : يا أبا هريرة ما الذى تغرس ؟ قلت : غراسًا لى ، قال : ألا أدلك على غراس خير لك من هذا ؟ =

إذن .. فالحسنات تكون فرضا وتكون غير فرض ، وكلها تحسب حسنات ؛ والسيئات هى عمل توعَّدَ اللَّهُ من يعمله بالعقوبة فكيف تُذهب الحسنات السيئات ما دامت السيئات عملًا ؟ وهل العمل إذا وقع يرفع ؟ كيف تُذهب الحسنة السيئة ؟

نقول : إن السيئة إذا وقعت لا ترفع لأن الذهاب إما أن يكون ذهاب فعل وهذا ليس متأتيا ، وإما أن يكون ذهاب لأثر ذلك الفعل ، وهذا هو الذى يحدث ، فاللَّه سبحانه وتعالى يمحوه من كتاب سيئاتك .

إذن .. فإذهاب الفعل فى ذاته لا يحدث لأن الواقع لا يرفع وقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود : ١١٤] ليس معناه أنها تمنعها ، لأن السيئة وقعت فعلا ، ولكن السيئة إذا وقعت فإن الذى يترتب عليها من عقاب هو الذى يُرفع بموجب فعل الحسنات[1] .

= قال : بلى يا رسول اللَّه ، قال : « قل سبحان اللَّه ، والحمد للَّه ، ولا إله إلا اللَّه ، واللَّه أكبر ، يغرس لك بكل واحدة شجرة فى الجنة » .

وقال الألبانى فى صحيح ابن ماجه [٣٠٦٩] : صحيح .

(١) قال ابن كثير فى قوله : ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ يقول إن فعل الخيرات يكفر الذنوب السالفة [1] .

○ وروى عن علىّ بن أبى طالب رضى اللَّه تعالى عنه قال : كنت إذا سمعت من رسول اللَّه حديثًا نفعنى اللَّه بما شاء أن ينفعنى منه ، وإذا حدثنى أحد من أصحابه استحلفته ، فإذا حلف لى صدقته ، قال : حدثنى أبو بكر وصدق أبو بكر رضى اللَّه تعالى عنه أنه قال سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : ما من عبد يذنب ذنبًا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ركعتين ثم يستغفر اللَّه ، غفر اللَّه له ثم قرأ هذه الآية : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٣٥] . فيتوضأ ويصلى ركعتين إلا غفر له [2] . =

(١) تفسير ابن كثير [٤٤٣/٢] .

(٢) رواه أبو داود [١٥٢١] واللفظ له . والترمذى [٤٠٦] ، وابن ماجه [١٣٩٥] ، وأحمد فى المسند واللفظ له [١٠،٩،٨،٢/١] ، وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود [١٣٤٦] .

= وعن عثمان بن عفان رضى اللَّه تعالى عنه نال : رأيت رسول اللَّه يتوضأ ، وقال من توضأ نحو وضوئى هذا ثم قام فركع ركعتين لا يحدث فيهما نفسه ، غفر له ما تقدم من ذنبه [1] .

وعن عثمان رضى اللَّه تعالى عنه ؛ قال : رأيت رسول اللَّه ﷺ يتوضأ وضوئى هذا ثم قال : ومن توضأ وضوئى هذا ثم قام فصلى صلاة الظهر غُفر له ما بينها وبين الصبح ، ثم صلى العصر غفر له ما بينها وبين صلاة الظهر ، ثم صلى المغرب غفر له ما بينها وبين صلاة العصر ، ثم صلى العشاء غفر له ما بينها وبين صلاة المغرب ، ثم لعله أن يبيت يتمرغ ليلته ، ثم إن قام فتوضأ وصلى الصبح غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء ، وهن الحسنات يذهبن السيئات[2] .

عن أبى هريرة عن رسول اللَّه ﷺ أنه نال : أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شىء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شىء . قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو اللَّه بهن الخطايا [3] .

عن أبى هريرة أن رسول اللَّه ﷺ كان يقول الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر[4] .

وعن أبى أيوب الأنصارى أن رسول اللَّه ﷺ كان يقول : إن كل صلاة تحط ما بين يديها من خطيئة [5] .

عن عبد اللَّه بن مسعود رضى اللَّه تعالى عنه قال : أن رجلًا أصاب من امرأة قبلة فأتى النبى ﷺ فذكر ذلك له قال : فنزلت : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ [هود : ١١٤] ، قال الرجل : ألى هذا يا رسول اللَّه ؟ قال : لمن عمل بها من أمتى »[6] . =

(١) أخرجه البخارى [١٥٩] ، ومسلم [٣/٢٢٦] ، وأبو داود [١٠٦] .

(٢) رواه أحمد فى المسند [٧١/١] وقال الأرناؤوط : إسناده حسن .

(٣) أخرجه البخارى [٥٢٨] ، ومسلم [٢٨٢/٦٦٧] ، والترمذى [٢٨٦٨] ، وابن ماجه [١٣٩٧] .

(٤) أخرجه مسلم [١٦/٢٣٣] .

(٥) رواه أحمد فى المسند [٤١٣/٥] .

(٦) رواه البخارى [٤٦٨٧] ، ومسلم [٣٩/٢٧٦٣] ، والترمذى [٣١١٤] .

= عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنى عالجت امرأة فى أقصى المدينة وإنى أصبت منها ما دون أن أمسها ، فأنا هذا فاقض فى ماشئت ، فقال له عمر : لقد سترك الله لو سترت نفسك ، قال فلم يرد النبى ﷺ شيئًا فقام الرجل فانطلق فأتبعه النبى ﷺ رجلًا دعاه وتلا عليه هذه الآية : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ .

فقال رجل من القوم يا نبى الله هذا له خاصة ، قال : « بل للناس كافة »[1] .

وعن عبد الله بن مسعود قال رسول الله ﷺ إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن الله عز وجل يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطى الدين إلا لمن أحب ، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه ، والذى نفسى بيده لا يُسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه ، قالوا : وما بوائقه يا نبى الله ؟ قال : « غشمه وظلمه ، ولا يكسب عبد مالًا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ، ولا يتصدق به فيقبل منه ، ولا يترك خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار ، إن الله عز وجل لا يمحو السيء بالسيء ، ولكن يمحو السيء بالحسن ، إن الخبيث لا يمحو الخبيث »[2] .

وعن ابن عباس أن رجلًا أتى عمر فقال : امرأة جاءت تبايعه فأدخلتها الدولج ، فأصبت منها ما دون الجماع ، فقال : ويحك لعلها مغيب فى سبيل الله ؟ قال : أجل ، قال : فائت أبا بكر فاسأله ، قال : فأتاه فسأله ، فقال : لعلها مغيب فى سبيل الله ؟ فقال : مثل قول عمر ، ثم أتى النبى ﷺ فقال له مثل ذلك ، قال : فلعلها مغيب فى سبيل الله ؟ ونزل القرآن : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ إلى آخر الآية . =

(١) أخرجه مسلم [٤٢/٢٧٦٣] .

(٢) رواه أحمد فى المسند [٣٨٧/١] وقال الأرناؤوط إسناده : ضعيف ، وقال الدارقطنى فى العلل [٢٧١/٥] والصحيح أنه موقوف .

= فقال يا رسول الله : ألى خاصة ، أم للناس عامة ؟ فضرب عمر صدره بيده فقال : « لا .. ولا نعمة عين ، بل للناس عامة ، فقال رسول الله ﷺ صدق عمر »[1] .

وعن معاذ بن جبل أنه كان قاعدًا عند النبى ﷺ فجاء رجل فقال يا رسول الله ما تقول فى رجل أصاب من امرأة لا تحل له فلم يدع شيئًا يصيبه الرجل من امرأته إلا قد أصاب منها غير أنه لم يجامعها فقال له النبى ﷺ : « توضأ وضوءا حسنا ثم قم فصل » . فأنزل الله عز وجل هذه الآية يعنى قوله : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ ، فقال معاذ : ألهى له خاصة أم للمسلمين عامة ، قال : « بل للمسلمين عامة »[2] .

وعن سلمان رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى الصلوات الخمس تحاتت خطاياه كما يتحات هذا الورق ، وقال : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾[3] . [هود : ١١٤] .

وعن معاذ أن رسول الله ﷺ قال له يا معاذ أتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن[4] .

وعن أبى ذر أن رسول الله ﷺ قال : « اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن »[5] .

وعن أبى ذر قال قلت يا رسول الله أوصنى قال : إذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تمحها . قال : قلت يا رسول الله أمن الحسنات لا إله إلا الله ؟ قال هى أفضل الحسنات[6] .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « ما قال عبد لا إله إلا الله فى ساعة من ليل أو نهار إلا طلست مافى الصحيفة من السيئات حتى تسكن إلى مثلها من الحسنات[7] .

(١) رواه أحمد فى [٢٤٥/١] وقال الشيخ شاكر : إسناده صحيح ، والدولج بفتح الدال وسكون الواو وفتح اللام قال ابن الأثير : المخدع ، وهو البيت الصغير داخل البيت الكبير .

(٢) رواه الدارقطنى [١٣٤/١] .

(٣) رواه أحمد فى المسند [٤٣٧/٥] .

(٤) رواه أحمد فى المسند [٢٢٨/٥] .

(٥) رواه أحمد فى المسند [١٥٣/٥] .

(٦) رواه أحمد فى المسند [١٦٩/٥] .

(٧) رواه أبو يعلى الموصلى [٣٦١١] .

الصلاة تفرّج الهموم

يروى أنه كان رجلًا يسير فى الليل فرأى الجنود الذين يراقبون الطرقات فقال الرجل فى نفسه قد يظلمنى الجند بسؤالى أين كنت ؟ وإلى أين أنت ذاهب ؟ لذلك سأجرى منهم واختفى فى أى مكان وجرى الرجل واختبأ فى مكان خرب ، وداهم الجند ذلك المكان ووجدوا فيه قتيلاً وكانت كل الملابسات تشير إلى أن الرجل هو القاتل . واقتاد الجند الرجل إلى الحاكم . فماذا كان من الرجل ؟ لقد طلب الرجل أن يتوضأ وأن يصلى ركعتين للّه وأمهله الحاكم فصلى الرجل ودعا اللّه قائلاً : « اللهم إنك تعلم أنه لا شاهد لى على براءتى إلا أنت وأنت أمرتنا ألا نكتُم الشهادة فأسألك ذلك فى نفسك » .

لقد كان الرجل يؤمن يقيناً بأن اللّه قد أمر المؤمنين بألّا يكتموا الشهادة لذلك سأل الرجل ربه الحق أن يظهر براءته ، وعلى الفور دخل على الحاكم فجأة رجل وقال أنا القاتل ، فتعجب الحاكم وسأل الرجل الذى جاء ليقر أنه قاتل : لماذا تعترف على نفسك ولم يرك أحد ؟

قال القاتل : واللّه ما قررت إنما جاء هاتف فأجرى لسانى بما قلت .

القاتل يعترف أن هاتفاً قد جاء إليه فحرك خواطره فسار إلى الحاكم ليعترف أنه القاتل ، وهنا قام وليّ المقتول وصاحب الحق فى الدية وكان هو ابن القتيل ليقول : « اللّهُمّ إنى أُشْهِدُك أننى أعفيت قاتل أبى من ديته » .

إن تلك الحكاية تحكى للدلالة على طلاقة قدرة الحق سبحانه .

مظلوم بريء يصلى ركعتين للخالق كما علمنا رسول اللّه ﷺ فقد كان رسول اللّه ﷺ إذا حزبه أمر صلى[1] ، إن الإنسان عندما يقف بين يدى ربه

(١) رواه أبو داود [١٣١٩] عن حذيفة رضى اللّه تعالى عنه ، وحسنه الألبانى فى صحيح أبى داود [١١٧١] ، وأحمد فى المسند [٣٨٨/٥] .

ويناجيه فالحقُّ سبحانه هو القادر وحده على أن يعطى الإنسان مسألته لأننا جميعًا فى قبضته يفعل بنا ما يشاء وقت ما يشاء ، لا راد لأمره ، ولا معقب لحكمه ، فعلينا أن نصدق فى التوجه إليه ونخلص النية فى الطلب ، ونكثر فى الوقوف بين يديه ، فالصلاة لها شأن عظيم فهى ركن الإسلام الوحيد الذى فرض بالأمر المباشر من اللّه تعالى لرسوله ﷺ فى ليلة الإسراء والمعراج[1] .

(١) انظر كتاب : شرح حديث الإسراء والمعراج للشيخ الإمام ، فهو كتاب فريد فى بابه ، وهو من منشورات مكتبة التراث الإسلامي .
قال الإمام القصرى : الصلاة هى أكبر شعب الإسلام بعد الشهادة للّه وللرسول ، فأما كونها من شعب الإسلام فبيّن فى حديث جبريل وغيره من الأحاديث ؛ كيف وقد روى جابر عن رسول اللّه ﷺ أنه قال : « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر »[1] . وصفتها وما تحتاج إليه من أمور كل ذلك مكتوب فى كتب الفقه وأقل ما يجزى العبد فى فعلها ما رواه أبو هريرة رضى اللّه تعالى عنه وجماعة من الرواة : أن رسول اللّه ﷺ دخل المسجد فدخل رجل فصلى ثم جاء فَسَلم على رسول اللّه ﷺ فَرَدَّ رسول اللّه ﷺ عَليه السلام . قال : « ارجع فصل فإنك لم تصل » . فرجع الرجل فصلى كما كان صلى ، ثم جاء إلى النبى ﷺ فسلم عليه ، فقال رسول اللّه ﷺ : « وعليك السلام » ثم قال : « ارجع فصل فإنك لم تصل » حتى فعل ذلك ثلاث مرات . فقال الرجل : والذى بعثك بالحق ما أُحسن غير هذا ، علمنى . قال : « إذا قمت إلى الصلاة فكبر ، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعًا ، ثم ارفع حتى تعتدل قائمًا ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا ، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا ، ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها »[2] . =

(١) رواه الترمذى [٢٦٢١] ، وابن ماجه [١٠٧٩] ، والبيهقى فى السنن الكبرى [٣٦٦/٣] ، وأحمد فى المسند [٣٤٦/٥] ، والحاكم فى المستدرك [٧٤٦/١] ، وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى [٢١١٣] .
(٢) أخرجه البخارى [٧٥٧] ، ومسلم [٤٥/٣٩٧] ، وأبى داود [٨٥٦] ، والترمذى [٣٠٣] ، والنسائى [١٢٤/٢] وابن ماجه [١٠٦٠] وأحمد فى المسند [٤٣٧/٢] .

= ومنها فرائض كالصلوات الخمس ، وصلاة الجنائز ، وفى الآثار : أن اتباع الجنائز من الإيمان .
فهى شعبة من الإيمان - أعنى اتباع الجنائز - لأنها تذكر بالآخرة والوقوف بين يديه والجزاء والثواب والعقاب لكنّا اختصرنا ذكرها لأنها من جملة الصلوات فلم نفرد لها بابًا .
ومنها سنن كصلاة العيدين والاستسقاء والكسوف والوتر وركعتى الفجر .
ومنها فضائل كسائر النوافل .
وتأدية الصلاة وإقامة ركوعها وسجودها وتلاوتها ظاهراً إسلام .
فأما روح الصلاة وفهم معانيها فى مقام الإيمان ومقام الإحسان ، فإن أولها بعد التطهير والنظافة والدخول على الملك ، الانتهاض إلى موضع الصلاة وهى البقعة المقدسة من مسجد مبنى وغير مبنى ، فالمراد بالانتهاض والمشى انتهاض القلب والباطن وسيره ودخوله إلى عالم الملكوت وخروجه عن عالم الدنيا حتى يدخل إلى متعبد الملائكة الذى وجب الإيمان بهم فى العالم المقدس الذى ليس فيه ما يشغل عن الصلاة .
ثم القيام إلى الصلاة والمراد قيام القلب إلى أعلى عليين بين يدى الله تعالى .
ثم إحضار النية ، والمراد بها التقرب إلى الله بالصلاة وإخراج ما فى القلب سوى من أقبل عليه وذلك إشراف على من توجه إليه وغيبه من غيره فإذا أشرف على المطلوب يرفع الحجب الشاغلة عن القلب وقع له تعظيم المتجلى له وخالطته حرمته واحترامه فحينئذ يحرم بتكبيرة الإحرام لأنه فى موضع الاحترام والحرمة فيحرم عليه النظر إلى غيره والاشتغال بسواه فيقول : « الله أكبر » من أن يقبل على غيره أو يلتفت له من أجل ما عرف من جلالة القدر وعظيم الخطر أخذ فى الثناء على الله بالفاتحة فيقول : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ الذى هو على ما هو عليه ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أى سيد العالمين فتجلى له صفة السيادة لله التى استعبد بها العالمين على كثرتهم ويثنى عليه بصفاته ويناجيه بكلامه فيفهم من كلامه ومحادثته مع الله بفاتحة الكتاب والسورة ما يوجب له الخضوع بين يديه فيركع لزيادة التعظيم بشهادة أوصاف المتكلم معه ، فيقول : « الله أكبر » منحطًا للركوع أى أكبر مما وقع فى نفسى من تعظيمه .
والمراد من ركوع الجسد خضوع النفس والروح فى مقام الإيمان والإحسان بين يدى كبرياء الجليل العظيم . =

= ولذلك أُمر أن يقول فى ركوعه : « سبحان ربى العظيم » لما شاهد من معنى التعظيم الذى خضع له فيرفعه الله تعالى بكرمه إلى حالته الأولى التى هرب منها إلى الركوع لأن من تواضع لله ، أى : لأجل عظمة الله ، رفعه الله إليه ، فإذا رفعه إليه شاهد العبد نعمة الله عليه فى رفعه فيتدىء بالحمد والثناء فيقول : « سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا » فيجد فى وقوفه طمأنينة حلاوة المزيد والنعمة التى رفعه الله بها وهى استدعاؤه إلى القيام فخر ساجدًا شاكرًا ؛ لما أولاه فيضع وجهه على الأرض ظاهرًا ونفسه وروحه تحت الثرى الذى ليس وراءه فى السفل منتهى إلا نفوس العارفين والأولياء لأنهم لما هو عليه من الأسماء الحسنى والصفات العُلى شهداء فيضع نفسه تحت كل تحت ولذلك ليس وراء السجود منتهى فى التواضع والتكبير مستصحب له ، ومعناه ، أى : الله أكبر مما شاهدت ووقع فى نفسى من تعظيمه وأعلى .
فإذا وضع فى السجود نفسه أسفل من كل سفل بالمعنى الذى هو الذل شاهد من سفله علاء ربه فقال : « سبحان ربى الأعلى » فاستدعاه ربه للرفوع والقرب من البعد والمنزل الذى أنزل نفسه فى سجوده .
ومعنى التسبيح فى الركوع والسجود : تنزيه المركوع له والمسجود له من حالة الركوع والسجود أى سبحان من هو بخلاف حالة الركوع والسجود .
فلما استدعاه للرفوع قعد بالمجز بين يديه لأنه لم يطق القيام لما شاهد فى السجود من الإجلال والإعظام فقعد بين يديه بالسكينة والعجز وأقر بالعجز له أن يقوم بشىء من حق قدر ربه ولذلك أمر أن يقول فى قعوده بين السجدتين : « رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأعز الأكرم » .
فيجد رحمة الله قد غشيته والغفرة قد غمرته لأنه تجلى له بوصف زائد على الوصف الأول من أجل أن الرحمة مقرونة بالضعف ومسرعة إلى الاستكانة فزاد سجودًا آخر بحكم وصف آخر فعاد بالتواضع الذى هو المراد من السجود حتى لو وجد أن يضع نفسه فى أسفل مما وضعها فيه لوضعها وقد رجد الله مع كل رفع وخفض فإن الواجب على كل عبد أن يضع نفسه من التواضع فى خلاف ما هو الله عليه من الجلال والعظمة ، وذلك لا يمكن أبدًا إلا مع التجلى وزيادة التعظيم ، فكلما زاد تجلى الصفات زاد التواضع بقدر ذلك أبدًا .=

= وكذلك لما زاد الإكرام زاد الشكر والثناء والتجلى دائمًا أبد الآبدين .

وكذلك التواضع دائم أبد الآبدين والشكر والثناء وجميع ما يليق بتجلى أوصاف البارى ، والحمد لله على ما هو عليه .

ثم يدعوه ربه إلى الاقتراب منه وهو معنى القيام إلى الركعة الثانية فيجرى له ما جرى له فى الأول بحكم الزيادة لأن الصلاة إنما هى ركعة واحدة فيها تمت معانى الصلاة وغير ذلك من الركعات تكرير فلا يزال ذلك دأبه مع مولاه من فهم خطابه وشهود أوصافه فى قيامه وانحطاطه ورفوعه وأذكاره وسجوده وجلوسه إلى آخر صلاته حتى يمتلىء ظاهره وباطنه نورًا وبركة ورحمة وسرورًا وتواضعًا وحياءً وغير ذلك مما لا يحصى من أحوال المصلين العارفين الخاشعين ، فعند ذلك يقعد فى آخر صلاته فيأخذ فى التشهد والشهادة لله بما هو له أهل والثناء كما يجب وتفرد التحية والملك له والتزكية والتنزيه والمدح لبارئه بقول : « التحيات لله الزاكيات لله الطيبات »[1] .

وتفرد العبودية له بقوله : « الصلوات لله » ويسلم على أكرم الوسطاء الذى هداه الله به إلى ما هو فيه محمد عليه الصلاة والسلام ثم يقر بكل ما جاء به من عند الله ويصلى عليه .

فإذا فرغ من الإقرار والشهادة بكل ما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام من الإيمان من الغيوب والدعاء والسؤال فعند ذلك تمت له النعم بتمام الصلاة وكمالها ووجب التحلل منها بتمامها فأمر بالخروج إلى عالم الحس والملك فعند ذلك قال : « السلام عليكم » لأنه كان فى الحضرة العلية خارجًا عن عالم الحس مودعًا له كما قال محمد عليه الصلاة والسلام « صل صلاة مودع »[2].

أى لأنه خارج عن هذا العالم إلى الحضرة العلية فإذا قدم على هذا العالم وشاهد من حوله من الأملاك والإنس قال : « السلام عليكم » فيسلم على من على يمينه وشماله =

(١) رواه الترمذى [٢٨٩] ، وأبى داود [٩٧١] ، وابن ماجه [٨٩٩] ، والنسائى [٢٣٧/٢] ، وأحمد فى المسند [٤١٣/١] .

(٢) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد [٢٢٩/١٠] ، والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين [١٦١/٣] ، والمنذرى فى الترغيب والترهيب [٢٤٧/٤] والألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة [١٩١٤] .

= وحل له ما حرم عليه قبل ذلك ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : « تحريمها التكبير وتحليلها التسليم »[1] .

فمن صحت له مثل هذه الصلاة وجبت له الكرامة عليها ، ومن اعترضه الوسواس فليجاهد يكتب له أجر المجاهد إذا فاتته معية الإحسان ومن اقتطعته الغفلات أمثالنا وعُدم النصيب الأوفر ومشاهدة المذكور الأكبر كتب له ما عقل وذلك فضل عظيم من الله لأن صلاته كانت فى موجب الأدب أسرع إلى العقوبة منها أن يكتب له ما عقل إذ لا يدرى بين يدى من هو حتى يعرض إلى غيره بقلبه وهو واقف راكع ساجد بجسده .

فعليه أن يكثر التنفل ليجبر ذلك النقص فإنه مطالب به كما ورد : أن النوافل جبر الفرائض .

لأنه لم يؤدها على الوجه الذى يجب والمعنى الذى أمر به ولم يكلف الله الخلق من العبادة إلا ما يطيقون لكن شغلهم بغير ذكر الله حرمهم واقتطعهم عما افترض عليهم .

ونسأل الله الكريم أن يتغمدنا برحمته ويتجاوز عن ذنوبنا وتصيرنا برحمته ، فلو لم تكن لنا ذنوب إلا التقصير فى أداء الفرائض لكان كافيًا .

فهذا هو روح الصلاة من حيث المعنى .

وقد انتظم فيما تقدم من الكلام المقامات الثلاثة من الإسلام والإيمان والإحسان . فافهم .

وأما فهم الصلاة من جهة تركيبها وتفاصيل أعضائها وهيئاتها فإنها على صورة عبادة العالم الكلى وعلى هيئة صلاة العابدين فيه .

فالقيام إلى الصلاة ليكون مع الذين يعرجون إلى الله تعرج الملائكة والروح إليه والوقوف ليكون مع القائمين المشاهدين والذكر ليكون مع الذاكرين والهبوط ليكون مع المتنزلين والركوع ليكون مع الراكعين الخاضعين والرفوع ليكون مع الصاغرين والسجود ليكون مع الساجدين والفكر والجولان بالفهم والعقل ليكون مع السائحين السابحين الدائرين والحضور ليكون مع الحاضرين الروحانيين ووجود الراحة والنعيم بها ليكون مع الملائكة المقربين المشتاقين المحبين والخشوع ليكون مع الخائفين والمكروبين . والمجاهدة بالأذكار =

(١) أورده الزيلعى فى نصب الراية [٣٠٧/١] ، وابن عبد البر فى التمهيد [١٨٢/٩] ، والقرطبى فى التفسير [٦٢/١٩] ، والهيثمى فى مجمع الزوائد [١٠٤/٢] .

.....

○○○

= وعقله تلك المعانى وشهد المراد بكل ركن منها ومعنى من معانيها ؛ فقد صلى بجسد وفعل أركان الصلوات كما أمر بظاهره وباطنه وجملته فى عالم الحس ومقام الإسلام وفى عالم الغيب ومقام الإيمان وفى غيب الغيب ومقام الإحسان ووجد طعم المعانى الثلاث .

مَنَّ اللَّه علينا وعليكم بالكمال فى كل شىء . آمين بِمَنِّه ورحمته وصلى اللَّه على محمد وآله وسلم .

شعب الإيمان [ص : ١٢٦:١١٩] .

قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨] .

معنى قوله تعالى : ﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ ﴾ أى : الصلوات الخمس المفروضة ؛ فما المقصود بقوله تعالى : ﴿ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ ؟ (١) .

(١) أخرج البخارى [٢٩٣١] ، ومسلم [٦٢٧/٢٠٢] عن على رضى اللَّه تعالى عنه ؛ قال : لما كان يوم الأحزاب قال رسول اللَّه ﷺ : « ملأ اللَّه قبورهم وبيوتهم نارًا كما حبسونا وشغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس » .

وفى رواية أخرى [٦٢٧/٢٠٥] عنه أيضًا قال : قال رسول اللَّه ﷺ يوم الأحزاب « شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ، ملأ اللَّه بيوتهم وقبورهم نارًا » ثم صلاها بين العشاءين ، بين المغرب والعشاء .

قوله : ﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ هى تأنيث الأوسط ، والأوسط الأعدل من كل شىء ، وليس المراد به التوسط بين الشيئين لأن فعلى معناها التفضيل ، ولا يبنى للتفضيل إلا ما يقبل الزيادة والنقص ، والوسط بمعنى الخيار ، والعدل يقبلهما ، بخلاف المتوسط فلا يقبلهما فلا يبنى منه أفعل تفضيل .

قال الحافظ : قوله : « حبسونا عن صلاة الوسطى » أى : منعونا عن صلاة الوسطى ، أى : عن إيقاعها .

زاد مسلم من طريق شتير بن شكل عن على : « شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر » وزاد فى آخره : « ثم صلاها بين المغرب والعشاء » .

ولمسلم عن ابن مسعود نحو حديث علىّ ، وللترمذى والنسائى من طريق زر بن حبيش عن على مثله .

ولمسلم أيضًا من طريق أبى حسان الأعرج عن عبيدة السلمانى عن على فذكر الحديث بلفظ : « كما حبسونا عن الصلاة الوسطى حتى غربت الشمس » يعنى : العصر .

وروى أحمد والترمذى من حديث سمرة رفعه قال : « صلاة الوسطى صلاة العصر » .

وروى ابن جرير من حديث أبى هريرة رفعه « الصلاة الوسطى صلاة العصر » . =

= ومن طريق كهيل بن حرملة : « سُئل أبو هريرة عن الصلاة الوسطى فقال : اختلفنا فيها ونحن بفناء بيت رسول الله ﷺ وفينا أبو هاشم بن عتبة فقال : أنا أعلم لكم ، فقام فاستأذن على رسول الله ﷺ ثم خرج إلينا فقال : أخبرنا أنها صلاة العصر » .

ومن طريق عبد العزيز بن مروان أنه أرسل إلى رجل فقال : أى شيء سمعت من رسول الله ﷺ فى الصلاة الوسطى ؟ فقال : أرسلنى أبو بكر وعمر أسأله وأنا غلام صغير فقال : هى العصر .

ومن حديث أبى مالك الأشعرى رفعه « الصلاة الوسطى صلاة العصر » .

وروى الترمذى وابن حبان من حديث ابن مسعود مثله .

وروى ابن جرير من طريق هشام بن عروة عن أبيه قال : « كان فى مصحف عائشة : حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وهى صلاة العصر » .

وروى ابن المنذر من طريق مقسم عن ابن عباس قال : « شغل الأحزاب النبى ﷺ يوم الخندق عن صلاة العصر حتى غربت الشمس فقال : شغلونا عن الصلاة الوسطى » .

وأخرج أحمد من حديث أم سلمة وأبى أيوب وأبى سعيد وزيد بن ثابت وأبى هريرة وابن عباس من قولهم : إنها صلاة العصر .

وقد اختلف السلف فى المراد بالصلاة الوسطى ، وجمع الدمياطى فى ذلك جزءًا مشهورًا سماه « كشف الغطا عن الصلاة الوسطى » فبلغ تسعة عشر قولًا : أحدها الصبح ، أو الظهر أو العصر أو المغرب أو جميع الصلوات .

فالأول : قول أبى أُمامة وأنس وجابر وأبى العالية وعبيد بن عمير وعطاء وعكرمة ومجاهد وغيرهم نقله ابن أبى حاتم عنهم وهو أحد قولى ابن عمر وابن عباس ، ونقله مالك والترمذى عنهما ، ونقله مالك بلاغًا عن على والمعروف عنه خلافه .

وروى ابن جرير من طريق عوف الأعرابى من ابن أبى رجاء العطاردى قال : « صليت خلف ابن عباس الصبح فقنت فيها ورفع يديه ثم قال : هذه الصلاة الوسطى التى أُمرنا أن نقوم فيها قانتين » .

وأخرجه أيضًا من وجه آخر عنه وعن ابن عمرو من طريق أبى العالية : « صليت خلف عبد الله بن قيس بالبصرة فى زمن عمر صلاة الغداة فقلت لهم : ما الصلاة الوسطى ؟ =

= قالوا : هى هذه الصلاة » وهو قول مالك والشافعى فيما نص عليه فى « الأم » واحتجوا له بأن فيها القنوت ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨] وبأنها لا تقصر فى السفر ، وبأنها بين صلاتى جهر وصلاتى سر .

والثانى : قول زيد بن ثابت أخرجه أبو داود من حديثه قال : « كان النبى ﷺ يصلى الظهر بالهاجرة ، ولم تكن صلاة أشد على أصحاب رسول الله ﷺ منها ، فنزلت : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ ﴾ الآية » .

وجاء عن أبى سعيد وعائشة القول بأنها الظهر . أخرجه ابن المنذر وغيره ، وروى مالك فى « الموطأ » عن زيد بن ثابت الجزم بأنها الظهر وبه قال أبو حنيفة فى رواية .

وروى الطيالسى من طريق زهرة بن معبد قال : « كنا عند زيد بن ثابت فأرسلوا إلى أُسامة فسألوه عن الصلاة الوسطى فقال : هى الظهر » .

ورواه أحمد من وجه آخر وزاد : « كان النبى ﷺ يصلى الظهر بالهجير فلا يكون وراءه إلا الصف أو الصفان والناس فى قائلتهم وفى تجارتهم ، فنزلت » .

والثالث : قول علىّ بن أبى طالب فقد روى الترمذى والنسائى من طريق زر بن حبيش قال : « قلنا لعبيدة سل عليًا عن الصلاة الوسطى ، فسأله فقال : كنا نرى أنها الصبح ، حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الأحزاب : شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر » انتهى . وهذه الرواية تدفع دعوى من زعم أن قوله صلاة العصر مدرج من تفسير بعض الرواة وهى نص فى أن كونها العصر من كلام النبى ﷺ ، وأن شبهة من قال إنها الصبح قوية ، لكن كونها العصر هو المعتمد ، وبه قال ابن مسعود وأبو هريرة ، وهو الصحيح من مذهب أبى حنيفة وقول أحمد والذى صار إليه معظم الشافعية لصحة الحديث فيه ، قال الترمذى : هو قول أكثر علماء الصحابة . وقال الماوردى : هو قول جمهور التابعين . وقال ابن عبد البر : هو قول أكثر أهل الأثر ، وبه قال من المالكية ابن حبيب وابن العربى وابن عطية ، ويؤيده أيضًا ما روى مسلم عن البراء بن عازب « نزل حافظوا على الصلوات وصلاة العصر » فقرأناها ما شاء الله ، ثم نُسخت فنزلت ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ ﴾ ، فقال رجل : فهى إذن صلاة العصر ، فقال : أخبرتك كيف نزلت » .

=

= **والرابع** : نقله ابن أبى حاتم بإسناد حسن عن ابن عباس قال : صلاة الوسطى هى المغرب ، وبه قال قبيصة بن ذؤيب أخرجه ابن جرير ، وحجتهم أنها معتدلة فى عدد الركعات وأنها لا تقصر فى الأسفار وأن العمل مضى على المبادرة إليها والتعجيل لها فى أول ما تغرب الشمس وأن قبلها صلاتا سر وبعدها صلاتا جهر .

والخامس : وهو آخر ما صححه ابن أبى حاتم أخرجه أيضًا بإسناد حسن عن نافع قال : « سُئل ابن عمر فقال : هى كلهن ، فحافظوا عليهن » وبه قال معاذ ابن جبل ، واحتج له بأن قوله : ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ يتناول الفرائض والنوافل ، فعطف عليها الوسطى وأريد بها كل الفرائض تأكيدًا لها ، واختار هذا القول ابن عبد البر .

وأما بقية الأقوال فالسادس : أنها الجمعة ، ذكره ابن حبيب من المالكية واحتج بما اختصت به من الاجتماع والخطبة ، وصححه القاضى حسين فى صلاة الخوف من تعليقه ، ورجحه أبو شامة .

السابع : الظهر فى الأيام والجمعة يوم الجمعة .

الثامن : العشاء نقله ابن التين والقرطبى واحتج له بأنها بين صلاتين لا تقصران ولأنها تقع عند النوم فلذلك أمر بالمحافظة عليها واختاره الواحدى .

التاسع : الصبح والعشاء للحديث الصحيح فى أنهما أثقل الصلاة على المنافقين ، وبه قال الأبهرى من المالكية .

العاشر : الصبح والعصر لقوة الأدلة فى أن كلًا منهما قيل إنه الوسطى ، فظاهر القرآن الصبح ونص السنة العصر .

الحادى عشر : صلاة الجماعة .

الثانى عشر : الوتر وصنف فيه علم الدين السخاوى جزءًا ورجحه القاضى تقى الدين الأخنائى واحتج له فى جزء رأيته بخطه .

الثالث عشر : صلاة الخوف .

الرابع عشر : صلاة عيد الأضحى .

الخامس عشر : صلاة عيد الفطر .

السادس عشر : صلاة الضحى . =

= **السابع عشر** : واحدة من الخمس غير معينة قاله الربيع بن خثيم وسعيد بن جبير وشريح القاضى وهو اختيار إمام الحرمين من الشافعية ذكره فى النهاية قال : كما أخفيت ليلة القدر .

الثامن عشر : أنها الصبح أو العصر على الترديد وهو غير القول المتقدم الجازم بأن كلًا منهما يقال له الصلاة الوسطى .

التاسع عشر : التوقف فقد روى ابن جرير بإسناد صحيح عن سعيد بن المسيب قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ مختلفين فى الصلاة الوسطى هكذا وشبك بين أصابعه .

العشرون : صلاة الليل وجدته عندى وذهلت الآن عن معرفة قائله .

وأقوى شبهة لمن زعم أنها غير العصر مع صحة الحديث حديث البراء الذى ذكرته عند مسلم فإنه يشعر بأنها أُبهمت بعدما عينت كذا قاله القرطبى ، قال : وصار إلى أنها أُبهمت جماعة من العلماء المتأخرين ، قال : وهو الصحيح لتعارض الأدلة وعسر الترجيح . وفى دعوى أنها أُبهمت ثم عينت من حديث البراء نظر ، بل فيه أنها عينت ثم وثقت ، ولهذا قال الرجل : فهى إذن العصر ولم ينكر عليه البراء ، نعم جواب البراء يشعر بالتوقف لما نظر فيه من الاحتمال ، وهذا لا يدفع التصريح بها فى حديث علىّ .

ومن حجتهم أيضًا ما روى مسلم وأحمد من طريق أبى يونس عن عائشة أنها أمرته أن يكتب لها مصحفًا ، فلما بلغت ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ قال : فأملت على « وصلاة العصر » قالت : سمعتها من رسول الله ﷺ .

وروى مالك عن عمرو بن رافع قال : كنت أكتب مصحفًا لحفصة فقالت : إذا بلغت هذه الآية فآذنى ، فأملت على : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر » ، وأخرجه ابن جرير من وجه آخر حسن عن عمرو بن رافع ، وروى ابن المنذر من طريق عبيد الله بن رافع « أمرتنى أم سلمة أن أكتب لها مصحفًا » فذكر مثل حديث عمرو بن رافع سواء .

ومن طريق سالم بن عبد الله بن عمر أن حفصة أمرت إنسانًا أن يكتب لها مصحفًا نحوه . =

= ومن طريق نافع أن حفصة أمرت مولى لها أن يكتب لها فذكر مثله وزاد : « كما سمعت رسول الله ﷺ يقولها » قال نافع : فقرأت ذلك المصحف فوجدت فيه الواو فتمسك قوم بأن العطف يقتضى المغايرة فتكون صلاة العصر غير الوسطى .

وأجيب بأن حديث علىّ ومن وافقه أصح إسنادًا وأصرح ؛ وبأن حديث عائشة قد عورض برواية عروة أنه كان فى مصحفها « وهى العصر » فيحتمل أن تكون الواو زائدة ، ويؤيده ما رواه أبو عبيد بإسناد صحيح عن أُبى بن كعب أنه كان يقرأها : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر » بغير واو ، أو هى عاطفة لكن عطف صفة لا عطف ذات ، وبأن قوله والصلاة الوسطى والعصر لم يقرأ بها أحد ، ولعل أصل ذلك ما فى حديث البراء أنها نزلت أولًا والعصر ، ثم نزلت ثانيًا بدلها والصلاة الوسطى ، فجمع الراوى بينهما ، ومع وجود الاحتمال لا ينهض الاستدلال ، فكيف يكون مقدمًا على النص الصريح بأنها صلاة العصر .

قال شيخ شيوخنا الحافظ صلاح الدين العلائى : حاصل أدلة من قال إنها غير العصر يرجع إلى ثلاثة أنواع :

أحدها : تنصيص بعض الصحابة وهو معارض بمثله ممن قال منهم إنها العصر ، ويترجح قول العصر بالنص الصريح المرفوع ، وإذا اختلف الصحابة لم يكن قول بعضهم حجة على غيره فتبقى حجة المرفوع قائمة .

ثانيها : معارضة المرفوع بورود التأكيد على فعل غيرها كالحث على المواظبة على الصبح والعشاء وقد تقدم فى كتاب الصلاة ، وهو معارض بما هو أقوى منه وهو الوعيد الشديد الوارد فى ترك صلاة العصر ، وقد تقدم أيضًا .

ثالثها : ما جاء عن عائشة وحفصة من قراءة : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر » فإن العطف يقتضى المغايرة ، وهذا يرد عليه إثبات القرآن بخبر الآحاد وهو ممتنع ، وكونه يتزل منزلة خبر الواحد مختلف فيه . سلمنا لكن لا يصلح معارضًا للنصوص صريحًا ، وأيضًا فليس العطف صريحًا فى اقتضاء المغايرة لوروده فى نسق الصفات كقوله تعالى : ﴿ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ [الحديد : ٣] .

فتح البارى [٩/٥٤-٥٧] .

ساعة يأتى خاص وعام مثل قوله تعالى : ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ [نوح : ٢٨] . فكم مرة دخل الأب والأم هنا ، مرة عند قول الحق سبحانه : ﴿ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ ﴾ .

والثانية : فى قوله تعالى : ﴿ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا ﴾ .

والثالثة : فى قوله تعالى : ﴿ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ .

إذن .. إيجاد عام بعد خاص ، يعنى أن يدخل الخاص فى العام فيتكرر الأمر بالنسبة للخاص تكرارًا يناسب خصوصيته .

وقول الحق : ﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ تعطى ذلك المعنى فإذا سألنا : ما معنى ﴿ حَٰفِظُوا۟ ﴾ ؟ فالحفظ يقابله النسيان أو التضييع ، والاثنان يلتقيان فالذى حفظ شيئًا ثم نسيه ، فقد ضيعه وكلها معان تلتقى فى فقد الشىء ، والحفظ معناه أن تضمن بقاء شىء كان عندك كحفظ القرآن ، أو رزقت بمال فلابد أن تحافظ عليه .

إذن .. قوله تعالى : ﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ ﴾ معناه لا تضيعوها خاصة لمن ذاق حلاوة التكليف وتقرب إلى الله سبحانه بما افترضه عليه ، وزاد من جنس ما افترضه عليه تطوعًا . وذلك أدعى للتمسك بها والمحافظة عليها هذا بالنسبة للصلوات الخمس .

أما قول الحق : ﴿ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ فهو ذكرٌ للخاص بعد العام ، فكأن الله سبحانه أراد المحافظة على الخاص مرتين مرة داخل دائرة العموم ﴿ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ ومرة أفردها الله سبحانه بالخصوص ، هى قوله : ﴿ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ ؛ وما العلة ؟

إن « وسطى » هى تأنيث « أوسط » وهى أمر بين شيئين على الاعتدال أى أن الطرفين متساويان ولا يتم ذلك إلا إذا كانت عدد الصلوات وتر لأن عدد

الصلوات لو كانت زوجية لما عرفنا الوسطى فيها ووسط الخمس أى التى يسبقها صلاتان ويعقبها صلاتان ، أى يسبقها الأولى والثانية ، ويعقبها الرابعة والخامسة .

فإذا كان الاعتبار بفرضية الصلاة فإن أول صلاة مفروضة هى صلاة الظهر وبعدها العصر فالمغرب فالعشاء فالفجر ، وعليه تكون ﴿ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ بتشريع الصلاة هى المغرب وهو رأى يقول به الكثير من العلماء .

وإن أخذت الوسطى بحسب عدد الركعات فهناك صلاة قوامها ركعتان كالفجر ، وصلاة قوامها أربع ركعات كالظهر والعصر والعشاء ، وصلاة من ثلاث ركعات كالمغرب ، والوسط هنا يكون الصلاة الثلاثية وهى المغرب .

وإن أخذتها بالنسبة للنهار فالصبح أول النهار ، والظهر بعده ثم المغرب والعشاء ؛ فالوسطى هنا هى العصر .

وإن أخذتها على أنها الوسط بين الجهرية والسرية ، فيحتمل أن تكون هى الصبح أو المغرب ؛ لأن الصلوات السرية هى الظهر والعصر والجهرية هى المغرب والعشاء والفجر ، وبين العشاء والظهر تأتى صلاة الصبح ، وبين العصر والعشاء تأتى صلاة المغرب .

وإن أخذتها لاجتماع ملائكة طرفى النهار فتكون صلاة العصر وصلاة الصبح إذن .. فالوسط يأتى من الاعتبار الذى يُحسب به إذا كان عدداً أو تشريعاً أو عدد ركعات أو سرية أو جهرية أو حسب نزول الملائكة . وكل اعتبار من هؤلاء له حكم .

ولماذا أخفى اللّه سبحانه ذكرها عنا ؟ نقول : أخفاها سبحانه ليعلمها غاية العلم ؛ ولنعلم أن هناك فرق بين الشيء لذاته ، والشيء الذى يبهم فى سواه ؛ ليكون كل شيء هو الشيء فيؤدى ذلك إلى المحافظة على جميع الصلوات .

فإبهام الشيء إنما جاء لإشاعة بيانه ؛ ولذلك أبهم اللّه ليلة القدر لنهتم بكل الليالى وبدل أن تكون ليلة قدر يصبح ليالى قدر ، وكذلك أبهم الموت كى يعلمنا به غاية العلم .

ويريد الحق أن نقوم لكل صلاة ونحن قانتون ، والقنوت فى اللغة معناه المداومة على الشيء حتى أثناء الحروب كما أن الصلاة واجبة على الدوام حتى لو كان الإنسان سائرًا على قدميه أو راكبًا .

○○○

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الجمعة : ٩] .

إن الله تبارك وتعالى شرع للمسلمين أداء الصلوات جماعة فى المسجد ، والسنة المشرفة وضحت ذلك وبينته ، ولكن فى صلاة الجمعة أنزل الله تعالى آية صريحة أمر فيها سبحانه عباده المؤمنين أن يتخلوا عن كل عمل ساعة يسمعوا نداء الجمعة ويذهبوا من فورهم للمسجد .

لأن الله لا يريد استدامة الولاء الفردى فقط وإنما يريد استدامة الولاء الجماعى ، لأن الولاء الجماعى ؛ هو إعلان من كل إنسان بالعبودية لله أمام بقية مخلوقات الله .

وحينئذ ينقطع من البشرية مظهر استعلاء إنسان على إنسان .. لأن الضعيف منا فى الجاه أو المال أو النفوذ أو أى مظهر من مظاهر الحياة الخارجية فى هذه الصلاة يرى من هو أقوى منه مساو له فى سجوده لربه ، وهنا يتلاشى مظهر التعالى بين البشر ، لذا يُلزمنا الله تبارك وتعالى بهذا الاجتماع الأسبوعى مرة فى يوم الجمعة تذكيراً بعظمة الخالق الحق وتعظيمًا لحقه علينا .

لأن الإنسان عُرضة أن يغفل إذا مر عليه أسبوع وهذه الغفلة قد تقوده إلى العلو أو الاستكبار .

لذا فصلاة الجمعة اجتماع عظيم يذكر الجميع بالعبودية لله تعالى ، فيشعر الإنسان بالمساواة مع كل البشر .

وقول الحق سبحانه : ﴿ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ﴾ أى : اتركوا البيع ؛ ولماذا لم يأت الحق بالشراء ؟ ذلك لأن البيع دائمًا يكون أهم أركان الصفقة التى تحقق الربح أما فى الشراء فإن الإنسان يعيش بالشراء موقنًا غير محبب إلى نفسه لأن فيه غرمًا ، بل إن

المشترى قد يبحث عن سبب لكى لا يشترى وكذلك لم يَقُل الحق لنا اتركوا الزراعة أو الصناعة لأن حصيلة هذه الأشياء لا تظهر إلا بعد وقت طويل أما الصفقات التجارية فتظهر نتيجتها فورًا لذا كان ذكر المنع من البيع يقتضى منع غيره من باب أولى .

وهكذا نرى أن ترك البيع والسعى لذكر الله من أجل هدف واضح هو تجديد الولاء الجماعى لله سبحانه وتعالى ، يجعل كل فرد فى المجتمع يشعر بالعدل فيحقق المجتمع الاستطراق ، أى : مساواة أقدار الناس واحترام كل إنسان لنفسه ولمن حوله ، ويلغى التعالى ، أو التكبر ، أو استذلال القوى للضعيف أو خضوع الضعيف أمام القوى ، كلنا متساوون أمام القوى المتعال سبحانه [1] .

(١) قال الإمام القرطبى فى تفسير قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . فيه ثلاث عشرة مسألة :

الأولى : قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ ﴾ قرأ عبد الله بن الزبير والأعمش وغيرهما « الجُمْعة » بإسكان الميم على التخفيف ، وهما لغتان . وجمعهما جُمَع وجُمُعات ، قال الفراء : يقال : الجُمْعة - بسكون الميم - والجُمُعة - بضم الميم - والجُمَعة - بفتح الميم - فيكون صفة اليوم ؛ أى تجمع الناس ، كما يقال : ضُحَكة للذى يضحك ، وقال ابن عباس : نزل القرآن بالتثقيل والتفخيم فاقرءوها جُمُعة ؛ يعنى بضم الميم . وقال الفراء وأبو عبيد : والتخفيف أقيس وأحسن ؛ نحو غُرفة وغُرَف ، وطُرفة وطُرَف ، وحُجرة وحُجَر . وفَتحُ الميم لغة بنى عقيل . وقيل : إنها لغة رسول الله ﷺ .

وعن سلمان أن النبى ﷺ قال : « إنما سُميت جمعة لأن الله جمع فيها خلق آدم » ، وقيل : لأن الله تعالى فرغ فيها من خلق كل شىء فاجتمعت فيها المخلوقات .

وقيل : لتجتمع الجماعات فيها .

وقيل : لاجتماع الناس فيها للصلاة . و ﴿ مِن ﴾ بمعنى « فى » ؛ أى فى يوم ؛ كقوله تعالى : ﴿ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [فاطر : ٤٠ ، الأحقاف : ٤] أى فى الأرض . =

= **الثانية** : قال أبو سلمة : أول من قال : « أما بعد » كعب بن لؤىّ ، وكان أول من سَمَّى الجمعة جمعة . وكان يقال ليوم الجمعة : العَرُوبة . وقيل : أول من سماها جمعة الأنصارُ . قال ابن سيرين : جَمّع أهل المدينة مِن قبل أن يَقدُم النبى ﷺ المدينة ، وقبل أن تنزل الجمعة ؛ وهم الذين سموها الجمعة ؛ وذلك أنهم قالوا : إن لليهود يومًا يجتمعون فيه ، فى كل سبعة أيام يوم وهو السبت . وللنصارى يوم مثل ذلك وهو الأحد ، فتعالوا فلنجتمع حتى نجعل يومًا لنا نذكر اللّه ونصلّى فيه ونستذكر - أو كما قالوا - فقالوا : يوم السبت لليهود ، ويوم الأحد للنصارى ؛ فاجعلوه يوم العَرُوبة . فاجتمعوا إلى أسعد بن زُرَارة أبو أمامة رضى اللّه تعالى عنه ، فصلى لهم يومئذ ركعتين وذكرهم ، فسمّوْهُ يوم الجمعة حين اجتمعوا . فذبح لهم أسعد شاة ؛ فتعشوا وتغدوا منها لقلتهم . فهذه أول جمعة فى الإسلام .

قلت : وروى أنهم كانوا اثنى عشر رجلًا على ما يأتى . وجاء فى هذه الرواية : أن الذى جمع بهم وصلى أسعد بن زُرارة ، وكذا فى حديث عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه كعب على ما يأتى .

وقال البيهقى : وروينا عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزُّهرى أن مُصعب بن عمير كان أول من جَمع الجمعة بالمدينة للمسلمين قبل أن يقدُمها رسول اللّه ﷺ .

قال البيهقى : يحتمل أن يكون مصعب جمع بهم بمعونة أسعد بن زرارة فأضافه كعب إليه . واللّه أعلم .

وأما أول جمعة جمعها ﷺ بأصحابه ؛ فقال أهل السير والتواريخ : قدم رسول اللّه ﷺ مهاجرًا حتى نزل بقُبَاء ، على بنى عمرو بن عوف يوم الإثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول حين اشتد الضحى . ومن تلك السنة يُعَدّ التاريخ ، فأقام بقباء إلى يوم الخميس وأسّس مسجدهم ، ثم يوم الجمعة إلى المدينة ؛ فأدركته الجمعة فى بنى سلم ابن عَوف فى بطن وادٍ لهم قد اتخذ القوم فى ذلك الموضع مسجدًا ؛ فجمع بهم وخطب . وهى أول خطبة خطبها بالمدينة ، وقال فيها : « الحمد للّه ، أحمده وأستعينه ، وأستغفره وأستهديه ، وأومن به ولا أكفُره ، وأعادى من يكفر به ، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له . وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، أرسله بالهُدَى ودين =

= الحق ، والنور والموعظة والحكمة على فَترة من الرُّسل ، وقلة من العلم ، وضلالة من الناس ، وانقطاع من الزمان ، ودُنُوّ من الساعة ، وقُرب من الأجل ، من يُطِعِ اللّه ورسوله فقد رَشَد . ومن يعص اللّه ورسوله فقد غَوَى وفرّط وضل ضلالًا بعيدًا . أوصيكم بتقوى اللّه ، فإنه خير ما أوْصَى به المسلمُ المسلمَ أن يحضه على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى اللّه . واحذروا ما حذركم اللّه من نفسه ؛ فإن تقوى اللّه لمن عمل به على وجل ومخافةٍ من ربه عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة . ومن يُصلح الذى بينه وبين ربه من أمره فى السر والعلانية ، لا ينوى به إلا وجه اللّه يكن له ذكرًا فى عاجل أمره ، وذُخرًا فيما بعد الموت ، حين يفتقر المرء إلى ما قدم . وما كان مما سوى ذلك يَود لو أن بينه وبينه أمدًا بعيدًا . ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران : ٣٠] . هو الذى صدق قوله ، وأنجز وعده ، لا خُلْف لذلك ؛ فإنه يقول تعالى : ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [سورة ق : ٢٩] . فاتقوا اللّه فى عاجل أمركم وآجله فى السر والعلانية ؛ فإنه ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾ [الطلاق : ٥] . ومن يتق اللّه فقد فاز فوزًا عظيمًا . وإن تقوى اللّه توقى مقته ، وتوقى عقوبته وتوقى سخطه . وإن تقوى اللّه تبيض الوجوه ، وترضى الرب ، وترفع الدرجة . فخذوا بحظكم ولا تفرطوا فى جنب اللّه ، فقد علمكم كتابه ، ونهج لكم سبيله ؛ ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين . فأحسنوا كما أحسن اللّه إليكم ، وعادوا أعداءه ، وجاهدوا فى اللّه حق جهاده ؛ هو اجتباكم وسمّاكم المسلمين . ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حىّ عن بينة . ولا حول ولا قوة إلا باللّه . فأكثروا ذكر اللّه تعالى ، واعملوا لما بعد الموت ؛ فإنه من يُصلح ما بينه وبين اللّه يَكْفِه اللّه ما بينه وبين الناس . ذلك بأن اللّه يقضى على الناس ولا يَقضُون عليه ، ويملك من الناس ولا يملكون منه . اللّه أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلى العظيم .

وأول جمعة جُمّعت بعدها جمعة بقرية يقال لها : « جُوَاثى » من قُرى البحرين . وقيل : إن أول من سماها الجمعة كعب بن لؤى بن غالب لاجتماع قريش فيه إلى كعب ؛ كما تقدم . واللّه أعلم .

= **الثالثة** : خطب الله المؤمنين بالجمعة دون الكافرين تشريفًا لهم وتكريما فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ ثم خصه بالنداء ، وإن كان قد دخل فى عموم قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [المائدة : ٥٨] ، ليدل على وجوبه وتأكيد فرضه . وقال بعض العلماء : كون الصلاة الجمعة ها هنا معلوم بالإجماع لا من نفس اللفظ .

قال ابن العربى : وعندى أنه معلوم من نفس اللفظ بنكتة وهى قوله : ﴿ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ ﴾ وذلك يفيد ؛ لأن النداء الذى يختص بذلك اليوم هو نداء تلك الصلاة . فأما غيرها فهو عام فى سائر الأيام . ولو لم يكن المراد به نداء الجمعة لما كان لتخصيصه بها وإضافته إليها معنى ولا فائدة .

الرابعة : قد تقدّم حكم الأذان فى سورة « المائدة » مستوفى . وقد كان الأذان على عهد رسول الله ﷺ كما فى سائر الصلوات ؛ يؤذن واحد إذا جلس النبى ﷺ على المنبر . وكذلك كان يفعل أبو بكر وعمر ، وعلىّ بالكوفة ، ثم زاد عثمان على المنبر أذانًا ثالثًا على داره التى تسمى « الزوراء » حين كثر الناس بالمدينة . فإذا سمعوا أقبلوا ؛ حتى إذا جلس عثمان على المنبر أذن مؤذن النبى ﷺ ، ثم يخطب عثمان . خرّجه ابن ماجه فى سننه من حديث محمد بن إسحاق عن الزهرى عن السائب بن يزيد قال : ما كان لرسول الله ﷺ إلا مؤذن واحد ؛ إذا خرج أذّن وإذا نزل أقام ، وأبو بكر وعمر كذلك ، فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على دار فى السوق يقال لها « الزوراء » ؛ فإذا خرج أذن وإذا نزل أقام . خرجّه البخارى من طرق بمعناه . وفى بعضها : أن الأذان الثانى يوم الجمعة أمر به عثمان بن عفان حين كثر أهل المسجد ، وكان التأذين يوم الجمعة حين يجلس الإمام .

وقال الماوردى : فأما الأذان الأول فمحدث ، فعله عثمان بن عفان ليتأهب الناس لحضور الخطبة عند اتساع المدينة وكثرة أهلها . وقد كان عمر رضى الله تعالى عنه أمر أن يؤذن فى السوق قبل المسجد ليقوم الناس عن بيوعهم ، فاذا اجتمعوا أذن فى المسجد ، فجعله عثمان رضى الله تعالى عنه أذانين فى المسجد .

قال ابن العربى . وفى الحديث الصحيح : أن الأذان كان على عهد رسول الله ﷺ واحدًا ، فلما كان زمن عثمان زاد الأذان الثالث على الزوراء ، وسماه فى الحديث ثالثًا =

= لأنه أضافه إلى الإقامة ، كما قال ﷺ : « بين كل أذانى صلاة لمن شاء » يعنى الأذان والإقامة . ويتوهم الناس أنه أذان أصلى فجعلوا المؤذنين ثلاثة فكان وهما ، ثم جمعوهم فى وقت واحد فكان وهما على وهم . ورأيتهم يؤذنون بمدينة السلام بعد أذان المنبر بين يدى الإمام تحت المنبر فى جماعة ، كما كانوا يفعلون عندنا فى الدُّول الماضية . وكل ذلك مُحْدَث .

الخامسة : قوله تعالى : ﴿ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة : ٩] اختلف فى معنى السّعى هاهنا على ثلاثة أقوال :

أولها : القصد . قال الحسن : والله ما هو بسعى على الأقدام ولكنه سَعْىٌ بالقلوب والنية .

الثانى : أنه العمل ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ ، وقوله : ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾ [الليل : ٤] ، وقوله : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ . وهذا قول الجمهور . وقال زهير :

سَعَى بعدهم قوم لِكَىْ يدركوهم فلم يفعلوا ولم يلاءموا ولم يألوا

وقال أيضًا :

سَعَى ساعيًا غيظ بن مُرّة بعدما تَبَزَّلَ ما بين العَشِيرة بالـــدم

أى فاعملوا على المضى إلى ذكر الله واشتغلوا بأسبابه من الغسل والتطهير والتوجه إليه .

الثالث : أن المراد به السّعى على الأقدام . وذلك فضل وليس بشرط ، ففى البخارى : أن أبا عَبْس بن جَبْر - واسمه عبد الرحمن وكان من كبار الصحابة - مشى إلى الجمعة راجلًا وقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من اغبرّت قدماه فى سبيل الله حرّمه الله على النار » . ويحتمل ظاهره رابعًا : وهو الجرى والاشتداد .

قال ابن العربى : وهو الذى أنكره الصحابة الأعلمون والفقهاء الأقدمون .

وقرأها عمر : « فامضوا إلى ذكر الله » فرارًا عن طريق الجرى والاشتداد الذى يدل على الظاهر . وقرأ ابن مسعود كذلك وقال : لو قرأت ﴿ فَٱسْعَوْا۟ ﴾ لسعيتُ حتى يسقط ردائى ، قرأ ابن شهاب : « فامضوا » إلى ذكر الله سالكًا تلك السبيل » . وهو كله تفسير منهم ؛ لا قراءة قرآن منزل ، وجائز قراءة القرآن بالتفسير فى معرض التفسير . =

= قال أبو بكر الأنبارى : وقد احتج من خالف المصحف بقراءة عمر وابن مسعود ، وأن عَرَشة بن الحُرّ قال : رآنى عمر رضى الله تعالى عنه ومعى قطعة فيها : ﴿ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ فقال لى عمر : من أقرأك هذا ؟ قلت أُبَيّا أقرؤنا للمنسوخ . ثم قرأ عمر « فامضوا إلى ذكر الله » .

وعن سالم عن أبيه قال : ما سمعت عمر يقرأ قط إلا « فامضوا إلى ذكر الله » . وأخبرنا إدريس قال حدثنا خلف قال حدثنا هشيم عن المغيرة عن إبراهيم أن عبد الله بن مسعود قرأ « فامضوا إلى ذكر الله » ، وقال : لو كانت ﴿ فَٱسْعَوْا۟ ﴾ لسعيت حتى يسقط ردائى .

قال أبو بكر : فاحتج عليه بأن الأمة أجمعت على ﴿ فَٱسْعَوْا۟ ﴾ برواية ذلك عن الله رب العالمين ورسوله ﷺ . فأما عبد الله بن مسعود فما صح عنه « فامضوا » لأن السند غير متصل ؛ إذ إبراهيم النخعى لم يسمع عن عبد الله بن مسعود شيئًا ، وإنما ورد « فامضوا » عن عمر رضى الله تعالى عنه . فإذا انفرد أحد بما يخالف الآية والجماعة كان ذلك نسيانًا منه ، والعرب مُجْمِعة على أن السعى يأتى بمعنى المضى ؛ غير أنه لا يخلو من الجد والانكماش . قال زهير :

سَعَى ساعيًا غيظ بن مُرّة بعدما تَبَزَّلَ ما بين العَشِيرة بالـدم

أراد بالسعى المضى بجد وانكماش ، ولم يقصد للعدو والإسراع فى الخَطو ، وقال الفراء وأبو عبيدة : معنى السعى فى الآية المضى . واحتج الفراء بقولهم : وهو يسعى فى البلاد يطلب فضل الله ؛ معناه هو يمضى بجد واجتهاد ، واحتج أبو عبيدة بقول الشاعر :

أسْعَى على جُل بنى مالك كلّ امرِىءٍ فى شأنه ساعى

فهل يحتمل السعى فى هذا البيت إلا مذهب المضى بالانكماش ؛ ومحال أن يخفى هذا المعنى على ابن مسعود على فصاحته وإتقان عربيته .

قلت : ومما يدل على أنه ليس المراد هاهنا العَدو قوله عليه الصلاة والسلام : « إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ، ولكن ائتوها وعليكم السكينة » . قال الحسن : أمَا والله بالسعى على الأقدام ، ولقد نُهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار ؛ ولكن بالقلوب والنية والخشوع .

وقال قتادة : السعى أن تسعى بقلبك وعملك . وهذا حسن ، فإنه جمع الأقوال الثلاثة . =

= السادسة : قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ خطاب للمكلفين بإجماع ، ويخرج منه المرضى والزَّمنى والمسافرون والعبيد والنساء بالدليل ، والعميان والشيخ الذى لا يمشى إلا بقائد عند أبى حنيفة .

وروى أبو الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة إلا مريض ، أو مسافر ، أو امرأة ، أو صبى ، أو مملوك . فمن استغنى بلَهْوٍ أو تجارةٍ استغنى الله عنه والله غنى حميد » ، خرجه الدارقطنى ، وقال علماؤنا رحمهم الله ولا يتخلف أحد عن الجمعة ممن عليه إتيانها إلا بعذر لا يمكنه منه الإتيان إليها ؛ مثل المرض الحابس ، أو خوف الزيادة فى المرض ، أو خوف جور السلطان عليه فى مال أو بدون القضاء عليه بحق ، والمطر الوابل مع الوَحل عذر إن لم ينقطع . ولم ير مالك عذرًا له ؛ حكاه المهدوى . ولو تخلف عنها متخلف على ولى حميم له قد حضرته الوفاة ، ولم يكن عنده من يقوم بأمره رَجَا أن يكون فى سَعَة . وقد فعل ذلك ابن عمر ، ومن تخلف عنها لغير عذر فصلى قبل الإمام أعاد ، ولا يجزئه أن يصلى قبله ، وهو فى تخلفه عنها مع إمكانه لذلك عاص لله بفعله .

السابعة : قوله تعالى : ﴿ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ ﴾ يختص بوجوب الجمعة على القريب الذى يسمع النداء ، فأما البعيد الدار الذى لا يسمع النداء فلا يدخل تحت الخطاب ، واختلف فيمن يأتى الجمعة من الدّانى والقاصى ، فقال ابن عمر وأبو هريرة وأنس : تجب الجمعة على من فى المِصْر على ستّة أميال . وقال ربيعة : أربعة أميال .

وقال مالك والليث : ثلاثة أميال .

وقال الشافعى : اعتبار سماع الأذان أن يكون المؤذن صيتًا ، والأصوات هادئة ، والريح ساكنة وموقف المؤذن عند سُور البلد .

وفى الصحيح عن عائشة : أن الناس كانوا ينتابون الجمعة من منازلهم ومن العَوَالى فيأتون فى الغبار ويصيبهم الغبار فتخرج منهم الريح ، فقال رسول الله ﷺ : « لو اغتسلتم ليومكم هذا » قال علماؤنا : والصوت إذا كان منيعًا والناس فى هدوء وسكون فأقصى سماع الصوت ثلاثة أميال . والعَوَالى من المدينة أقربها على ثلاثة أميال . =

= وقال أحمد بن حنبل وإسحاق : تجب الجمعة على من سمع النداء .

وروى الدارقطنى من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ قال : « إنما الجمعة على من سمع النداء » .

وقال أبو حنيفة وأصحابه : تجب على مَنْ فى المصْر ، سمع النداء أو لم يسمعه ، ولا تجب على من هو خارج المِصْر وإن سمع النداء . حتى سُئل : وهل تجب الجمعة على أهل زيارة - بينها وبين الكوفة مجرى نهر - ؟ فقال لا .

وروى عن ربيعة أيضًا : أنها تجب على من إذا سمع النداء وخرج من بيته ماشيًا أدرك الصلاة .

وقد روى عن الزهرى : أنها تجب عليه إذا سمع الأذان .

الثامنة : قوله تعالى : ﴿ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ ، دليل على أن الجمعة لا تجب إلا بالنداء ، والنداء لا يكون إلا بدخول الوقت ، بدليل قوله ﷺ : « إذا حضرت الصلاة فأذِّنا ثم أقيما وليؤمّكما أكبركما » قاله لمالك بن الحُويرث وصاحبه .

وفى البخارى عن أنس بن مالك أن النبى ﷺ كان يصلى الجمعة حين تميل الشمس ، وقد روى عن أبى الصديق وأحمد بن حنبل أنها تُصَلّى قبل الزوال . وتمسك أحمد فى ذلك بحديث سَلَمة بن الأكوع : كنا نصلى مع النبى ﷺ ثم نتصرف وليس للحيطان ظل . وبحديث أن عمر قال : ما كنا نقيل ولا نتغدى إلا بعد الجمعة . ومثلُه عن سَهْل . خرّجه مسلم . وحديث سَلَمة محمول على التبكير . رواه هشام بن عبد الملك عن يَعلَى ابن الحارث عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه .

وروى وكيع عن يعلى عن أياس عن أبيه قال : كنا نُجَمِّع مع رسول الله ﷺ إذا زالت الشمس ثم نرجع نتتبع الفيء . وهذا مذهب الجمهور من الخلف والسلف ، وقياسًا على صلاة الظهر . وحديث ابن عمر وسهيل دليل على أنهم يبكرون إلى الجمعة تبكيرًا كثيرًا عند الغداة أو قبلها ، فلا يتناولون ذلك إلا بعد انقضاء الصلاة .

وقد رأى مالك أن التبكير بالجمعة إنما يكون قرب الزوال يسير . وتأوّل قول النبى ﷺ : « من راح فى الساعة الأولى فكأنما قرّب بَدَنَة ... » الحديث بكماله . إنه كان فى =

= ساعة واحدة . وحمله سائر العلماء على ساعات النهار الزمانية الاثنتى عشرة ساعة المستوية أو المختلفة بحسب زيادة النهار ونقصانه . ابن العربى : وهو أصح ؛ لحديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما : ما كانو يُقيلون ولا يتغدون إلا بعد الجمعة لكثرة البكور إليها .

التاسعة : فرض الله تعالى الجمعة على كل مسلم ؛ ردًا على من يقول : إنها فرض على الكفاية ؛ ونقل عن بعض الشافعية . ونقل عن مالك من لم يُحقق : أنها سنة .

وجمهور الأمة والأئمة أنها فرض على الأعيان ؛ لقول الله تعالى : ﴿ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ﴾ .

وثبت عن النبى ﷺ أنه قال : « لينتهين أقوام عن ودعِهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين » . وهذا حجة واضحة فى وجوب الجمعة وفرضيتها .

وفى سنن ابن ماجه عن أبى الجعد الضَّمْرِىّ - وكان له صحبة - قال : قال رسول الله ﷺ : « من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاونًا بها طبع الله على قلبه » . إسناده صحيح .

وحديث جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « من ترك الجمعة ثلاثًا من غير ضرورة طَبَع الله على قلبه » . ابن العربى : وثبت عن النبى ﷺ أنه قال : « الرَّواح إلى الجمعة واجب على كل مسلم » .

العاشرة : أوجب الله السَّعى إلى الجمعة مطلقًا من غير شرط . وثبت شرط الوضوء بالقرآن والسنة فى جميع الصلوات ؛ لقوله عز وجل : ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾ الآية . وقال النبى ﷺ : « لا يقبل الله صلاة بغير طهور » . وأغربت طائفة فقالت : إن غسل الجمعة فرض . ابن العربى : وهذا باطل ؛ لما روى النسائى وأبو داود فى سننهما أن النبى ﷺ قال : « من توضأ يوم الجمعة فبها ونِعْمَت . ومن اغتسل فالغسل أفضل » .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من توضأ يوم الجمعة فأحسن الوضوء ثم راح إلى الجمعة فاستمع وأنصت غفر الله له ما بين الجمعة إلى الجمعة وزيادة ثلاثة أيام . ومن مَسّ الحَصَى فقد لغا » وهذا نص . =

= وفى الموطأ : أن رجلًا دخل يوم الجمعة وعمر بن الخطاب يخطب ... - الحديث إلى أن قال : - مازدت على أن توضأت ، فقال عمر : والوضوء أيضًا . وقد علمت أن رسول الله ﷺ كان يأمر بالغسل . فأمر عمر بالغسل ولم يأمره بالرجوع ، فدلّ على أنه محمول على الاستحباب . فلم يكن وقد تلبس بالفرض - وهو الحضور والإنصات للخطبة - أن يرجع عنه إلى السُّنة ، وذلك بمحضر فحول الصحابة وكبار المهاجرين حوالى عمر ، وفى مسجد النبى ﷺ .

الحادية عشرة : لا تسقط الجمعة لكونها فى يوم عيد ، خلافًا لأحمد بن حنبل فإنه قال : إذا اجتمع عيد وجمعة سقط فرض الجمعة ؛ لتقدّم العيد عليها واشتغال الناس به عنها . وتعلق فى ذلك بما روى أن عثمان أذِن فى يوم عيد لأهل العَوالى أن يتخلفوا عن الجمعة . وقول الواحد من الصحابة ليس بحجة إذا خولف فيه ولم يجمع معه عليه .

والأمر بالسعى متوجه يوم العيد كتوجهه فى سائر الأيام .

وفى صحيح مسلم عن النُّعمان بن بشير قال : كان رسول الله ﷺ يقرأ فى العيدين وفى الجمعة : بـ ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [الأعلى : ١] و ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴾ [الغاشية : ١] قال : وإذا اجتمع العيد والجمعة فى يوم واحد يقرأ بهما أيضًا فى الصلاتين . أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

الثانية عشرة : قوله تعالى : ﴿ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ أى : الصلاة . وقيل الخطبة والمواعظ ؛ قاله سعيد بن جبير .

ابن العربى : والصحيح أنه واجب فى الجميع ؛ وأوله الخطبة . وبه قال علماؤنا ؛ إلا عبد الملك بن الماجِشُون فإنه رآها سُنة ، والدليل على وجوبها أنها تُحَرِّم البيع ، ولولا وجوبها ما حرمته ؛ لأن المستحب لا يُحَرِّم المباح . وإذا قلنا : إن المراد بالذكر الصلاة فالخطبة من الصلاة . والعبد يكون ذاكرًا لله بفعله كما يكون مسبحًا لله بفعله . الزمخشرى : فإن قلت : كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها غير ذلك ! قلت : ما كان من ذكر رسول الله ﷺ والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين وأتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو فى حكم ذكر الله . فأما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة وألقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم ، وهم أحقاء بعكس ذلك ؛ فهو من ذكر الشيطان ، وهو من ذكر الله على مراحل . =

= **الثالثة عشرة** : قوله تعالى : ﴿ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ﴾ منع الله عز وجل منه عند صلاة الجمعة ، وحرمه فى وقتها على من كان مخاطبًا بفرضها . والبيع لا يخلوا عن شراء فاكتفى بذكر أحدهما ، كقوله تعالى : ﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴾ وخص البيع لأنه أكثر ما يشتغل به أصحاب الأسواق ، ومن لا يجب عليه حضور الجمعة فلا يُنهى عن البيع والشراء .

وفى وقت التحريم قولان :

الأول : إنه من بعد الزوال إلى الفراغ منها ، قاله الضحاك والحسن وعطاء .

الثانى : من وقت أذان الخطبة إلى وقت الصلاة .

قاله الشافعى ، ومذهب مالك أن يترك البيع إذا نُودى للصلاة ، ويفسخ عنده ما وقع من ذلك من البيع فى ذلك الوقت ، ولا يفسخ العتق والنكاح والطلاق وغيره ، إذ ليس من عادة الناس الاشتغال به كاشتغالهم بالبيع . قالوا : وكذلك الشركة والهبة والصدقة نادر لا يفسخ . ابن العربى : والصحيح فسخ الجميع ، لأن البيع إنما مُنع منه للاشتغال به . فكل أمرٍ يَشْغل عن الجمعة من العقود كلها فهو حرام شرعًا مفسوخ رَدْعًا . المهدوى : ورأى بعض العلماء البيع فى الوقت المذكور جائزًا ، وتأول النهى عنه ندبًا ، واستدل بقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ .

قلت : وهذا مذهب الشافعى ؛ فإن البيع ينعقد عنده ولا يفسخ . وقال الزمخشرى فى تفسيره : إن عامة العلماء على أن ذلك لا يؤدى فساد البيع . قالوا : لأن البيع لم يحرم لعينه ، ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب ؛ فهو كالصلاة فى الأرض المغصوبة والثوب المغصوب ، والوضوء بماء مغصوب . وعن بعض الناس أنه فاسد .

قلت : والصحيح فساده وفسخه ؛ لقوله ﷺ : « كل عملٍ ليس عليه أمرنا فهو رَدٌّ » أى مردود . والله تعالى أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ هذا أمر إباحة ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ﴾ [المائدة : ٢] . يقول : إذا فرغتم من الصلاة فانتشروا فى الأرض للتجارة والتصرف فى حوائجكم . ﴿ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ أى من رزقه . وكان عراك بن مالك إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال : اللهم =

○ ○ ○

= إنى أجبت دعوتك ، وصليت فريضتك ، وانتشرت كما أمرتنى ، فارزقنى من فضلك وأنت خير الرازقين .

وقال جعفر بن محمد فى قوله تعالى : ﴿ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ إنه العمل فى يوم السبت . وعن الحسن بن سعيد بن المسيب : طلب العلم .

وقيل : صلاة التطوع .

وعن ابن عباس : لم يؤمروا بطلب شىء من الدنيا ؛ إنما هو عيادة المرضى ، وحضور الجنائز وزيارة الأخ فى الله تعالى .

قوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ أى بالطاعة واللسان ، وبالشكر على ما به أنعم عليكم من التوفيق لأداء الفرائض . ﴿ لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ كى تفلحوا .

قال سعيد بن جبير : الذكر طاعة الله تعالى ، فمن أطاع الله فقد ذكره ، ومن لم يطعه فليس بذاكر وإن كان كثير التسبيح .

○ أخرج البخارى [٨٧٧] ، ومسلم [١/٨٤٤] ، والترمذى [٤٩٣] ، وابن ماجه [١٠٨٨] عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إذا جاء أحدُكم الجمعة فليغتسل » .

○ وأخرج البخارى [٨٧٩] ، ومسلم [٥/٨٤٦] ، وابن ماجه [١٠٨٩] عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : « غُسل يوم الجمعة واجب على كل مُحتلم » .

○ وأخرج مسلم [٧/٨٤٦] ، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال ؛ إن رسول الله ﷺ قال : « غُسل يوم الجمعة على كل مُحتلم ، وَسِواك ، ويَمَسُّ من الطيب ما قَدَر عليه » .

○ أخرج البخارى [٩٣٤] ، ومسلم [١١/٨٥١] ، والترمذى [٥١٢] ، وأبو داود [١١١٢] ، وابن ماجه [١١١٠] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا قلت لصاحبك أنصت يوم الجمعة والإمام يخطب فقد لغوت » .

○ وأخرج مسلم [٢٤/٨٥٠] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال ؛ قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول . فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر . ومثل المهجر كمثل الذى يُهدِى البدنة . ثم كالذى يُهدى بقرة ، ثم الذى يُهدى الكبش ، ثم كالذى يُهدى الدجاجة ، ثم كالذى يُهدى البيضة » . .

○ وأخرج مسلم [٢٨/٨٥٨] عن جابر بن عبد الله ؛ قال : كنا نصلى مع رسول الله ﷺ ، ثم نَرجع فنُريح نَوَاضِحَنَا .

قال حسن : فقلت لجعفر : فى أى ساعة تلك ؟ قال : زوال الشمس .

خطبة الجمعة :

○ وأخرج البخارى [٩٢٨] ، ومسلم [٣٣/٨٦١] ، والترمذى [٥٠٦] ، وأبو داود [١٠٩٢] ، وابن ماجه [١١٠٣] عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : كان النبى ﷺ يخطب خطبتين يقعد بينهما . =

= ○ وأخرج مسلم [٤١/٨٦٦] عن جابر بن سمرة قال : كنت أُصلى مع رسول الله ﷺ فكانت صلاته قصدًا ، وخطبته قصدًا .

○ وأخرج مسلم [٤٣/٨٦٧] ، وابن ماجه [٤٥] عن جابر بن عبد الله ؛ قال : كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه ، وعلا صوته ، واشتد غضبه ، حتى كأنه منذر جيش ، يقول : صبحكم ومساكم . ويقول : « بُعثتُ أنا والساعة كهاتين » ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى . ويقول : « أما بعد . فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة » . ثم يقول : « أنا أَولَى بكل مؤمن من نفسه ، من تَركَ مالًا فلأهله ، ومن ترك دينا أو ضياعًا فإليَّ وعلَيَّ » .

○ وأخرج مسلم [٤٧/٨٦٩] عن أبو وائل قال : خطبنا عمار فأوجز وأبلغ ، فلما نزل قُلنا : يا أبا اليقظان ! لقد أبلغت وأوجزت ، فلو كنت تنفست ! فقال : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن طول صلاة الرجل ، وقصر خطبته ، مَئِنَّةٌ من فقهه فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة ، وإن من البيان سِحرًا » .

القراءة فى الجمعة :

○ وأخرج مسلم [٦١/٨٧٧] ، والترمذى [٥١٩] عن ابن أبى رافع ؛ قال : استخلف مروان أبا هريرة على المدينة وخرج إلى مكة ، فصلى لنا أبو هريرة الجمعة فقرأ بعد سورة الجمعة فى الركعة الآخِرَة : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ﴾ [المنافقون : ١] .

قال : فأدركت أبا هريرة حين انصرف فقلت له : إنك قرأت بسورتين كان علىٌ بن أبى طالب يقرأ بهما بالكوفة ، فقال أبو هريرة : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بهما يوم الجمعة .

○ وأخرج مسلم [٦٤/٨٧٩] ، وأبو داود [١٠٧٤] ، والترمذى [٥٢٠] ، وابن ماجه [٨٢١] عن ابن عباس ؛ أن النبى ﷺ كان يقرأ فى صلاة الفجر يوم الجمعة : ﴿ الٓمٓ تَنزِيلُ ﴾ [السجدة] ، و ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ ﴾ [الإنسان : ١] .

وأن النبى ﷺ كان يقرأ فى صلاة الجمعة ، سورة الجمعة والمنافقين .

○ وأخرج مسلم [٦٨/٨٨١] ، والترمذى [٥٢٣] ، وابن ماجه [١١٣٢] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا صليتم بعد الجمعة فصلوا أربعًا » . =

○ ○ ○

= زاد عمرو فى روايته : قال ابن إدريس : قال سُهيل : فإن عجل بك شىء فَصَلِّ ركعتين فى المسجد ، وركعتين إذا رجعت » .

○ وأخرج مسلم [٧١/٨٨٢] عن عبد الله بن عمر ؛ أنه وصف تَطَوعَ صلاة رسول الله ﷺ ؛ قال : فكان لا يُصلى بعد الجمعة حتى ينصرف ، فيصلى ركعتين فى بيته .

○ واخرج مسلم [٧٢/٨٨٢] عن سالم ، عن أبيه ؛ أن النبى ﷺ كان يصلى بعد الجمعة ركعتين .

○ أخرج مسلم [٤٠/٨٦٥] عن عبد الله بن عمر وأبا هريرة رضى الله تعالى عنهما أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول على أعواد منبره : « لينتهين أقوام عن وَدْعِهِمُ الجُمُعَاتِ أو ليختِمَنَّ الله على قلوبهم . ثم ليكونن من الغافلين » .

○ أخرج مسلم [٢٥٤/٦٥٢] عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال لقوم يتخلفون عن الجمعة : « لقد هممت أن آمر رجلًا يُصلى بالناس ، ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة ببوتهم » .

ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليسع إلى الجمعة ، ومن استغنى عنها بلَهْوٍ أو تجارة استغنى الله عنه ، والله غنى حميد . رواه الطبرانى .

○ وروى أبو داود [١٠٥٢] عن أبى الجعد الضمرى وكانت له صُحبَة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ قال : من ترك ثلاث جُمع تهاونًا بها طبع الله على قلبه » ، وقال الألبانى فى صحيح أبى داود [٩٢٨] : حسن صحيح .

○ وروى مالك فى الموطأ [٢٤٦] : من ترك الجمعة ثلاث مرات من غير عذر ولا علة طبع الله على قلبه .

○ وروى ابن ماجه [١١٢٦] عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من ترك الجمعة ثلاثًا من غير ضرورة طبع الله على قلبه » .

○ وروى الطبرانى فى الكبير عن كعب بن مالك رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال : لينتهين أقوام يسمعون النداء يوم الجمعة ، ثم لا يأتونها ، أو ليطبعن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين »

وقال المنذرى فى الترغيب والترهيب : إسناده حسن ، ورواه ابن ماجه [٧٩٤] عن ابن عمر وابن عباس رضى الله تعالى عنهما وفيه « الجماعات » .

○ وروى ابن ماجه [١١٢٧] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا هل عَسَى أحدكم أن يتخذ الصُّبَّة من الغنم على رأس ميل أو ميلين فيتعذر عليه الكلأ فيرتفع ، ثم تجىء الجمعة فلا يجىء ولا يشهدها ، وتجىء الجمعة فلا يشهدها حتى يُطبع على قلبه . وقال الألبانى فى صحيح ابن ماجه [٩٢٥] : حسن . =

○ وروى ابن ماجه عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه أيضًا قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : « يا أيها الناس تُوبُوا إلى الله قبل أن تموتوا ، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغَلوا ، وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له ، وكثرة الصدقة فى السر والعلانية تُرزقوا ، وتنصروا ، وتجبروا ، واعلموا أن الله قد افترض عليكم الجمعة فى مقامى هذا ، فى يومى هذا ، فى شهرى هذا ، من عامى هذا إلى يوم القيامة ، فمن تركها فى حياتى أو بعدى وله إمام عادل أو جائر استخفافًا بها أو جحودًا بها ، فلا جمع الله له شمله ، ولا بارك له فى أمره ، ألا وَلَا صلاة له ، ولا زكاة له ، ولا حج له ، ولا صوم له ، ولا بر له حتى يتوب ، فمن تاب تاب الله عليه ، ألا لا تُؤمن امرأة رجلًا ولا يؤم أعرابى مهاجرًا ولا يؤم فاجرٌ مؤمنًا إلا أن يقهره بسلطان ، يخاف سيفه وسوطه . وضعفه الألبانى فى ضعيف ابن ماجه [٢٢٤] .

○ أخرج مسلم [١٧/٨٥٤] ، والترمذى [٤٩١] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال ؛ قال رسول الله ﷺ : « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، فيه خُلق آدم ، وفيه أُدخل الجنة ، وفيه أُخرج منها » .

○ وأخرج مسلم [١٨/٨٥٤] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ؛ أن النبى ﷺ قال : « خير يوم طلعت عليه الشمس ، يوم الجمعة . فيه خُلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أُخرج منها . ولا تقوم الساعة إلا فى يوم الجمعة » .

○ وأخرج البخارى [٨٧٦] ، ومسلم [١٩/٨٥٥] ، والترمذى [٤٨٨] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أُوتوا الكتاب من قبلنا ، ثم هذا يومهم الذى فُرض عليهم فاختلفوا فيه ، فهدانا الله له ، فالناس لنا فيه تبع : اليوهد غدًا ، والنصارى بعد غد » .

○ وأخرج مسلم [٢٢/٨٥٦] ، وابن ماجه [١٠٨٦] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ؛ قال رسول الله ﷺ : « أَضل الله عن الجمعة من كان قبلنا ، فكان لليهود يوم السبت ، وكان للنصارى يوم الأحد ، فجاء الله بنا ، فهدانا الله ليوم الجمعة ، فجعل الجمعة والسبت والأحد ، وكذلك هُم تبع لنا يوم القيامة ، نحن الآخرون من أهل الدنيا . والأولون يوم القيامة ، المقضى لهم قبل الخلائق » . وفى رواية واصل : « المقضى بينهم » .

○ وأخرج البخارى [٨٨٣] ، ومسلم [٢٦/٨٥٧] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ؛ عن النبى ﷺ قال : « مَن اغتسل ؛ ثم أتى الجمعة ، فصلى ما قُدر له ، ثم أنصت حتى يَفْرُغَ من خُطبته ثم يصلى معه ، غُفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى ، وفضل ثلاثة أيام » .

○ وأخرج مسلم [٢٧/٨٥٧] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن توضأ فأحسن الوضوء ، ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غُفر له ما بينه وبين الجمعة ، وزيادة ثلاثة أيام ، ومن مس الحصى فقد لغا » .

○ وأخرج البخارى [٩٣٥] ، ومسلم [١٣/٨٥٢] ، وابن ماجه [١١٣٧] ، والترمذى [٤٩١] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال : « فيه ساعة لا يُوافقها عبد مسلم وهو قائم يُصلى يسأل الله تعالى شيئًا إلا أعطاهُ إياه » وأشار بيده يُقلِّلها .

شرعت صلاة العيد فى السنة الأولى من الهجرة وهى سنة مؤكَّدة واظب النبى ﷺ عليها وأمر الرجال والنساء أن يخرجوا لها . وقد ورد فيها أحاديث منها :

○ عن أم عطية رضى الله تعالى عنها ، قالت : أمرنا رسول الله ﷺ ، أن نُخْرِجَهُنَّ فى الفطر والأضحى ، العواتِقَ والحُيَّضَ وذوات الخُدُور ، فأمَّا الحُيَّضُ فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير ودعوة المسلمين ، قلت : يا رسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب . قال : « لِتُلْبِسْهَا أُخْتُهَا مِنْ جِلْبَابِهَا »[1] .

○ وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ كان لا يخرج يوم الفطر حتى يُطْعَمُ ولا يطعم يوم النحر حتى ينحر [2] .

○ وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال : « كان رسول الله ﷺ لا يغدُو يومَ الفطر حتى يأكل تمرات » .

وقال مُرَجِّأُ بن رَجاء حدثنى عُبيدُ الله قال : حدثنى أنس عن النبى ﷺ : « ويأكلهن وِتراً »[3] .

○ عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال : « كان رسول الله ﷺ يخرج يوم الفِطر والأضحى إلى المصلى ، فأول شىء يبدأُ به الصلاة ، ثم ينصرف فيقوم مُقابل الناس – والناس جلوس على صُفوفهم – فيعظهم ، ويُوصيهم ، ويأمرهم . فإن كان يُريدُ أن يقطع بَعثاً قطعه أو يأمر بشىء أمر به ، ثم ينصرف » .

قال أبو سعيد : فلم يزل الناس على ذلك حتى خرَجتُ مع مروان – وهو أمير المدينة – فى أضحى أو فطر ، فلما أتينا المصلَّى إذا منبر بناه كثير بن الصلت ، فإذا مروان يُريدُ أن يرتقيه قبل أن يُصلِّى ، فجبذت بثوبه ، فجبذنى ، فارتفع فخطب قبل الصلاة ، فقلت =

(١) أخرجه مسلم [١٢/٨٩٠] .

(٢) رواه الترمذى [٥٤٢] وقال حديث غريب ، وابن ماجه [١٧٥٦] ، وابن حبان [٢٨١٢] ، وأحمد [٣٥٢/٥] ، وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى [٤٤٧] .

(٣) أخرجه البخارى [٩٥٣] .

= له : غيرتم والله ، فقال : أبا سعيد قد ذهب ما تَعْلَم ، فقلت ما أعلم والله خيرٌ مما لا أعلم . فقال : إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة ، فجعلتُها قبل الصلاة [1] .

○ وعن أم عطية رضى الله تعالى عنها قالت : أُمِرْنا أن نخرج العواتق ذوات الخُدور [2] .

○ وعن أم عطية رضى الله تعالى عنه ، قالت : كُنا نُؤْمَرُ بالخروج فى العيدين ، والمُخَبَّأَةُ والبكر ، قالت : الحيض يخرُجن فيكن خلف الناس ، يُكَبِّرن مع الناس [3] .

○ وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : « كان رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما يُصلُّون العيدين قبل الخطبة » [4] .

○ وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه قال : « شهدت العيد مع رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله تعالى عنهم ، فكلهم كانوا يُصلُّون قبل الخطبة » [5] .

○ وعن ابن عباس : « أن النبى ﷺ صلى يوم الفطر ركعتين لم يُصلِّ قبلها ولا بعدها ، ثم أتى النساء ومعه بلال ، فأمرهن بالصدقة ، فجعلن يُلقين ، تُلقى المرأة خُرصَها وسِخابَها » [6] .

○ عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ كان يصلى فى الأضحى والفطر ، ثم يخطب بعد الصلاة [7] .

○ وعن أبى سعيد الخُدرى رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ خطب يوم العيد على راحلتِهِ [8] .

○ وعن قيس بن عائذ ، هو أبو كاهِلٍ رضى الله تعالى عنه ، قال : رأيت النبى ﷺ يخطب على ناقة حسناء ، وحبشىٌ أخذ بخطامها [9] . =

(١) أخرجه البخارى [٩٥٦] .
(٢) أخرجه البخارى [٩٧٤] .
(٣) أخرجه مسلم [١١/٨٩٠] .
(٤) أخرجه البخارى [٩٦٣] ، ومسلم [١/٨٨٤] .
(٥) أخرجه البخارى [٩٦٢] ، ومسلم [١/٨٨٤] .
(٦) أخرجه البخارى [٩٦٤] ، ومسلم [٢/٨٨٤] .
(٧) أخرجه البخارى [٩٥٧] .
(٨) رواه أبو يعلى فى مسنده [١١٨٢] ، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد [٢/٢٠٥] وقال رواه أبو يعلى ، ورجاله رجال الصحيح .
(٩) رواه ابن ماجه [١٢٨٤] وحسنه الألبانى فى صحيح ابن ماجه [١٠٦٣] .

=○ وعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال : سمعته يقول : « قام النبى ﷺ يوم الفطر فصلى ، فبدأ بالصلاة ثم خَطب ، فلما فرغ نزل فأتى النساء فذكَّرهنَّ وهو يتوكأ على يد بلال ، وبلال باسط ثوبه يُلقى فيه النساء الصدقة . قلت لعطاء : زكاة يوم الفطر ؟ قال : لا ، ولكن صدقة يتصدقن حينئذ : تُلقى فَتَخَها ويُلقين . قلت : أترَى حقاً على الإمام ذلك ويُذكرهنَّ ؟ قال : إنه لحقٌّ عليهم ، وما لهم لا يفعلونه ؟ » [1] .

○ وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : « شهدت الفطر مع النبى ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم يُصلُّونها قبل الخطبة ، ثم يخطب بعد . خرج النبى ﷺ كأنى أنظر إليه حين يُجَلِّسُ بيده . ثم أقبل يشقهم حتى أتى النساء معه بلال فقال : « ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ ﴾ الآية [الممتحنة : ١٢] ثم قال حين فرغ منها : « آنتُنَّ على ذلك ؟ » قالت امرأة واحدة منهن - لم يُجِبهُ غيرها - : نعم . لا يدرى حسن من هى . قال : « فتصدقن » فبسط بلال ثوبه ثم قال : هلمُّ ، لكُنَّ فداءٌ أبى وأمى . فيُلقينَ الفَتَخَ والخَواتيمَ فى ثوب بلال [2] .

○ وعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال : « كان النبى ﷺ إذا كان يوم عيد خالف الطريق » [3] .

○ وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ خرج يوم أضحى أو فطر فصلى ركعتين لم يصلِّ قبلها ولا بعدها ، ثم أتى النساء ومعه بلال ، فأمرهُنَّ بالصدقة ، فجعلت المرأة تُلقى خرصها وتلقى سخابها [4] .

○ وعن جابر بن سمرة رضى الله تعالى عنه ، قال : صليت مع رسول الله ﷺ العيدين غير مرّةٍ ولا مرتين بغير أذان ولا إقامة [5] . =

(١) أخرجه البخارى [٩٧٨] .
(٢) أخرجه البخارى [٩٧٩] .
(٣) أخرجه البخارى [٩٨٦] .
(٤) أخرجه البخارى [٩٦٤] ، وأخرجه مسلم [١٣/٨٨٤] ، وأحمد فى المسند [١/٣٤٠] ، وأبو داود [١١٥٩] .
(٥) أخرجه مسلم [٧/٨٨٧] ، والترمذى [٥٣٢] ، أبو داود [١١٤٨] .

=○ وعن عُبَيْدِ اللَّه بن عبد اللَّه ؛ أن عُمر بن الخطاب رضى اللَّه تعالى عنه سأل أبا واقد الليثى : ما كان يقرأ به رسول اللَّه ﷺ فى الأضحى والفطر ؟ فقال : كان يقرأ فيهما بـ ﴿ قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴾ و ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾[1] .

○ وعن النعمان بن بشير ؛ قال كان رسول اللَّه ﷺ يقرأ فى العيدين وفى الجمعة ، بـ ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ ، و ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴾[2] .

قال : وإذا اجتمع العيد والجمعة فى يوم واحد ، يقرأ بهما أيضا فى الصلاتين .

○ وعن إياس ابن أبى رملة الشامى قال : شهدت معاوية بن سفيان وهو يسأل زيد بن أرقم قال : أَشَهِدْتَ مع رسول اللَّه ﷺ عيدين اجتمعا فى يوم ؟ قال : نعم ، قال : فكيف صنع ؟ قال : صلَّى العيد ثم رَخَّص فى الجمعة ، فقال : من شاء أن يُصَلِّىَ فليُصَلِّ »[3] .

○ وعن ابن جريج ، قال : قال عطاء : اجتمع يوم جمعة ويوم فِطر على عهد ابن الزبير فقال : عيدان اجتمعا فى يوم واحد ، فجمعهما جميعاً فصلاهما ركعتين بُكْرَةً ، لم يزد عليهما حتى صلى العصر[4] .

○ وعن أبى هريرة رضى اللَّه تعالى عنه ، عن رسول اللَّه ﷺ ، أنه قال : « قد اجتمع فى يومكم هذا عيدان : فمن شاءَ أجزأه من الجمعة ، وإنا مجمِّعون »[5] .

○ وعن عطاء بن أبى رباح ، قال : صلى بنا ابن الزبير فى يوم عيد فى يوم جمعة أول النهار ، ثم رُحْنَا إلى الجمعة ، فلم يخرج إلينا ، فصلينا وُحْدَاناً ، وكان ابن عباس بالطائف ، فلما قدم ذكرنا ذلك له ، فقال : أصاب السنة[6] . =

(١) أخرجه مسلم [١٤/٨٩١] ، وأبو داود [١١٥٤] ، الترمذى [٥٣٤] .

(٢) أخرجه مسلم [٦٢/٨٧٨] ، وأبو داود [١١٢٢] ، والترمذى [٥٣٣] .

(٣) رواه أبو داود [١٠٧٠] ، وابن ماجة [١٣١٠] والبيهقى فى السنن الكبرى [٦٢٨٦] ، وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود [٩٤٥] .

(٤) رواه أبو داود [١٠٧٢] ، وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود [٩٤٧] .

(٥) رواه أبو داود [١٠٧٣] ، وابن ماجة [١٣١١] والبيهقى فى السنن الكبرى [٦٢٨٧] ، والحاكم فى المستدرك [١/٢٨٨] ، وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود [٩٤٨] .

(٦) رواه أبو داود [١٠٧١] ، وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود [٩٤٦] .

=○ وعن أبى عبيد مولى ابن أزهر : أنه شهد العيد يوم الأضحى مع عمر ، فصلى قبل الخطبة ثم خطب فقال : يا أيها الناس إن رسول اللَّه ﷺ قد نهاكم عن صيام هذين العيدين ، أما أحدهما : فيوم فطركم من صيامكم ، وأما الآخر فيوم تأكلون فيه من نسككم . قال أبو عبيد : ثم شهدت مع عثمان بن عفان رضى اللَّه تعالى عنه وكان ذلك يوم الجمعة ، فصلى قبل الخطبة ، ثم خطب فقال : « يا أيها الناس إن هذا يوم قد اجتمع لكم فيه عيدان ، فمن أحب أن ينتظر الجمعة من أهل العوالى فلينتظر ، مَنْ أحب أن يرجع فليرجع ، فقد أذنت له »[1] .

○ وعن أبى عبيد مولى ابن أزهر قال : شهدت العيد مع عثمان بن عفان رضى اللَّه تعالى عنه ، فجاء فصلى ، ثم انصرف ، فخطب فقال : إنه قد اجتمع لكم فى يومكم هذا عيدان ، فمن أحب من أهل العالية أن ينتظر الجمعة فلينتظرها ، ومَنْ أحب أن يرجع فليرجع ، فقد أذنت له[2] .

○ وعن يزيد بن خمير الرحبى ، قال : خرج عبد اللَّه بن بسر - صاحب رسول اللَّه ﷺ - مع الناس فى يوم عيد فطر - أو أضحى - ، فأنكر إبطاء الإمام ، فقال : إنا كنا قد فرغنا ساعتنا هذه ، وذلك حين التسبيح[3] .

○ وعن عائشة رضى اللَّه تعالى عنها ، أن رسول اللَّه ﷺ كان يكبر فى الفطر والأضحى : فى الأولى سبع تكبيرات ، وفى الثانية خمساً[4] .

○ وعن ابن عمرو بن العاص قال : قال نبى اللَّه ﷺ : « التكبير فى الفطر سَبْعٌ فى الأولى ، وخمس فى الآخرة ، والقراءة بعدهما كلتيهما »[5] . =

(١) رواه البيهقى فى السنن الكبرى [٦٢٩٢] .

(٢) رواه البيهقى فى السنن الكبرى [٦٢٩١] .

(٣) رواه أبو داود [١١٣٥] ، وابن ماجه [١٣١٧] ، وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود [١٠٠٥] .

(٤) رواه أبو داود [١١٤٩] ، وابن ماجه [١٢٨٠] ، وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود [١٠١٨] .

(٥) رواه أبو داود [١١٥١] ، وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود [١٠٢٠] .

○ وعن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن النبى ﷺ كان يكبر فى الفطر فى الأولى سبعاً ثم يقرأ ، ثم يكبر ، ثم يقوم فيكبر أربعاً ، ثم يقرأ ، ثم يركع[1] .

○ وعن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه ، عن جده ، أن رسول الله ﷺ كبر فى العيدين سبعاً فى الأولى ، وخمساً فى الآخرة [2] .

○ وعن عمار بن سعد عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ كان يخرج إلى العيد ماشياً ، ويرجع ماشياً [3] .

○ وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ، قال : كان رسول الله ﷺ يخرج إلى العيد ماشياً ، ويرجع ماشياً [4] .

○ وعن عائشة رضى الله تعالى عنها ، قالت : دخل رسول الله ﷺ وعندى جاريتان تُغَنِّيَانِ بغناء بُعَاثٍ ، فاضطجع على الفِرَاشِ ، وحول وجهه ، فدخل أبو بكر فانتهرَنى ، وقال : مِزْمَارُ الشيطان عند رسول الله ﷺ ؟ فأقبل عليه رسول الله ﷺ ، فقال : « دَعْهُمَا » فلما غَفَلَ غَمَزْتُهُما فخرجتا ، وكان يوم عيد يلعبُ السُّودَانُ بالدَّرَقِ والحراب ، فإما سألت رسول الله ﷺ وإما قال : « تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ ؟ » فقلت : نعم . فأقامنى وراءه ، خَدِّى على خَدِّه ، وهو يقول : « دُونَكُمْ يا بنى أَرْفَدَةَ » حتى إذا مَلِلْتُ قال : « حَسْبُكِ ؟ » قلت : نعم . قال : « فاذْهَبِى » [5] .

○ وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتى ، والحبَشَةُ يلعبون بحرابهم فى مسجد رسول الله ﷺ يَسْتُرُنِى بردائه ، لكى أنظُرَ إلى لعبهم ، ثم يقوم من أَجْلِى ؛ حتى أكون أنا التى أنصرف . فاقْدُرُوا قَدْرَ الجارِيَة الحديثة السِّنِّ ، حريصة على اللَّهْوِ [6] .

(١) رواه أبو داود [١١٥٢] ، وابن ماجة [١٢٧٨] ، وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود [١٠٢١] .
(٢) رواه ابن ماجه [١٢٧٩] ، وصححه الألبانى فى صحيح ابن ماجه [١٠٥٧] .
(٣) رواه ابن ماجه [١٢٩٤] ، وحسنه الألبانى فى صحيح ابن ماجه [١٠٧٠] .
(٤) رواه ابن ماجه [١٢٩٥] ، وحسنه الألبانى فى صحيح ابن ماجه [١٠٧١] .
(٥) رواه البخارى [٩٤٩] ومسلم [١٩/٨٩٢] واللفظ لمسلم .
(٦) أخرجه مسلم [١٨/٨٩٢] .

○ أخرج مسلم [٤٨٩] عن ربيعة بن مالك الأسلمى رضى الله تعالى عنه قال : قال لى النبى ﷺ « سَلْ » ، فقلت : أسألك مُرافقتك فى الجنة ، فقال : « أو غير ذلك » فقلت : هو ذاك ، قال : « فأعنى على نفسك بكثرة السجود » .

○ وأخرج البخارى [١١٨٠] عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : حفظت من النبى ﷺ عشر ركعات : ركعتين قبل الظهر ، وركعتين بعدها ، وركعتين بعد المغرب فى بيته ، وركعتين بعد العشاء فى بيته ، وركعتين قبل الصبح . متفق عليه . وفى رواية لهما : وركعتين بعد الجمعة فى بيته .

○ ولمسلم [٧٢٣] : كان إذا طلع الفجر لا يصلى إلا ركعتين خفيفتين .

○ أخرج البخارى [١١٨٢] عن عائشة رضى الله تعالى عنها : أن النبى ﷺ كان لا يدع أربعًا قبل الظهر ، وركعتين قبل الغداة .

○ وأخرج البخارى [١١٦٩] عنها رضى الله تعالى عنها قالت : لم يكن النبى ﷺ على شىء من النوافل أشد تعاهدًا منه على ركعتى الفجر . متفق عليه .

○ ولمسلم [٧٢٥] « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » .

○ وأخرج مسلم [١٠٢/٨٢٨] عن أم حبيبة رضى الله تعالى عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من صلى اثنتى عشرة ركعة فى يومه وليلته بُنى له بهن بيت فى الجنة » وفى رواية [١٠٢/٨٢٨] « تطوعًا » .

○ وللترمذى [٤١٥] نحوه ، وزاد : « أربعًا قبل الظهر ، وركعتين بعدها ، وركعتين بعد المغرب ، وركعتين بعد العشاء ، وركعتين قبل صلاة الفجر » .

○ وروى أبو داود [١٢٧١] عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « رحم الله أمرأً صلى قبل العصر أربعًا » .

○ وأخرج البخارى [١١٨٣] عن عبد الله بن مُغَفَّلٍ المزنى رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « صلوا قبل صلاة المغرب » - قال فى الثالثة : - « لمن شاء » .=

= كراهية أن يتخذها الناس سنة .

○ وروى ابن حبان فى صحيحه [١٥٨٨] عن عبد الله المزنى رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ صلى قبل المغرب ركعتين .

وقال الأرناؤوط إسناده صحيح .

○ وأخرج مسلم [٣٠٢/٨٣٦] و أبو داود [١٢٨٢] عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : كنا نصلى على عهد النبى ﷺ ركعتين بعد غروب الشمس ، قبل صلاة المغرب وكان النبى ﷺ يرانا ، فلم يأمرنا ولم ينهنا .

○ أخرج البخارى [١١٧١] عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : كان النبى ﷺ يخفف الركعتين اللتين قبل صلاة الصبح حتى إنى أقول : هل قَرَأَ بأم الكتاب ؟ متفق عليه .

○ أخرج مسلم [٩٨/٧٢٦] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قرأ فى ركعتى الفجر ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ و ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ .

○ أخرج البخارى [٦٢٦] وابن ماجه [١١٩٨] واللفظ له عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : كان النبى ﷺ إذا صلى ركعتى الفجر اضطجع على شقه الأيمن .

○ روى أحمد فى المسند [٤١٥/٢] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا صلى أحدكم الركعتين قبل صلاة الصبح فليضطجع على جنبه الأيمن » وقال الأرناؤوط إسناده صحيح .

○ أخرج البخارى [٩٩٠] ومسلم [١٤٥/٧٤٩] عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « صلاة الليل مثنى مثنى ، فإذا خَشِى أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة تُوتِرُ له ما قد صلى » . متفق عليه .

وللخمسة : وصححه ابن حبان بلفظ : « صلاة الليل والنهار مثنى » وقال النسائى : هذا خطأ .

○ أخرج مسلم [٢٠٢/١١٦٣] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عه قال : قال رسول الله ﷺ : « أفضل الصلاة بعد الفريضة ، صلاة الليل » .

○ روى أبو داود [١٤٢٢] وصححه الألبانى [١٢٦٠] عن أبى أيوب الأنصارى أن رسول ﷺ قال : « الوتر حق على كل مسلم ، فمن أحب أن يُوتر بخمس فليفعل ، ومن =

= أحب أن يوتر بثلاث فليفعل ، ومن أحب أن يوتر بواحدة فليفعل » .

○ روى الترمذى [٤٥٤] عن علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال : « الوتر ليس بحتم كهيئة الصلاة المكتوبة ، ولكن سنة سنها رسول الله ﷺ .

○ وروى ابن حبان فى صحيحه [٢٤٠٩] عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قام فى شهر رمضان ، ثم انتظروه من القابلة فلم يخرج ، وقال : « إنى خشيت أن يكتب عليكم الوتر » .

○ وروى ابن ماجه [١١٦٨] عن خارجة بن حُذافة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله قد أمدكم بصلاة هى خير لكم من حُمْرِ النعم » « الوتر ، جعله الله لكم ما بين صلاة العشاء إلى أن يطلع الفجر » وقال الألبانى فى ضعيف ابن ماجه [٢٤٥] صحيح دون قوله « هى خير لكم من حمر النعم » .

○ أخرج البخارى [١١٤٧] ومسلم [١٢٥/٧٣٨] عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : ما كان رسول الله ﷺ يَزيد فى رمضان ولا فى غيره على إحدى عشرة ركعة ، يُصلى أربعًا ، فلا تسأل عن حُسنهنَّ وطولهنَّ ، ثم يُصلى أربعًا ، فلا تسأل عن حُسنهنَّ وطولهنَّ ، ثم يصلى ثلاثًا . قالت عائشة ، فقلت : يا رسول الله أتنام قبل أن تُوتر ؟ فقال : « يا عائشة ، إن عينى تنامان ولا ينام قلبى .

○ أخرج مسلم [١٢٣/٧٣٧] عنها رضى الله تعالى عنها قالت : « كان رسول الله ﷺ يُصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة ، يُوتر من ذلك بخمس ، لا يجلس فى شىء إلا فى آخرها » .

○ أخرج البخارى [٩٩٦] ومسلم [١٣٦/٧٤٥] وعنها رضى الله تعالى عنها قالت : من كُلِّ الليل قد أوتَر رسول الله ﷺ ، فانتهى وتره إلى السحر . متفق عليه .

○ أخرج البخارى [١١٥٢] ومسلم [١٨٥/١١٥٩] عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « يا عبد الله ، لا تكن مثل فلان ، كان يقوم من الليل ، فترك قيام الليل » . =

=○ وروى أحمد فى المسند [١/١١٠] وأبو داود [١٤١٦] وقال الأرناؤوط إسناده قوى عن علىّ كرم الله وجهه قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « يا أهل القرآن ، أوتروا فإن اللّٰه عز وجل وِترٌ يحب الوتر » .

○ وأخرج مسلم [١٥١/٧٥١] عن ابن عمر رضى اللّٰه تعالى عنهما أن النبى ﷺ قال : « اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترًا » .

○ وروى أحمد فى المسند [٤/٢٣] وقال الأرناؤوط إسناده حسن عن طلق بن علىّ قال : سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول : « لا وتران فى ليلة » .

○ وروى ابن حبان [٢٤٣٦] وقال الأرناؤوط إسناده صحيح عن أُبى بن كعب رضى اللّٰه تعالى عنه قال : كان رسول اللّٰه ﷺ يُوتر بـ ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ ، و ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ ، و ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ .

○ أخرج مسلم [١٦٠/٧٥٤] عن أبى سعيد الخدرى رضى اللّٰه تعالى عنه أن النبى ﷺ قال : « أوتروا قبل أن تُصبحوا » .

○ وروى ابن ماجه [١١٨٨] وعنه رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « من نام عن الوتر أو نسيه فليصل إذا أصبح أو ذَكَرَه » .

○ أخرج مسلم [١٦٢/٧٧٥] عن جابر قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله ، ومن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل ، فإن صلاة آخر الليل مشهودة ، وذلك أفضل » .

○ وروى الترمذى [٤٦٩] وأحمد [٢/١٤٩] وعن ابن عمر رضى اللّٰه تعالى عنهما عن النبى ﷺ قال : « إذا طلع الفجر فقد ذهب وقت كل صلاة الليل والوتر . فأوتروا قبل طلوع الفجر » .

○ أخرج مسلم [٧٩/٧١٩] عن عائشة رضى اللّٰه تعالى عنها قالت : كان رسول اللّٰه ﷺ يصلى الضحى أربعًا ، ويزيد ما شاء اللّٰه . =

○ وأخرج مسلم [٧٦/٧١٧] عنها رضى اللّٰه تعالى عنها أنها سُئلت : أكان النبى ﷺ يصلى الضحى ؟ قالت : لا . إلا أن يجىء من مغيبه .

○ أخرج مسلم [١٤٣/٧٤٨] وعن زيد بن أرقم رضى اللّٰه تعالى عنه ، أن رسول اللّٰه ﷺ قال : « صلاة الأوابين حين تَرمَضُ الفصال » .

○ أخرج الترمذى [٤٧٣] وعن أنس رضى اللّٰه تعالى عنه قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « من صلى الضحى اثنتى عشرة ركعة بنى اللّٰه له قصرًا من ذهب فى الجنة » رواه الترمذى واستغربه .

○ وروى ابن حبان فى صحيحه عن عائشة رضى اللّٰه تعالى عنها قالت : « دخل رسول اللّٰه ﷺ بيتى . فصلى الضحى ثمانى ركعات » .

○○○

○ أخرج البخارى [١٠٤٣] ، ومسلم [٢٩/٩١٥] عن المغيرة بن شُعبة رضى اللّه تعالى عنه قال : انكسفت الشمس على عهد رسول اللّه ﷺ ، يوم مات إبراهيم ، فقال رسول اللّه ﷺ : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات اللّه لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتموهما ، فادعوا اللّه وصلوا ، حتى ينكشف » .

○ وأخرج البخارى [١٠٥٧] ، ومسلم [٢١/٩١١] ؛ عن أبى مسعود الأنصارى رضى اللّه تعالى عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات اللّه ، يخوف اللّه بهما عباده ، وإنهما لا ينكسفان لموت أحد من الناس ، فإذا رأيتم منها شيئًا فصلوا وادعوا اللّه حتى ينكشف ما بكم » .

○ أخرج مسلم [٥/٩٠١] عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها : أن النبى ﷺ جَهَرَ فى صلاة الكسوف بقراءته فصلى أربع ركعات فى ركعتين ، وأربع سجدات .

○ وأخرج البخارى [١٠٥٢] ، ومسلم [١٧/٩٠٧] عن ابن عباس رضى اللّه تعالى عنهما قال : انخسفت الشمس على عهد رسول اللّه ﷺ فصلى رسول اللّه ﷺ ، فقام قيامًا طويلًا ، نحوًا من قراءة سورة البقرة ، ثم ركع ركوعًا طويلًا ، ثم رفع فقام قيامًا طويلًا وهو دون القيام الأول ، ثم ركع ركوعًا طويلًا ، وهو دون الركوع الأول ، ثم سجد ، ثم قام قياما طويلًا ، وهو دون القيام الأول ، ثم ركع ركوعًا طويلًا ، وهو دون الركوع الأول ، ثم رفع ، فقام قيامًا طويلًا ، وهو دون القيام الأول ، ثم ركع ركوعًا طويلا ، وهو دون الركوع الأول ، ثم سجد ، ثم انصرف وقد تجلت الشمس ... » .

○ أخرج مسلم [١٨/٩٠٨] عن ابن عباس رضى اللّه تعالى عنهما قال : صلى رسول اللّه ﷺ حين كُسِفَت الشمس ثمانى ركعات فى أربع سجدات .

○ وأخرج مسلم [١٠/٩٠٤] عن جابر بن عبد اللّه رضى اللّه تعالى عنه : « ... صلى ست ركعات بأربع سجدات ... » .

=

○ وروى الطبرانى فى الكبير [١١٥٣٣/٢١٣/١١] عن ابن عباس رضى اللّه تعالى عنهما قال : إذا هاجت ريح استقبلها بوجهه وجثَا على رُكبتيه ، ومد يديه وقال : اللهم إنى أسألك خير هذه الريح ، وخير ما أُرسلت به ، وأعوذ بك من شرها وشر ما أُرسلت به ، اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابًا ، اللهم اجعلها رياحًا ولا تجعلها ريحًا » .

○ روى النسائى فى الكبرى [٥٠٤/١٨٥/١] عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت : صلاة الآيات ست ركعات وأربع سجدات .

والحديث أخرجه مسلم [٧/٩٠١] بلفظ : أن النبى ﷺ صلى ست ركعات وأربع سجدات » .

○○○

○ الاستسقاء هو : طلب سقاية اللّه تعالى عند حدوث الجدب ، عن عبد اللّه بن عمر رضى اللّه تعالى عنه ؛ قال : أقبل علينا رسول اللّه ﷺ ، فقال : « يا معشر المهاجرين ! خمسٌ إذا ابتُليتم بهن ، وأعوذُ باللّه أن تُدْرِكُوهُنَّ : لم تظهر الفاحشة فى قوم قط ، حتى يُعلنُوا بها ، إلا فشا فيهم الطاعُونُ والأوجاعُ التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مَضَوْا . ولم ينقُصُوا المكيال والميزان ، إلا أُخِذُوا بالسنين وشِدة المئونَةِ وجَوْرِ السلطان عليهم . ولم يمنعوا زكاة أموالهم ، إلا مُنِعُوا القَطْرَ من السماء ، ولولا البهائم لم يُمْطَرُوا . ولم ينقُضُوا عهد اللّه وعهد رسوله ، إلا سلط اللّه عليهم عَدُوا من غيرهم ، فأخذوا بعض ما فى أيديهم . وما لم تَحْكُم أئمتهم بكتاب اللّه ، ويتخيروا مما أنزل اللّه ، إلا جعل اللّه بأسهم بينهم » .

○ وروى ابن ماجه [١٢٦٦] عن ابن عباس رضى اللّه تعالى عنهما قال : خرج رسول اللّه ﷺ متواضعًا ، مُتبذلًا ، مُتخشعًا ، مُترسلًا ، متضرعًا ، فصلى ركعتين ، كما يصلى فى العيد ، ولم يخطب خُطبتكم هذه . وقال الألبانى فى صحيح ابن ماجه [١٠٤٦] : حسن .

○ وروى أبو داود [١١٧٣] عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت : شَكا الناس إلى رسول اللّه ﷺ قُحُوط المطر ، فأمر بمنبر ، فوُضِع له فى المصلى ، ووعد الناس يوما يخرجون فيه .

قالت عائشة : فخرج رسول اللّه ﷺ حين بَدَا حاجب الشمس ، فقعد على المنبر ، فكبر ﷺ وحمد اللّه عز وجل ، ثم قال :

« إنكم شكوتم جدب دياركم واستئخار المطر عن إبان زمانه عنكم وقد أمركم اللّه عز وجل أن تدعوه ، ووعدكم أن يستجيب لكم .

ثم قال : « الحمد للّه رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، لا إله إلا اللّه يفعل ما يُريد ، اللهم أنت اللّه ، لا إله إلا أنت الغنى ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ، واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغًا إلى حين » . =

= ثم رفع يديه ، فلم يزل فى الرفع حتى بدا بياض إبطيه ، ثم حَول إلى الناس ظهره ، وقلب رداءه ، وهو رافع يديه ، ثم أقبل على الناس ونزل ، فصلى ركعتين ، فأنشأ اللّه تعالى سحابة . فرعدت ، وبرقت . ثم أمطرت . بإذن اللّه ، فلم يأت مسجده حتى سالت السيول ، فلما رأى سرعتهم إلى الكنّ ضحك ﷺ حتى بدت نواجذه فقال : أشهد أن اللّه على كل شىء قدير ، وأنى عبد اللّه ورسوله . وقال الألبانى فى صحيح أبى داود [١٠٤٠] : حسن .

○ وأخرج البخارى [١٠١٣] ، ومسلم [٨/٨٩٧] عن أنس رضى اللّه تعالى عنه أن رجلًا دخل المسجد يوم جمعة ، من باب كان نحو دار القضاء ورسول اللّه ﷺ قائم يخطب . فاستقبل رسول اللّه ﷺ قائمًا ، ثم قال : يا رسول اللّه ، هَلَكَت الأموال ، وانقطعت السبل ادع اللّه عز وجل يُغِيثُنا ، قال : فرفع رسول اللّه ﷺ يديه ، ثم قال : « اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا » فذكر الحديث . وفيه الدعاء بإمساكها .

○ وأخرج البخارى [١٠١٠] عن أنس ، أن عمر رضى اللّه تعالى عنه ، كان إذا قُحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا . قال فيسقون .

○ أخرج مسلم [١٣/٨٩٨] ، وعنه رضى اللّه تعالى عنه قال : أصابنا - ونحن مع رسول اللّه ﷺ مطر - قال : فَحَسَر رسول اللّه ﷺ ثوبه ، حتى أصابه من المطر ، فقلنا : يا رسول اللّه لما صنعت هذا ؟ قال : « لأنه حديث عهد بربه تعالى » .

○ أخرج البخارى [٥١٩/٢] عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها ، أن النبى ﷺ كان إذا رأى المطر قال : « صَيِّبًا نافعًا » .

○ وورورى الطبرانى فى الدعاء [٩٦٨] عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه أن رسول اللّه ﷺ قال : « خرج سُليمان عليه السلام يستسقى ، فرأى نملة مستلقية على ظهرها =

○ ○ ○

رافعة قوائمها إلى السماء تقول : اللهم إنا خَلقٌ من خلقك ، ليس بنا غنى عن سُقياك ، فقال : ارجعوا فقد سُقيتُم بدعوة غيركم »[1] .

(١) إسناده ضعيف لضعف زيد العمى ، وروى الحاكم [١/٤٧٣/١٢١٥] ، والدارقطنى [٢/٦٦/١] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال :
قال رسول الله ﷺ : « خرج نبى من الأنبياء يستسقى فإذا هو بنملة رافعة بعض قوائمها إلى السماء .
فقال : « ارجعوا فقد استجيب لكم من أجل شأن النملة » .
وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى .

○ أخرج البخارى [٦٤٩] ، وأخرج مسلم [٢٤٩/٦٥٠] عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفَذّ بسبع وعشرين درجة » .

○ وأخرج البخارى [٦٤٤] ، ومسلم [٢٥١/٦٥١] ، عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : « والذى نفسى بيده لقد هممت أن آمُرَ بحطب فيُحتطب ، ثم آمر بالصلاة فيُؤذَّنَ لها ، ثم آمر رجلًا فيَؤُمَّ الناس ، ثم أُخالف إلى رجال فأُحرق عليهم بيوتهم ، والذى نفسى بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقًا سمينا أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء » .

○ وأخرج مسلم [٢٥٢/٦٥١] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أثقل الصلاة على المنافقين : صلاة العشاء ، وصلاة الفجر ، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا » .

○ وأخرج مسلم [٢٥٥/٦٥٣] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : أتى النبى ﷺ رجل أعمى فقال : يا رسول الله ، إنه ليس لى قائد يقودنى إلى المسجد ، فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له فرَخَّصَ له ، فلما ولى دعاه ، فقال : « هل تسمع النداء بالصلاة ؟ » فقال : نعم . قال : « فأجب » .

○ وروى ابن ماجه [٧٩٣] عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ، عن النبى ﷺ قال : « من سمع النداء فلم يأته فلا صلاة له إلا من عذر » ، وقال الألبانى فى صحيح ابن ماجه [٦٤٥] : صحيح .

○ وروى أحمد فى المسند [٤/١٦١] عن يزيد بن الأسود عن أبيه ، أنه صلى مع رسول الله ﷺ صلاة الصبح - عنى وهو غلام شاب - ، فلما صلى رسول الله ﷺ ، إذا هو برجلين لم يُصليا ، فدعا بهما ، فجيء بهما ترعُدُ فرائصهما ، فقال لهما : « ما منعكما أن تُصليا معنا ؟ » قالا : قد صلينا فى رحالنا . قال : « فلا تفعلا ، =

= إذا صليتم فى رحالكم ثم أدركتم الإمام لم يُصل فصليا معه ، فهى لكم نافلة » وقال : الأرناؤوط إسناده صحيح .

○ أخرج مسلم [٤١٧/ ٨٩] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما جُعل الإمام ليؤتم به ، فإذا كبر فكبروا ، وإذا ركع فاركعوا ، وإذا قال سمع الله لمن حمده ، فقولوا : اللهم ربنا لك الحمد ، وإذا صلى قائمًا فصلوا قيامًا ، وإذا صلى قاعدًا فصلوا قُعُودًا أجمعون » .

○ أخرج مسلم [٤٣٨ /١٣٠] عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ رأى فى أصحابه تأخرًا . فقال : « تقدموا فأتموا بى ، وليأتم بكم من بعدكم » رواه مسلم .

○ أخرج البخارى [٧٣١] عن زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه قال : اتخذ رسول الله حجرة قال – حسب أنه قال من حصير – فى رمضان فصلى فيها ليالى فصلى بصلاته ناس من أصحابه ... الحديث ، وفيه : « أفضل صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة » .

○ أخرج مسلم [١٧٨/٤٦٥] عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما أنه قال : صلى مُعاذ بن جبل الأنصارى لأصحابه العشاء فطول عليهم ،فانصرف رجل منا ، فصلى فأخبر معاذ عنه فقال إنه منافق ، فلما بلغ ذلك الرجل دخل على رسول الله ﷺ فأخبره ماقال معاذ . فقال النبى ﷺ : « أتريد أن تكون فَتَّانًا يا مُعاذ ؟ إذا أَمَمت الناس فاقرأ بـ ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴾ ، و ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ ، و ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ و ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ » .

○ أخرج مسلم [٤١٨/٩٥] عن عائشة رضى الله تعالى عنها – فى قصة صلاة رسول الله ﷺ بالناس وهو مريض – قالت : فجاء رسول الله ﷺ حتى جلس عن يسار أبى بكر قالت : فكان رسول الله ﷺ يصلى بالناس جالسًا وأبو بكر قائمًا ، يقتدى أبو بكر بصلاة النبى ﷺ ، ويقتدى الناس بصلاة أبى بكر .

○ أخرج مسلم [٤٦٧/ ١٨٣] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ =

= قال : « إذا أم أحدُكم الناس فليخفف ، فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف والمريض ، فإذا صلى وحده فليصل كيف شاء ».

○ أخرج البخارى [٤٣٠٢] عن عمرو بن سلمة قال : قال أبى : جئتكم من عند النبى ﷺ حقًّا . فقال : « صلوا صلاة كذا فى حين كذا ، وصلوا صلاة كذا فى حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم ، وليؤمكم أكثركم قُرآنا » فنظروا فلم يكن أحدٌ أكثر قُرآنًا منى ، لما كنت اتلقى من الركبان فقدمونى بين أيديهم ، وأنا ابن ست أو سبع سنين .

○ أخرج مسلم [٢٩٠/٦٧٣] عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله تعالى ، فإن كانوا فى القراءة سواء فأعلمهم بالسنة ، فإن كانوا فى السنة سواء فأقدمهم هجرة ، فإن كانوا فى الهجرة سواء فأقدمهم سِلْمًا – وفى رواية : سِنًّا – ولا يؤُمّن الرجل الرجل فى سلطانه ، ولا يقعد فى بيته على تكرمته إلا بإذنه » .

○ روى أبو دواد [٦٦٧] عن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال : « رُصُّوا صُفُوفَكُم ، وقاربوا بينها ، وحاذوا بالأعناق » .

○ أخرج مسلم [١٣٢/٤٤٠] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خير صفوف الرجل أولها ، وشرها آخرها ، وخير صفوف النساء آخرها ، وشرها أولها » .

○ وأخرج البخارى [٦٣١٦] ومسلم [١٨٨/٧٦٣] عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : « بت ليلة عند خالتى ميمونة فقام النبى ﷺ من الليل .. الحديث ، وفيه فقام فصلى . فقمت عن يساره فأخذ بيدى فأدارنى عن يمينه .. » .

○ أخرج البخارى [٨٧١] عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : صلى النبى ﷺ ، فى بيت أم سليم فقمت ويتيم خلفه ، وأم سُليم خلفنا .

○ أخرج البخارى [٧٨٣] عن أبى بَكْرَة رضى الله تعالى عنه ، أنه انتهى إلى النبى ﷺ ، وهو راكع ، فركع قبل أن يصل إلى الصف فذكر ذلك للنبى ﷺ ، فقال له =

= النبى ﷺ : « زادك الله حِرْصًا ولا تَعُد » .

○ وزاد أبو داود [٦٨٤] : « أيكم الذى ركع دون الصف ، ثم مشى إلى الصف » . وقال الألبانى فى صحيح أبى داود وصحيح [٦٣٥] .

○ روى أبو داود [٦٨٢] عن وابصة بن معبد رضى الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ رأى رجلًا يُصلى خلف الصف وحده ، فأمره أن يُعيد الصلاة .وقال الألبانى فى صحيح أبى داود [٦٣٣] صحيح .

○ أخرج البخارى [٦٣٦] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال النبى ﷺ : « إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة ، وعليكم بالسكينة والوقار ، ولا تُسرعوا ، فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فأتموا » .

○ روى أبو دواد [٥٥٤] عن أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده ، وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل ، وما كَثُر فهو أحب إلى الله تعالى» وقال الألبانى فى صحيح أبى داود [٥١٨] حسن .

○ وروى أحمد [٤٠٥/٦] عن أم ورقة رضى الله تعالى عنها أن النبى ﷺ أمرها أن تؤم أهل دارها [1] .

○ وروى أبو داود [٥٩٥] عن أنس رضى الله تعالى عنه ، أن النبى ﷺ استخلف ابن أم مكتوم يَؤُم الناس ، وهو أعمى .وقال الألبانى فى صحيح أبى داود [٥٥٥] حسن صحيح .

○○○

(١) ورواه البيهقى فى الكبرى [٥١٣٦/١٣٠/٣] وأبو داود [٥٩٢] وقال الألبانى فى صحيح أبى داود [٥٥٣] حسن .

○ اخرج البخارى [١٠٩٠] ومسلم [١/٦٨٥] عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : أول ما فُرضت الصلاة ركعتين ، فأُقِرت صلاة السفر وأُتمت صلاة الحَضَر .

○ روى أحمد فى المسند[١٠٨/٢] عن ابن عُمر رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى يُحب أن تُؤتى رُخصهُ كما يكره أن تُؤتى مَعصيتُه » .

○ وروى ابن حبان فى صحيحه [٣٥٤] عن ابن عباس رضى الله تعالى عنها قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يُحب أن تُؤتى عزائمه » .

○ وروى مسلم [١٢/٦٩١] عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا خرج مَسِيرَةَ ثلاثة أميال ، أو فَرَاسخ ، صلى ركعتين .

○ وأخرج البخارى [١٠٨١] ومسلم [١٥/٦٩٣] عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : خَرجنا مع رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة . فكان يصلى ركعتين ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة .. قلت : أقمتم بمكة شيئًا ؟ قال : أقمنا بها عشرًا .

○ وأخرج البخارى [١٠٨٠] عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : أقام النبى ﷺ : تِسْعة عشر يوما يَقصُرُ . فنحن إذا سافرنا تسعة عشر قصرنا ، وإن زدنا أتممنا .

○ وروى أبو داود [١٢٣٥] عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال : أقام رسول الله ﷺ بتبوك عشرين يوما يقصر الصلاة . وقال الألبانى فى صحيح أبى داود [١٠٩٤] : صحيح .

○ وأخرج البخارى [١١١١] ومسلم [٤٦/٧٠٤] عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا ارتحل فى سفره قبل أن تَزيغَ الشمس أخر الظهر إلى وقت العصر ، ثم نزل فجمع بينهما ، فإن زاغت الشمس قبل أن يرتحل صلى الظهر ثم ركب .

○ أخرج مسلم [٥٢/٧٠٦] عن معاذ رضى الله تعالى عنه قال : خَرجنا مع النبى ﷺ فى غَزوة تبوك . فكان يصلى الظهر والعصر جميعًا والمغرب والعشاء جميعًا . =

وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء : ١٠٢] .

هذا وقد صلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف بهيئات متعددة ، فكان يقسم الجيش إلى قسمين قسم يصلى معه وقسم يرقب العدو ويصلى بكل فرقة ركعتين .

أو يصلى بكل فرقة ركعة ثم يسلم ، بعد صلاة الفرقة الأولى الركعة الأولى تخرج وتأتى الثانية فيصلى الركعة وتنتهى الصلاة ثم تكمل كل منهم الركعة الأخرى ويكون الكل نال شرف الصلاة خلف النبى ﷺ وهناك كيفية ثالثة وهى أن تبدأ الطائفة الأولى الصلاة مع النبى ﷺ بركعة ثم يتوقف النبى ﷺ بعد الركعة دون أن يسلم وتكمل الطائفة الأولى صلاة الركعة الثانية وتخرج من الصلاة ثم تأتى الطائفة الثانية لتصلى مع النبى ﷺ الركعة الثانية ثم ينتظر النبى إلى أن تأتى الطائفة الثانية بالركعة الثانية ويسلم فتنال الطائفة الأولى شرف بدء الصلاة مع الرسول ﷺ وتحظى الطائفة الثانية بشرف السلام معه ﷺ (١) .

(١) أخرج البخارى [٤١٣٣] ومسلم [٣٠٥/٨٣٩] عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : أن رسول الله ﷺ صلى بإحدى الطائفتين ، والطائفة الأخرى مواجهة العدو ثم انصرافوا فقاموا أصحابهم فجاء أولئك فصلى بهم ركعة ، ثم سلم عليهم ، ثم قام هؤلاء فقضوا ركعتهم .

○ وأخرج مسلم [٣٠٧/٨٤٠] عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال : شهدت مع رسول الله ﷺ صلاة الخوف . فصفنا صفين : صف خلف رسول الله ﷺ والعدو بيننا وبين القبلة . فكبر النبى ﷺ وكبرنا جميعًا . ثم ركع وركعنا جميعًا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعًا . ثم انحدر بالسجود ، والصف الذى يليه . وقام الصف المؤخر فى نحر العدو . فلما قضى النبى ﷺ السجود ، وقام الصف الذى يليه ، وانحدر الصف المؤخر بالسجود وقاموا . ثم تقدم الصف المؤخر . وتأخر الصف المقدم . ثم ركع النبى ﷺ وركعنا جميعًا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعًا . ثم انحدر بالسجود =

= والصف الذى يليه الذى كان مؤخرًا فى الركعة الأولى . وقام الصف المؤخر فى نحور العدو . فلما قضى النبى ﷺ السجود والصف الذى يليه . انحدر الصف المؤخر بالسجود . فسجدوا . ثم سلم النبى ﷺ وسلمنا جميعًا . قال جابر : كما يصنع حَرَسُكُم هؤلاء بأمرائهم .

○ أخرج البخارى [٤١٣١] ومسلم [٣٠٩/٨٤١] عن صالح بن خوات بن جبير عن سهل ابن أبى حثمة أن رسول الله ﷺ صلى بأصحابه فى الخوف فصفهم خلفه صفين . فصلى بالذين يلونه ركعة . ثم قام . فلم يزل قائمًا حتى صلى الذين خلفهم ركعة تقدموا وتأخر الذين كانوا ندامهم . فصلى بهم ركعة . ثم قعد حتى صلى الذين تخلفوا ركعة ثم سلم .

○ وأخرج البخارى [٤١٣٦] ومسلم [٣١١/٨٤٣] عن جابر ؛ قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ . حتى إذا كنا بذات الرقاع ، قال كنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله ﷺ . قال : فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله ﷺ معلق بشجرة . فأخذ سيف نبى الله ﷺ فاخترطه . فقال لرسول الله ﷺ : أتخافنى ؟ قال : « لا » قال : فمن يمنعك منى ؟ قال : « الله يمنعنى منك » قال : فتهدده أصحاب رسول الله ﷺ . فأغمد السيف وعلقه . قال فنودى بالصلاة . فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا . وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين . قال : فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعات . وللقوم ركعتان .

○ وأخرج البخارى [٩٤٤] عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قام النبى ﷺ وقام الناس معه فكبر وكبروا معه ، وركع وركع ناس منهم ، ثم سجد وسجدوا معه . ثم قام للثانية فقام الذين سجدوا وحرسوا إخوانهم ، وأتت الطائفة الأخرى فركعوا وسجدوا معه ، والناس كلهم فى صلاة ولكن يحرس بعضهم بعضًا .

○ وقال الحافظ فى الفتح : ورد عن النبى ﷺ فى صلاة الخوف كيفيات حملها بعض العلماء على اختلاف الأحوال ، وحملها آخرون على التوسع والتخيير .

○ وقال النووى فى شرح مسلم [٣٩١/٣] والمختار أن هذه الأوجه كلها جائزة بحسب مواطنها . وفيها تفصيل وتفريع مشهور فى كتب الفقه . قال الخطابى : صلاة الخوف أنواع ؛ صلاها النبى ﷺ فى أيام مختلفة وأشكال متباينة يتحرى فى كلها ما هو أحوط =

= للصلاة وأبلغ فى الحراسة ، فهى على اختلاف صورها متفقة المعنى ، ثم مذهب العلماء كافة أن صلاة الخوف مشروعة اليوم كما كانت إلا أبا يوسف والمزنى فقالا : لا تشرع بعد النبى ﷺ لقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ ﴾ واحتج الجمهور بأن الصحابة لم يزالوا على فعلها بعد النبى ﷺ وليس المراد بالآية تخصيصه ﷺ ، وقد ثبت قوله ﷺ « صلوا كما رأيتمونى أصلى » [1] .

○○○

(١) جزء من حديث أخرجه البخارى [٧٢٤٦] .

مواقيت الصلاة والمحافظة عليها[1]

إن المؤمن مطالب بألا يسوف ويؤخر الصلاة عن وقتها ، وأن يذكر الله سبحانه قائمًا وقاعدًا وعلى جنبه ، وأن تكون الصلاة دائمًا فى بؤرة شعوره ؛ لذا ينبهنا الحق سبحانه إلى ذلك فيقول عز من قائل : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ [النساء : ١٠٣] .

أى : إن الصلاة لها وقت ولا يصح تأخيرها عن وقتها ، صحيح أن وقت صلاة الظهر ممتدة لما قبل صلاة العصر ، ولكن للوقت الأول فضله وثوابه .

وقد يقول قائل ماذا لو جاء وقت الصلاة وأنا أقوم بعمل هام مثلًا ؟ نقول لمثل هؤلاء : أسألكم بالله ماذا تصنعون أثناء هذا العمل الذى تتخيلون أنكم غير قادرين على تركه إذا اضطررتم إلى قضاء الحاجة والذهاب إلى دورة المياه ؛ فماذا تصنعون ؟! إن الله تعالى لا يبارك فى عمل يغنى عن الصلاة ، فأحسنوا توزيع عملكم بما لا يتعارض مع مواقيت الصلاة واعلموا أن الله تعالى يقول : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ... ۝ ﴾ [الطلاق] .

(١) المواقيت جمع ميقات ، والمراد به الوقت الذى عينه الله لأداء هذه العبادة ، وهو القدر المحدود للفعل من الزمان .

وقد جاءت هذه المواقيت فى أحاديث حددها النبى ﷺ على النحو التالى :

○ أخرج مسلم [١٧٣/٦١٢] عن عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنهما ، أن النبى ﷺ قال : « وقت الظهر إذا زالت الشمس ، وكان ظِل الرجل كطوله مالم يحضر العصر ، ووقت العصر مالم تصفر الشمس ، ووقت صلاة المغرب مالم يغب الشفق ، ووقت صلاة العِشاء إلى نصف الليل الأوسط ، ووقت صلاة الصبح من طلوع الفجر مالم تطلع الشمس فإذا طلعت الشمس فأمسك عن الصلاة فإنها تطلع بين قرنى شيطان » .

=

والصلاة رزق عبودى يحررك من أى خوف ، وفضلها لا حدود له ! لأن الذى فرضها هو ربك وخالقك ، فكيف تبخل على نفسك أن تكون موصولاً بربك ؟!

○ وله [١٧٦/٦١٣] من حديث بُريدة فى العصر : « والشمس مرتفعة بيضاء نقية » .

○ وله [١٧٨/٦١٤] من حديث أبى مُوسى : « والشمس مرتفعة » .

○ و أخرج البخارى [٥٩٩] عن أبى بَرزَةَ الأسلمى رضى اللّه تعالى عنه قال : كان رسول اللّه ﷺ يُصلى العصر ، ثم يرجع أحدنا إلى رحله فى أقصى المدينة والشمس حية ، وكان يستحب أن يُؤَخر من العشاء ، وكان يكره النوم قبلها والحديث بعدها ، وكان ينفتل من صلاة الغداة حين يعرف الرجل جليسهُ ، وكان يقرأ بالستين إلى المائة .

○ أخرج البخارى [٥٦٥] ومسلم [٢٣٣/٦٤٦] عن جابر رضى اللّه تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ يصلى الظهر بالهاجرة والعصر والشمس نقية ، والمغرب إذا وجبت : والعِشاء أحيانًا يؤخرها وأحيانًا يعجل ، كان : إذا رآهم قد اجتمعوا عجّل ، وإذا رآهم قد أبطأوا أخّرَ ، والصبح ؛ كانوا أو « قال » كان النبى ﷺ يُصليها بِغَلَس .

○ ولمسلم [١٧٨/٦١٤] من حديث أبى موسى : فأقام الفجر حين انشق الفجر ، والناس لا يَكَادُ يعرف بعضهم بعضًا .

○ وأخرج البخارى [٥٥٩] ومسلم [٢١٧/٦٣٧] عن رافع بن خديج رضى اللّه تعالى عنه قال : كنا نُصلى المغرب مع رسول اللّه ﷺ فينصرف أحدنا وإنه ليبصر مواقع نبله .

○ وأخرج مسلم [٢١٨/٦٣٨] عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت : أَعْتَمَ النبى ﷺ ذات ليلة بصلاة ، حتى ذَهَبَ عامة الليل ، وحتى نام أهل المسجد ثم خرج ، فصلى ، فقال : « إنه لوقتها لولا أن أشُق على أمتى .

○ وأخرج البخارى [٥٧٩] ومسلم [١٦٣/٦٠٨] عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه أن النبى ﷺ قال : « من أدرك ركعة الصبح قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك الصبح ، ومن أدرك ركعةً من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك العصر » .

○ أخرج مسلم [٢٨٥/٨٢٥] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن الصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس وعن الصلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس .

○ وأخرج البخارى [٥٨١] ومسلم [٢٨٦/٨٢٦] عن ابن عباس قال سمعت غير واحد من أصحاب رسول الله ﷺ منهم عمر بن الخطاب . وكان أحبهم إلىَّ ؛ أن رسول الله ﷺ نهى عن الصلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس وبعد العصر حتى تغرب الشمس .

○ وأخرج البخارى [٥٨٦] ومسلم [٢٨٨/٨٢٧] عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لا صلاة بعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس . ولا صلاة بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس .

○ وأخرج مسلم [٢٩٣/٨٣١] عن عقبة بن عامر الجهنى يقول : ثلاث ساعات كان رسول اللّه ﷺ ينهانا أن نصلى فيهن أو أن نقبر فيهن موتانا حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل الشمس وحين تضيف الشمس للغروب حتى تغرب .

○ قال النووى فى شرح مسلم [٣٧٤/٣] فى أحاديث الباب نهيه ﷺ عن الصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس وبعد الصبح حتى تطلع الشمس ، وبعد طلوعها حتى ترتفع ، وعند استوائها حتى تزول وعند اصفرارها حتى تغرب ، وأجمعت الأمة على كراهة صلاة لا سبب لها فى هذه الأوقات ؛ واتفقوا على جواز الفرائض المؤداة فيها ، واختلفوا فى النوافل التى لها سبب كصلاة تحية المسجد ، وسجود التلاوة والشكر ، وصلاة العيد والكسوف وفى صلاة الجنازة وقضاء الفوائت ، ومذهب الشافعى وطائفة جواز ذلك كله بلا كراهة ،

ومذهب أبى حنيفة وآخرين أنه داخل فى النهى لعموم الأحاديث . واحتج الشافعى وموافقوه بأنه ثبت أن النبى ﷺ قضى سنة الظهر بعد العصر ، وهذا صريح فى قضاء السنة الفائتة ، فالحاضرة أولى والفريضة المقضية أولى ، وكذا الجنازة . هذا مختصر ما يتعلق بجملة أحكام الباب .

○○○

(١) روى النسائى [٥٧٣] عن على رضى الله تعالى عنه قال : نهى رسول الله ﷺ عن الصلاة بعد العصر إلا أن تكون الشمس بيضاء نقية مرتفعة . وقال الألبانى فى صحيح النسائى [٥٥٨] : صحيح .

○ وله [٥٧٤] عن عائشة رضى الله تعالى عنها ، قالت : ما ترك رسول الله ﷺ السجدتين بعد العصر عندى قط . وقال الألبانى فى صحيح النسائى [٥٥٩] صحيح .

○ وله [٥٧٧] عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : صلاتان ما تركهما رسول الله ﷺ فى بيتى سرًا ولا علانية ركعتان قبل الفجر وركعتان بعد العصر . وقال الألبانى فى صحيح النسائى [٥٦٢] صحيح .

○ وروى النسائى [٥٨٠] عن أم سلمة رضى الله تعالى عنها قالت : شغل رسول الله ﷺ عن الركعتين قبل العصر فصلاهما بعد العصر . وقال الألبانى وله [٥٦٥] حسن صحيح .

○ وله عن أم سلمة رضى الله تعالى عنها قالت : إن رسول الله ﷺ كان يصلى ركعتين قبل العصر فشغل عنهما فركعهما حين غابت الشمس فلم أره يصليهما قبل ولا بعد وقال الألبانى فى صحيح النسائى [٥٦٦] صحيح .

○ وله [٥٨٢] عن أبى تميم الجيشانى قام ليركع ركعتين قبل صلاة المغرب فقلت لعقبة بن عامر انظر إلى هذا ! أى صلاة يصلى ؟ فالتفت إليه فرآه فقال هذه صلاة كنا نصليها على عهد رسول الله ﷺ. وقال الألبانى فى صحيح النسائى [٥٦٧] صحيح .

○○○

(١) روى الترمذى [٨٦٨] عن جُبير بن مطعم قال : قال رسول اللّه ﷺ : « يابنى عبد مناف ، لا تمنعوا أحدًا طاف بهذا البيت وصلى أيَّةَ ساعة شاء من ليل أو نهار »

○ وقال الترمذى : وقد اختلف أهل العلم فى الصلاة بعد العصر وبعد الصبح بمكة : فقال بعضهم : لابأس بالصلاة والطواف بعد العصر وبعد الصبح .

وهو قول الشافعى ، وأحمد ، وإسحاق ، واحتجوا بحديث النبى ﷺ هذا .

وقال بعضهم : إذا طاف بعد صلاة العصر لم يصل حتى تغرب الشمس ، وكذلك إن طاف بعد صلاة الصبح أيضًا لم يصل حتى تطلع الشمس ، واحْتَجُّوا بحديث عمر ؛ أنه طاف بعد صلاة الصبح فلم يصل ، وخرج من مكة حتى نزل بذى طوى فصلى بعد ما طلعت الشمس . وهو قول سفيان الثورى ، ومالك بن أنس .

○ قال المباركفورى قوله : « يا بنى عبد مناف » خصهم بالخطاب دون سائر قريش لعلمه بأن ولاية الأمر والخلافة ستؤول إليهم مع أنهم رؤساء مكة وفيهم كانت السدانة والحجابة واللواء والسقاية والرفادة . قاله الطيبى « لا تمنعوا أحدًا طاف بها البيت » يعنى وهو قابل للتقييد بغير الأوقات المنهية إذ سبق النهى أو الصلاة بمعنى الدعاء انتهى .

قلت الظاهر أن صلاة الطواف مستثناة من الأوقات المنهية . قال المظهر : فيه دليل على أن صلاة التطوع فى أوقات الكراهة غير مكروهة بمكة لشرفها لينال الناس من فضلها فى جميع الأوقات ، وبه قال الشافعى ، وعند أبى حنيفة حكمها حكم سائر البلاد فى الكراهة لعموم العلة وشمولها . قال ابن الملك : والظاهر أن المراد بقوله وصلى أية ساعة شاء فى الأوقات الغير مكروهة توفيقًا بين النصوص انتهى .

قلت : التوفيق بين النصوص ليس بمنحصر فى هذا قال الخطابى : واستدل به الشافعى على أن الصلاة جائزة بمكة فى الأوقات المنهى فيها عن الصلاة فى سائر البلدان ، واحتج له أيضًا بحديث أبى ذر قوله : إلا بمكة ، فاستثناه من بين البقاع . =

= وذهب بعضهم إلى تخصيص ركعتى الطواف من بين الصلاة ، قالوا إذا كان الطواف بالبيت غير محظور فى شىء من الأوقات وكان من سنة الطواف أن تصلى الركعتان بعده فقد عقل أن هذا النوع من الصلاة غير منهى عنه انتهى .

قلت : حديث أبى ذر الذى أشار إليه الخطابى هو ما رواه أحمد ورزين عنه بلفظ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا صلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس ولا بعد العصر حتى تغرب الشمس إلا بمكة إلا بمكة إلا بمكة ، وسنده ضعيف وهو يؤيد حديث الباب . تحفة الأحوذى [٣/٥١٤ - ٥١٥] .

والحديث رواه النسائى [٥٨٥] و[٢٩٢٤] وابن ماجة [١٢٥٤] وقال الألبانى فى صحيح ابن ماجه [١٠٣٦] صحيح .

○ أخرج البخارى [٥٢٧] عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : سألت رسول الله ﷺ : أى العمل أحب إلى الله تعالى ؟ قال : « الصلاة على وقتها » . قلت : ثم أى ؟ قال : « بر الوالدين » . قلت : ثم أى ؟ قال : « الجهاد فى سبيل الله » .

○ وأخرج مسلم [١٣٨/٨٥] عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : سألت رسول الله ﷺ : أى العمل أفضل ؟ قال : الصلاة لوقتها . قلت : ثم أى ؟ قال : بر الوالدين ، قلت : ثم أى ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله فما تركت أستزيده إلا إرعاء عليه .

○ وأخرج مسلم [١٤٠/٨٥] عن عبد الله عن النبى ﷺ قال : أفضل الأعمال أو العمل الصلاة لوقتها وبر الوالدين .

○ وأخرج مسلم [٢٧٤/ ١٠٥] عن المغيرة بن شعبة أنه غزا مع رسول الله ﷺ تبوك فتبرز رسول الله ﷺ قبل الغائط فحملت معه إداوة قبل صلاة الفجر فلما رجع رسول الله ﷺ إلى أخذت أهريق على يديه من الإداوة وغسل يديه ثلاث مرات ثم غسل وجهه ثم ذهب يخرج جبته عن ذراعيه فضاق كما جبته فأدخل يديه فى الجبة حتى أخرج ذراعيه من أسفل الجبة وغسل ذراعيه إلى المرفقين ثم توضأ على خفية ثم أقبل فأقبلت معه حتى نجد الناس قد قدموا عبد الرحمن بن عوف فصلى لهم فأدرك رسول الله ﷺ إحدى الركعتين فصلى مع الناس الركعة الآخرة فلما سلم عبد الرحمن ابن عوف قام رسول الله ﷺ يتم صلاته فأفزع ذلك المسلمين فأكثروا التسبيح فلما قضى النبى ﷺ صلاته أقبل عليهم ثم قال أحسنتم أو قال قد أصبتم يغبطهم أن صلوا الصلاة لوقتها .

○ وأخرج مسلم [٢٣٨/٦٤٨] عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه قال : قال لى رسول الله ﷺ : كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها أو يميتون =

= الصلاة عن وقتها ؟ قلت فما تأمرنى ؟ قال صل الصلاة لوقتها فإن أدركتها معهم فصل فإنها لك نافلة .

○ وأخرج مسلم [٢٣٩/٦٤٨] عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه قال : قال لى رسول الله ﷺ يا أبا ذر إنه سيكون بعدى أمراء يميتون الصلاة فصل الصلاة لوقتها فإن صليت لوقتها كانت لك نافلة وإلا كنت قد أحرزت صلاتك . وروى أبو داود [٤٢٥] عن عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه قال : أشهد أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « خمس صلوات افترضهن الله عز وجل ، من أحسن وضوءهن وصلهن لوقتهن وأتم ركوعهن وسجودهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له ، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد ، إن شاء غفر له ، وإن شاء عذبه » وقال الألبانى فى صحيح أبى داود [٤١٠] : صحيح .

○ وروى أبو داود [٤٣٣] عن عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ إنها ستكون عليكم بعدى أمراء تشغلهم أشياء عن الصلاة لوقتها حتى يذهب وقتها فصلوا الصلاة لوقتها فقال رجل يا رسول الله أصلى معهم قال نعم إن شئت ، وقال سفيان الثورى : إن أدركتها معهم أأصلى معهم قال نعم إن شئت وقال الألبانى فى صحيح أبى داود [٤١٨] : صحيح .

○ وروى النسائى [٦١٧] عن أبى قتادة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ لما ناموا عن الصلاة حت طلعت الشمس قال رسول الله ﷺ فليصها أحدكم من الغد لوقتها . وروى النسائى [٧٧٩] عن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ لعلكم ستدركون أقوامًا يصلون الصلاة لغير وقتها فإن أدركتموهم فصلوا الصلاة لوقتها وصلوا معهم واجعلوها سبحة .

○ وروى الدارمى [١٢٦٦] عن كعب رضى الله تعالى عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن فى المسجد سبعة ، منا ثلاثة من عربنا وأربعة من موالينا أو أربعة من عربنا وثلاثة من موالينا ، قال فخرج علينا النبى ﷺ من حجرة حتى جلس إلينا فقال ما يجلسكم ههنا قلنا انتظار الصلاة قال فنكت بأصبعه فى الأرض ونكس =

= ساعة ثم رفع إلينا رأسه فقال هل تدرون ما يقول ربكم قال قلنا الله ورسوله أعلم قال إنه يقول من صلى الصلاة لوقتها فأقام حدها كان له بها على عهد أدخله الجنة ومن لم يصل الصلاة لوقتها ولم يقم حدها لم يكن له عندى عهد إن شئت أدخلته النار وإن شئت أدخلته الجنة .

○ وروى أحمد فى المسند [٤٦٦/٣] عن عاصم بن عبيد الله رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال سيكون أمراء بعدى يصلون الصلاة لوقتها ويؤخرونها فصلوها معهم فإن صلوها لوقتها وصليتموها معهم فلكم ولهم وإن أخروها عن وقتها وصليتموها فلكم وعليهم من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية ، ومن نكث العهد فمات ناكثا للعهد جاء يوم القيامة لا حجة له .

○ وروى أحمد فى المسند [٢٤٤/٤] عن كعب بن عجرة رضى الله تعالى عنه قال : بينما أنا جالس فى مسجد رسول الله ﷺ مسندى ظهورنا إلى قبلة مسجد رسول الله ﷺ سبعة رهط أربعة موالينا وثلاثة من عربنا إذ خرج إلينا رسول الله ﷺ صلاة الظهر حتى انتهى إلينا فقال ما يجلسكم ههنا قلنا يا رسول الله ننتظر الصلاة قال فأرَمَّ قليلا ثم رفع رأسه فقال أتدرون ما يقول ربكم عز وجل قال قلنا الله ورسوله أعلم قال فإن ربكم عز وجل يقول من صلى الصلاة لوقتها وحافظ عليها ولم يضيعها استخفافًا بحقها فله علىَّ عهد أن أدخله الجنة ومن لم يصل لوقتها ولم يحافظ عليها وضيعها استخفاف بحقها فلا عهد له إن شئت عذبته وإن شئت غفرت له .

○ وروى ابن حبان فى صحيحه [٥٩٦٤] عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه قال : أوصانى خليلى ﷺ بثلاث أن أسمع وأطيع ولو لعبد حبشى مجدع الأطراف وإذا صنعت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر جيرانك فأنلهم منها بمعروف وصل الصلاة لوقتها فإن أتيت الإمام وقد صلى كنت قد أحرزت صلاتك وإلا فهى لك نافلة .
قال الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم . =

○ وروى ابن حبان فى صحيحه [١٥٥٨] عن عبد الله رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال : إنها ستكون أمراء يسيئون الصلاة يختنقونها إلى شرق الموتى فمن أدرك ذلك منكم فليصل الصلاة لوقتها وليجعل صلاته معهم سبحة .
وقال الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم .

○○○

إن فرض الصلاة يُعد مكرمة لأمة محمد ﷺ ، ومن معانى الصلاة فى اللغة الدعاء : كما فى قوله سبحانه ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ [التوبة : ١٠٣] أى : وادع لهم ؛ إن دعاءك سكن لهم .

وقد نبهنا الرسول ﷺ إلى أن « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء »[1] وإذا كان السجود مظهر من مظاهر الذل والخشوع والخضوع لله ، فإنك بالسجود هذا تكون أقرب ما تكون إلى ربك كما علمنا الرسول ﷺ

وفى هذا المعنى يقول الشاعر طاهر أبو فاشا رضى الله عنه كلام جميل :

يا إلهى شـــاقنى هذا الوجـــود ... تلك دنيـــاك فما بال الخـــلود

عزّ قدرى بك فى ذلك السجود ... أنت إن ترضى كفـــانى مغنمًا

ولأهمية الصلاة نجد أنها تبقى مع الإنسان إلى آخر عهده بالحياة ، وقد أخذت الصلاة أهميتها فى التشريع على قدر أهميتها فى التكليف ، وكل تكاليف الإسلام قد جاءت بواسطة الوحى إلا الصلاة ، فقد جاءت بالتكليف المباشر من الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد ﷺ عند سدرة المنتهى ، وهذه اللفتة من الله تبارك وتعالى تعد تشريفًا لأمة محمد ﷺ حيث شرعت الصلاة من مقام القرب قرب محمد ﷺ من ربه .

لذلك جعل الله الصلاة المفروضة فى القرب وسيلة لقرب أمة الرسول ﷺ جميعاً ولذلك فهى الباقية .

يروى أن الإمام علىّ رضى الله تعالى عنه سأل بعض الصحابة :. أى آية فى كتاب الله أرجى عندكم ؟

(١) أخرجه مسلم [٤٨٢/٢١٥] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه .

فقال البعض : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء : ١١٦] .

وقال البعض : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ١١٠] .

وقال البعض : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر : ٥٣] .

وقال البعض : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ١٣٥][1] .

(١) ورد فى الحديث أن أرجى آية فى كتاب الله تعالى هى : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى : ٣٠] . وقال علىّ رضى الله تعالى عنه : هذه الآية أرجى آية فى كتاب الله عز وجل . وإذا كان يكفر عنى بالمصائب ويعفو عن كثير فما يبقى بعد كفارته وعفوه ! وقد روى هذا المعنى مرفوعًا عنه رضى الله تعالى عنه ، قال : ألا أخبركم بأفضل آية فى كتاب الله حدثنا بها النبى ﷺ : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ الآية : « يا علىّ ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء فى الدنيا فبما كسبت أيديكم . والله أكرم من أن يثنى عليكم العقوبة فى الآخرة وما عفا عنه فى الدنيا فالله أحلم من أن يعاقب به بعد عفوة » .

وقال علىّ رضى الله تعالى عنه لأهل العراق : إنكم تقولون إن أرجى آية فى كتاب الله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر : ٥٣] . قالوا : إنا نقول ذلك .

قال : ولكنا أهل البيت نقول : إن أرجى آية فى كتاب الله قوله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [الضحى : ٥] .

وفى الحديث لما نزلت هذه الآية قال النبى ﷺ : « إذًا والله لا أرضى وواحد من أمتى فى النار » .

فقال الإمام علىّ : كل ذلك صحيح ولكن ليست هى التى أقصد وصمت القوم وأحجموا .

فقال الإمام : ما بالكم يا معشر المسلمين لماذا سكتم ؟ فقالوا : لا شىء .

وهكذا جعل الإمام على رضى الله تعالى عنه القوم فى شوق لمعرفة تلك الآية فاشرأبت أعناقهم وأرهفوا السمع فقال علىّ رضى الله تعالى عنه : أرجى آية فى

= وقال ابن المبارك : أرجى آية فى كتاب الله قول الله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [النور : ٢٢] .

ذكره مسلم فى حديث الإفك [٥٦/٢٧٧٠] ، وانظر فتح البارى [٨/٤٧٨،٥٢٧] .

وقال ابن عباس : أرجى آية فى كتاب الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الرعد : ٦] إذا أصروا على الكفر .

وروى حماد بن سلمة عن علىّ بن زيد عن سعيد بن المسيب قال : لما نزلت : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ قال رسول الله ﷺ : « لولا عفو الله ورحمته وتجاوزه لما هنأ أحدًا عيش ولولا عقابه ووعيده وعذابه لاتكل كل أحد » .

قال عبد الله بن المبارك : هذه أرجىّ آية فى كتاب الله تعالى ؛ فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : والله إنى لأحب أن يغفر الله لى ؛ فرجع إلى مسطح النفقة التى كان ينفق عليه وقال : لا أنزعها منه أبدًا .

قيل : أرجى آية فى كتاب الله عز وجل قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤٧] . وقد قال تعالى فى آية أخرى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَٰتِ ٱلْجَنَّٰتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الشورى : ٢٢] ؛ فشرح الفضل الكبير فى هذه الآية ، وبشر به المؤمنين فى تلك .

ومن آيات الرجاء قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ ﴾ [الشورى : ١٩] . وقال بعضهم : أرجى آية فى كتاب الله عز وجل : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [الضحى : ٥] ؛ وذلك أن رسول الله ﷺ لا يرضى ببقاء أحد من أمته فى النار .

كتاب الله هى قول الحق سبحانه : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ [هود : ١١٤] (١) .

(١) قال علىّ ابن أبى طلحة عن ابن عباس ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ ﴾ قال يعنى الصبح والمغرب ، وكذا قال الحسن وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وقال الحسن فى رواية وقتادة والضحاك وغيرهم هى الصبح والعصر .

وقال مجاهد هى الصبح فى أول النهار والظهر والعصر مرة أخرى .

﴿ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم يعنى صلاة العشاء .

وقال الحسن فى رواية ابن المبارك عن مبارك بن فضالة عنه ﴿ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ يعنى المغرب والعشاء قال رسول الله ﷺ : « هما زلفا الليل والمغرب والعشاء » وكذا قال مجاهد ومحمد بن كعب وقتادة والضحاك إنها صلاة المغرب والعشاء .

وكذا قال مجاهد ومحمد بن كعب وقتادة والضحاك إنها صلاة المغرب والعشاء .

وقد يحتمل أن تكون هذه الآية نزلت قبل فرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء فإنه إنما كان يجب من الصلاة صلاتان . صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها ، وفى أثناء الليل قيام عليه وعلى الأمة ثم نسخ فى حق الأمة وثبت وجوبه عليه ثم نسخ عنه أيضًا فى قول والله أعلم .

وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ يقول إن فعل الخيرات يكفر الذنوب السالفة كما جاء فى الحديث الذى رواه أحمد فى المسند [٢/١] والترمذى [٤٠٦] وابن ماجه [١٣٩٥] وأهل السنن عن أمير المؤمنين علىّ ابن أبى طالب قال : كنت إذا سمعت من رسول الله حديثًا نفعنى الله بما شاء أن ينفعنى منه ، وإذا حدثنى عنه أحد استحلفته فإذا حلف لى صدقته ، وحدثنى أبو بكر وصدق أبو بكر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « ما من رجل يذنب ذنبًا فيتوضأ ويصلى ركعتين إلا غفر له » وقال الأرناؤوط إسناده : صحيح .

وأخرجه مسلم [٤/٢٢٦] عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان أنه توضأ لهم كوضوء رسول الله ﷺ ثم قال : هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ وقال : « من توضأ نحو وضوئى هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه » . =

= ○ وروى أحمد فى المسند [٧/١] عن الحارث مولى عثمان قال : جلس عثمان يومًا وجلسنا معه فجاءه المؤذن فدعا بماء فى إناء أظنه سيكون فيه مد فتوضأ . ثم قال : رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ وضوئى هذا ثم قال : « ومن توضأ وضوئى هذا ، ثم قام : فصلى صلاة الظهر غفر له ما كان بينها وبين الصبح ، ثم صلى العصر غفر له ما بينها وبين صلاة الظهر ، ثم صلى المغرب غفر له ما بينها وبين صلاة العصر ، ثم صلى العشاء غفر له ما بينها وبين صلاة المغرب ، ثم لعله أن يثبت يتمرغ ليلته ثم إنه قام فتوضأ وصلى الصبح غفر له مابينها وبين صلاة العشاء ، وهن الحسنات يذهبن السيئات » .

○ وأخرج البخارى [٥٢٨] ومسلم [٢٨٣/٦٦٧] عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيئًا ؟ » .

قالوا : لا يبقى من درنه شىء . قال : « وكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » .

○ أخرج مسلم [١٦/٢٣٣] عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول : « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر » .

○ وروى أحمد فى المسند [٤١٣/٥] عن أبى أيوب الأنصارى أن رسول الله ﷺ كان يقول : « إن كل صلاة تحط ما بين يديها من خطيئة » .

○ أخرج البخارى [٤٦٨٧] ومسلم [٣٩/٢٧٦٣] عن ابن مسعود أن رجلًا أصاب من امرأة قبلة فأتى النبى ﷺ فذكر ذلك قال : فنزلت ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ .

قال : فقال الرجل ألى هذه يارسول الله ؟ قال : لمن عمل بها من أمتى .

○ وروى أحمد فى المسند [٣٨٧/١] عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ : « إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الدين إلا لمن أحب ، فمن أعطاه الله الدين فقد =

= أحبه والذى نفسى بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه » قالوا : وما بوائقه يا نبى الله ؟ قال « غشمه وظلمه ، ولا يكسب عبد مالًا حرامًا فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق به فيقبل منه ولا يترك خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار ، إن الله لا يمحو السيىء بالسيىء ، ولكن يمحو السيىء بالحسن ، إن الخبيث لا يمحو الخبيث »[1] .

○ وروى أحمد فى المسند [٤٣٧/٥] عن أبى عثمان قال : كنت مع سلمان الفارسى تحت شجرة فأخذ منها غصنًا يابسًا فهزه حتى تحات ورقه ثم قال : يا أبا سلمان ألا تسألنى لم أفعل هذا . قلت : ولم تفعله ؟ قال : إن المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى الصلوات الخمس تحاتت خطاياه كما يتحات هذا الورق وقال : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ .

○ وروى أحمد فى المسند [٢٣٦/٥] عن معاذ أنه قال يارسول الله أوصنى قال اتق الله حيثما كنت - أو أينما كنت - قال زدنى . قال : « أتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » .

○ وروى أحمد فى المسند [١٦٩/٥] عن أبى ذر قال قلت يا رسول الله أوصنى ؛ قال : « إذا عملت سيئة فأتبعها بحسنة تمحوها » . قال : قلت يا رسول الله أمن الحسنات لا إله إلا الله ؟ قال : « هى أفضل الحسنات » .

○ وروى ابن حبان فى صحيحه [٣٤٣٨] وعن عمر بن مرة الجهنى رضى الله تعالى عنه قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ ، فقال : يا رسول الله أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله وصليت الصلوات الخمس ، وأديت الزكاة ، وصمت رمضان وقمته فممن أنا ؟ قال : « من الصديقين والشهداء » .

وقال الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين . =

(١) رواه أحمد فى المسند [٣٨٧/١] وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده ضعيف ، ووافقه الأرناؤوط .

○ وأخرج مسلم [٥/٢٢٧] : أن عثمان رضى الله تعالى عنه قال : والله لأُحَدِّثَنَّكُم حديثًا لولا آية فى كتاب الله ما حدثتكموه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يتوضأ رجل فيحسن وضوءَهُ ، ثم يصلى الصلاة إلا غَفَرَ الله له ما بينهما وبين الصلاة التى تليها » .

○ وأخرج مسلم [٧/٢٢٨] فى رواية عنه رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من امرئ مسلم تحضُرُه صلاة مكتوبة ، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب مالم تُؤتَ كبيرة ، وذلك الدهر كُله .

○ روى أحمد فى المسند [٤١٣/٥] عن أبى أيوب رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ يقول : إن كل صلاة تَحُطُّ ما بين يديها من خطيئة . رواه أحمد بإسناد حسن .

○ وأخرج مسلم [٢٦١/٦٥٧] عن جُندُب القسرى رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من صلى الصبح فهو فى ذمة الله فلا يطلُبَنكم الله من ذِمتهِ بشىء ، فإنه من يطلبه من ذمته بشىء يُدركه ثم يكبه على وجهه فى نار جهنم .

○ وأخرج البخارى [٥٥٥] ومسلم [٢١٠/٦٣٢] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون فى صلاة الفجر ، وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم ، وهو أعلم بهم : كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون : تركناهم وهم يُصلون ، وأتيناهم وهم يصلون .

○ وروى أبوداود [١٤٢٠] عن عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « خمس صلوات كتبهن الله على العباد ، فمن جاء بهن ولم يُضيع منهن شيئًا استخفافًا بحقهن كان له عند الله عهد أن يُدخله الجنة ، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه ، وإن شاء أدخله الجنة » . وقال الألبانى فى صحيح أبى داود [١٢٥٨] : صحيح . =

○ وفى رواية له [٤٢٥] : سمعت رسول الله ﷺ يقول : خمس صلوات افترضهن الله ، من أحسن وضوءهن ، وصلاهن لوقتهن ، وأتم ركوعهن وسجودهن ، وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له ، ومن لم يفعل فليس على الله عهد ، إن شاء غفر له ، وإن شاء عذبه . وقال الألبانى فى صحيح أبى داود [٤١٠] : صحيح .

○ وأخرج مسلم [٢٢٣/ ١] عن أبى مالك الأشعرى رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله ، والحمد لله تملآن ، أو تملأ ما بين السماء والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حُجة لك ، أو عليك » .

○ وأخرج مسلم [٢٢٥/٤٨٨] عن معدان بن أبى طلحة رضى الله تعالى عنه قال : لقيت ثوبان مولى رسول الله ﷺ ، فقلت : أخبرنى بعمل أعمله يُدخلنى الله به الجنة ، أو قال قلت : بأحب الأعمال إلى الله ، فسكت ، ثم سألته فسكت ، ثم سألته الثالثة ، فقال : سألت عن ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : عليك بكثرة السجود ، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة ، وحط بها عنك خطيئة » .

○ وروى ابن ماجه [١٤٢٤] عن عُبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « ما من عبد يسجد لله سجدة إلا وكتب الله له بها حسنة ومحا عنه بها سيئة ، ورفع له بها درجة فاستكثروا من السجود » . وقال الألبانى فى صحيح ابن ماجه [١١٧١] : صحيح .

○ وأخرج مسلم [٢١٥/٤٨٢] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء » .

○ وأخرج مسلم [٢٢٦/٤٨٩] عن ربيعة بن كعب الأسلمى رضى الله تعالى عنه قال : كُنت أبيت مع رسول الله ﷺ فآتيه بوضوئه وحاجته ، فقال لى : سلنى ؟ فقلت أسألك مرافقتك فى الجنة . قال : أو غير ذلك ؟ قلت : هو ذاك ، قال : فأعنى على نفسك بكثرة السجود .

الكسل عن الصلاة
من علامات النفاق

يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ ﴾ [النساء : ١٤٢] كيف يقومون إلى الصلاة كسالى ؟ إن الغايات من الأحداث هى التى تضفى على الجوارح الإقبال على الأحداث فإذا كان الحدث الذى تقبل عليه حدثاً تحبه فأنت تقبل عليه بكل اشتياق ولهفة ولذلك يقيسون لهفة اللقاء لأنها هى التى تحدد درجة المحبة .

ولنفرض مثلاً أن رجلاً وزوجته يتقابلان بعد طول غياب ما الذى يبين درجةالود بينهما ؟ إن لحظة اللقاء تبين ما بينهما من مودة فإن كانت المسافة بينهما عشر خطوات فكم خطوة خطاها الاثنان وبأية سرعة ؟ إنهما قد يسرعان باللهفة فيقطعان الخطوات العشر فى ثلاث خطوات مثلاً وهذا معناه : تقصير زمن اللقاء ، وأيضاً ما الكيفية التى يتم بها السلام ؟ هل يسلم أحدهما على الآخر ببرود ، أم بنصف ود أم بود كبير أم بود مصحوب بلهفة وعناق ؟ ثم ما المدة التى يقع خلالها الاحتضان هل هى دقيقة أم دقيقتان أم ثلاث ؟

إذن .. فالذى يبين درجة الود هو التلهف فى المدة وهذه العناصر الثلاثة أخذها الشعراء للتعبير عن المودة والحب بين البشر ، وقديماً كان المتيمون بالنساء يسترون فى السلام مودتهم .

وقيل إنك إذا أردت أن تعرف المودة بين رجل وامرأة ومدى لهفة كل منهما على الآخر ، وتحكم بذلك فانظر الكيفية التى يتم بها اللقاء ؟ فإذا ما صافح الرجل المرأة .. فهل يصافحها بتلهف ؟ وهل تبادله هى هذه اللهفة ؟ فإن وجدت الكف مفرودة للمصافحة فقط فهذا سلام عادى ، أما إذا أثنى أحدهما إصبعه البنصر على كف الآخر فعليك أن ترى أى طرف هو الذى قام بثنى إصبعه ليحتضن اليد كلها فى

يده ، فإن كان ذلك هو الرجل فاللهفة منه وإن كان من المرأة فاللهفة منها وإن كان من الاثنين فاللهفة منهما معاً .

هكذا ينظر الإنسان للأحداث ، فإن كان الحدث سارا فالإنسان يقبل عليه بلهفة وإن لم يكن الحدث سارا فالإنسان يقوم إليه متثاقلا ، وهذا ما كان المنافقون إذا قاموا إلى الصلاة : ﴿ كُسَالَىٰ ﴾ كأنهم يؤدون الصلاة ليخفون بها نفاقهم ، ويستترون بها عن أعين المسلمين .

إن قيامهم إلى الصلاة لم يكن شوقاً إلى لقاء الله مثلما كان يقول رسول الله ﷺ لبلال رضى الله تعالى عنه « يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها »[1] ولم يقل أرحنا منها يا بلال ، إن المؤمن يرتاح عندما يؤدى الصلاة ، أما المنافق فهى عملية شاقة بالنسبة له ، إنه يؤديها نفاقًا ليستتر بها عن أعين المسلمين ،لذلك يقوم إليها وهو كسلان .

قال الله تعالى عنهم : ﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء : ١٤٢] لماذا إذن يقومون إلى الصلاة ما داموا غير مؤمنين بها ؟ إنهم يُقيمُونَ الصلاة ظاهرياً أمام الناس ليخدعوا الناس ، وحتى يراهم المسلمون وهم يصلون وهم فى هذه الصلاة التى يراءون بها الناس لا يفعلون كل المطلوب منهم لتمام الصلاة .. إنهم يفعلون المطلوب جهراً ، ولا يقومون بما افترضه الله عليهم ، والمطلوب لتمام الصلاة منه ما يفعل سرًا ومنه ماهو جهرًا ، مثال ذلك أنهم يقرأون الفاتحة وبعض آيات من القرآن ، ولكنهم أثناء الركوع قد لا يسبحون باسم الله العظيم ، وكذلك فى السجود أى أنهم يؤدون الجانب الجهرى من الصلاة ولا يؤدون الجانب الآخر منها .

إن فى داخل المنافق تيارين متعارضين تيار يظهر به أنه مع المؤمنين وتيار آخر مع الكافرين ؛ إن التيار الذى مع المؤمنين ، يجبر المنافق على أن يقوم إلى الصلاة ،

(١) رواه أبو داود [٤٩٨٥] وأحمد فى المسند [٣٦٤/٥] .

والتيار الذى مع الكافرين يجعله كسولاً عن ذلك ، والتيار الذى مع المؤمنين يجعله يذكر اللّه قليلاً ، والتيار الذى مع الكافرين يجعله لا يذكر اللّه ومن هنا فقد جاء فى وصف رسول اللّه ﷺ لصلاة الفجر أنها ثقيلة على المنافقين [1] .

○○○

(١) أخرج البخارى [٦٥٧] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه « ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا ... » الحديث .

.....

قال ابن القيم كان رسول اللّه ﷺ إذا قام إلى الصلاة واستقبل القبلة ووقف فى مُصلاه رفع يديه إلى فروع أذنيه [1] واستقبل بأصابعه القبلة ونشرها [2] وقال : « اللّه أكبر » .

ولم يكن يقول قبل ذلك : نويت أن أصلى كذا وكذا مستقبل القبلة أربع ركعات فريضة الوقت أداءً للّه تعالى إمامًا ، ولا كلمة واحدة من ذلك فى مجموع صلاته من أولها إلى آخرها .

فقد نقل عنه أصحابه حركاته وسكناته وهيآته حتى اضطراب لحيته فى الصلاة ، حتى إنه حمل بنت ابنته مرة فى الصلاة فنقلوه ولم يهملوه [3] ، فكيف يتفق ملؤهم من أولهم إلى آخرهم على ترك نقل هذا المهم الذى هو شعار الدخول فى الصلاة ؟ ولعمر اللّه لو ثبت عنه من هذا كلمة واحدة لكُنا أول من اقتدى به فيها ، وبادر إليها .

ثم كان يمسك شماله بيمينه فيضعها عليها فوق المفصل [4] ثم يضعها على صدره [5] ثم يقول : « سبحانك ، اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم نقنى من خطاياى كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، اللهم اغسلنى من خطاياى بالماء والثلج والبرد » [6] . =

(١) أخرجه مسلم [٣٩١/٢٥و٢٦] ، وأبو داود [٧٤٥] ، وابن ماجه [٨٥٩] ، وأحمد فى المسند [٤٣٦/٣،٤٣٧] عن مالك بن الحويرث رضى اللّه تعالى عنه .

(٢) رواه الترمذى [٢٣٩] عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه . وضعفه الألبانى فى ضعيف الترمذى [٣٧] .

(٣) أخرجه البخارى [٥١٦،٥٩٩٦] ، ومسلم [٥٤٣/٤١] عن أبى قتادة رضى اللّه تعالى عنه .

(٤) أخرجه مسلم [٤٠١/٥٤] ، وأحمد فى المسند [٣١٧/٤،٣١٨] عن وائل بن حجر رضى اللّه تعالى عنه .

(٥) رواه أبو داود [٧٥٩] عن طاووس وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود [٦٨٧] .

(٦) أخرجه البخارى [٧٤٤] ، ومسلم [٥٩٨/١٤٧] ، وأبو داود [٧٨١] من حديث أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه .

= وكان يقول أحيانًا : « وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفًا مسلمًا وما أنا من المشركين ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝ ﴾ [الأنعام : ١٦٢] ، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت وأنا عبدك ، ظلمت نفسى ، واعترفت بذنبى ، فاغفر لى ذنوبى جميعًا لا يغفر الذنوب إلا أنت ، واهدنى لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت ، واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها إلا أنت ، لبيك وسعديك ، والخير كله فى يديك ، والشر ليس إليك أنا بك وإليك ، تباركت وتعاليت ، استغفرك وأتوب إليك » .

ولكن هذا إنما حُفظ عنه فى صلاة الليل[1] .

وربما كان يقول : « الله أكبر كبيرا الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا »[2] .

وربما كان يقول : « الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا أنت ، لا إله إلا أنت ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله وبحمده . ثم يقول : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » ، وربما قال : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه » ، وربما قال : « اللهم إنى أعوذ بك من الشيطان الرجيم وهمزه ونفخه ونفثه »[3] .

ثم يقرأ فاتحة الكتاب[4]، فإن كانت الصلاة جهرية أسمعهم القراءة ولم يسمعهم :=

(١) أخرجه مسلم [٢٠١/٧٧١]، وأبو داود [٧٦١] عن علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه .

(٢) رواه أبو داود [٧٦٤] ، وابن ماجه [٨٠٧] ، وأحمد فى المسند [٨٠/٤، ٨٥] عن المطعم رضى الله تعالى عنه ، وضعفه الألبانى فى ضعيف ابن ماجه [١٧٣] .

(٣) رواه أبو داود [٧٧٥] ، والترمذى [٢٤٢] ، وابن ماجه [٨٠٤] ، وأحمد فى المسند [٥٠/٣] ، وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود [٧٠١] عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه .

(٤) أخرجه البخارى [٧٥٦]، ومسلم [٣٤/٣٩٤] ، وأبو داود [٨٢٢] عن عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه . =

= ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾[1] فربه أعلم هل كان يقرأها أم لا [2].

وكان يقطع قراءته آية آية ثم يقف ، على ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ثم يبتدئ ﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ ويقف ثم يبتدئ ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ على رسل وتمهل وترتيل يمد ﴿ الرَّحْمَٰنِ ﴾ ويمد ﴿ الرَّحِيمِ ﴾ ، وكان يقرأ ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ بالألف[3].

وإذا ختم السورة قال : « آمين » يجهر بها ويمد بها صوته ، ويجهر بها من خلفه [4] حتى يرج المسجد .

واختلفت الرواية عنه هل كان يسكت بين الفاتحة وقراءة السورة ، أم كانت سكتة بعد القراءة كلها ؟ فقال يونس عن الحسن عن سمرة : حفظت سكتتين ، سكتة إذا كبر الإمام حتى يقرأ وسكتة إذا فرغ من فاتحة الكتاب ، وسكتة عند الركوع ، وصدقه أُبى بن كعب على ذلك[5]. =

(١) أخرجه البخارى [٧٤٣] عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه : أن النبى ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يفتتحون الصلاة بـ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، وبنحوه الترمذى [٢٤٦] ، ومسلم [٥٠/٣٩٩] .

(٢) قال ابن القيم فى زاد المعاد [٢٠٧/١] : « وكان ﷺ يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم تارة ويخفيها أكثر مما يجهر بها ، ولا ريب أنه لم يكن يجهر بها دائمًا فى كل يوم وليلة خمس مرات أبدًا حضرًا وسفرًا ، ويخفى ذلك على خلفائه الراشدين وعلى جمهور أصحابه وأهل بلده فى الأعصار الفاضلة ، هذا من أمحل المحال حتى يحتاج إلى التشبث به بألفاظ مجملة وأحاديث واهية ، فصحيحُ تلك الأحاديث غير صريح ، وصريحها غير صحيح ، وهذا موضع يستدعى مجلدًا ضخمًا » .

(٣) رواه أحمد فى المسند [٣٠٢/٦] ، وأبو داود [٤٠٠١] ، والترمذى [٣١٠٧] عن أم سلمة رضى الله تعالى عنها . وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى [٢٣٣٦] .

(٤) رواه أبو داود [٩٣٢] ، والترمذى [٢٤٨] عن وائل ابن حجر ، وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود [٨٢٤] .

(٥) رواه أبو داود [٧٧٧] ، وابن ماجه [٨٤٥] ، وأحمد فى المسند [١١/٥] عن سمرة رضى الله تعالى عنه وضعفه الألبانى فى ضعيف ابن ماجه [١٨١] .

= ووافق يونس أشعث الحمرانى عن الحسن فقال : سكتة إذا استفتح وسكتة إذا فرغ من القراءة كلها [1].

وخالفهما قتادة فقال : عن الحسن إن سمرة بن جندب وعمران بن الحصين تذاكرا فحدث سمرة أنه حفظ عن رسول الله ﷺ سكتتين : سكتة إذا كبر ، وسكتة إذا فرغ من قراءة ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ فقط . فحفظ ذلك سمرة وأنكر عليه عمران بن حصين ، فكتبا فى ذلك إلى أُبى بن كعب فكان فى كتابه أن سمرة قد حفظ .

وقال قتادة أيضًا : عن الحسن عن سمرة سكتتان حفظهما عن رسول الله ﷺ إذا دخل فى الصلاة وإذا فرغ من القراءة ، ثم قال بعد : وإذا قال : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾[2].

فقد اتفقت الأحاديث أنهما سكتتان فقط إحداهما سكتة الافتتاح ، والثانية مختلف فيها . فالذى قال : إنها بعد قراءة الفاتحة هو قتادة ، وقد اختلف عليه سمرة ، فمرة قال ذلك ، ومرة قال : بعد الفراغ من القراءة ، ولم يختلف على يونس وأشعث أنها بعد فراغه من القراءة كلها ، وهذا أرجح الروايتين . والله أعلم[3].

وبالجملة فلم ينقل عنه ﷺ بإسناد صحيح ولا ضعيف أنه كان يسكت بعد قراءة الفاتحة حتى يقرأها من خلفه وليس فى سكوته فى هذا المحل إلا هذا الحديث المختلف فيه كما رأيت ، ولو كان يسكت هنا سكتة طويلة يدرك فيها قراءة =

(١) رواه أبو داود [٧٧٨] عن سمرة رضى الله تعالى عنه ، وضعفه الألبانى فى ضعيف أبى داود [١٦٤] .

(٢) رواه أبو داود [٧٧٩، ٧٨٠] ، والترمذى [٢٥١] ، وابن ماجه [٨٤٤] ، وأحمد [٥/٧] عن سمرة بن جندب رضى الله تعالى عنه وضعفه الألبانى فى ضعيف أبى داود [١٦٥، ١٦٦] .

(٣) رواه الدارمى [١/٢٨٣] ، وأحمد فى المسند [٥/١٥، ٢٠، ٢١] عن سمرة بن جندب .

= الفاتحة لما اختفى ذلك على الصحابة ، ولكان معرفتهم به ونقلهم أهم من سكتة الافتتاح .

ثم يقرأ بعد ذلك سورة طويلة تارة ، وقصيرة تارة ، ومتوسطة تارة كما تقدم ذكر الأحاديث به .

ولم يكن يبتدئ من وسط السورة ولا من آخرها ، وإنما كان يقرأ من أولها ، فتارة يكملها وهو أغلب أحواله و وتارة يقتصر على بعضها ويكملها فى الركعة الثانية .

ولم ينقل أحد عنه أنه قرأ بآية من سورة أو بآخرها إلا فى سنة الفجر فإنه كان يقرأ فيها بهاتين الآيتين : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ﴾ [البقرة : ١٣٦] ، ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾[1] [آل عمران : ٦٤] .

وكان يقرأ بالسورة فى الركعة ، وتارة يعيدها فى الركعة الثانية ، وتارة يقرأ سورتين فى الركعة .

أما الأول : فكقول عائشة أنه قرأ فى المغرب بالأعراف فرقها فى الركعتين[2] .

وأما الثانى : فقراءته فى الصبح ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ فى الركعتين كلتيهما ، والحديثان فى السنن[3] .

وأما الثالث : فكقول ابن مسعود ، ولقد عرفت النظائر التى كان رسول الله ﷺ يقرن بينها ، فذكر عشرين سورة من المفصل سورتين فى ركعة وهذا فى الصحيحين[4] .

وكان يمد قراءة الفجر ويطيلها أكثر من سائر الصلوات ، وأقصر ما حفظ عنه أنه كان يقرأ بها فيها فى الحضر ﴿ قَ ﴾ ونحوها . =

(١) سبق تخريجه .

(٢) رواه النسائى [٢/١٧٠] عن عائشة رضى الله تعالى عنها .

(٣) رواه أبو داود [٨١٦] عن رجل من جهينة ، وحسنه الألبانى فى صحيح أبى داود [٧٣٠] .

(٤) أخرجه البخارى [٥٠٤٣] ، ومسلم [٢٧٥/٨٢٢] عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه .

= وكان يجهر بالقراءة فى الفجر والأوليين من المغرب والعشاء ويسر فيما سوى ذلك ، وربما كان يسمعهم الآية فى قراءة السر أحيانًا .

وكان يقرأ فى فجر يوم الجمعة سورة السجدة ﴿ الٓمٓ تَنزِيلُ ﴾ ، و ﴿ هَلۡ أَتَىٰ ﴾ ، كاملتين ، ولم يقتصر على إحداهما ولا على بعض هذه فقط ، وكان يقرأ فى صلاة الجمعة بسورة ﴿ ٱلۡجُمُعَةِ ﴾ و ﴿ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴾ كاملتين ولم يقتصر على أواخرهما ، وربما كان يقرأ بسورة ﴿ ٱلۡأَعۡلَى ﴾ و ﴿ ٱلۡغَٰشِيَةِ ﴾ .

وكان يقرأ فى العيدين بسورة ﴿ قٓ ﴾ و ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ ﴾ كاملتين ولم يقتصر على أواخرهما .

وكان يقرأ فى صلاة السر سورة فيها « السجدة » أحيانًا فيسجد للسجدة ويسجد معه من خلفه .

وكان يقرأ فى الظهر قدر ﴿ الٓمٓ تَنزِيلُ ﴾ السجدة ونحو ثلاثين آية ، ومرة كان يقرأ فيها بـ ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴾ ، و ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴾ ، و ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ﴾ ، و ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴾ ونحوها من السور ، ومرة بـ ﴿ لُقۡمَٰنَ ﴾ ، ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ﴾ .

وكان يقوم فى الركعة الأولى منها حتى لا يسمع وقع قدم ، وكذلك كان يطيل الركعة الأولى من كل صلاة على الثانية .

وكانت قراءته فى العصر فى الركعتين الأوليين فى كل ركعة قدر خمس عشر آية .

وكان يقرأ فى المغرب بـ الأعراف تارة ، و ﴿ وَٱلطُّورِ ﴾ تارة ، و ﴿ وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ ﴾ تارة ، وبالدخان تارة ، وروى عنه أنه قرأ فيها بـ ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ ، و ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تفرد به ابن ماجه ، ولعل أحد رواته وهم من قراءته بهما فى سنة المغرب فكان يقرأ بهما فى سنة المغرب فقال : كان يقرأ بهما فى المغرب أو سقطت « سنة » من النسخة . والله أعلم .

وكان يقرأ فى العشاء الآخرة بـ ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ﴾ وسورة ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴾ ويسجد فيها جميع من خلفه ، و ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴾ ونحو ذلك من السور .

وكان إذا فرغ من القراءة سكت هنيهة ليرجع إليه نفسه . =

= ثم كان يرفع يديه إلى أن يحاذى بهما فروع أذنيه كما رفعهما فى الاستفتاح صح عنه ذلك كما صح التكبير للركوع ، بل الذين رووا عنه رفع اليدين ههنا أكثر من الذين رووا عنه التكبير ، ثم يقول : « الله أكبر » ويخر راكعًا ويضع يديه على ركبتيه فيمكنهما من ركبتيه ، وفرج بين أصابعه وجافى مرفقيه عن جنبيه ، ثم اعتدل وجعل رأسه حيال ظهره فلم يرفع رأسه ولم يصوبه ، وهصر ظهره أى مده ولم يجمعه [1] ، ثم قال : « سبحان ربى العظيم »[2] .

وروى عنه أنه كان يقول : « سبحان ربى العظيم وبحمده » . قال أبو داود وأخاف أن لا تكون هذه الزيادة محفوظة [3] .

وربما مكث قدر ما يقول القائل عشر مرات ، وربما مكث فوق ذلك ودونه [4] .

وربما قال : « سبحانك اللهم وبحمدك ، اللهم اغفر لى »[5] .

وربما قال : « سبوح قدوس رب الملائكة والروح »[6] ، وربما قال : « اللهم لك =

(١) جزء من حديث أخرجه البخارى [٨٢٨] ، وأبو داود [٧٣٠،٧٣٣،٩٦٦] ، والترمذى [٣٠٤،٣٠٥] ، وابن ماجه [١٠٦١] عن أبى حميد الساعدى رضى الله تعالى عنه .

(٢) رواه أبو داود [٨٦٩] ، وابن ماجه [٨٨٧] ، وأحمد فى المسند [١٥٥/٤] عن عقبة ابن عامر ، وضعفه الألبانى فى ضعيف أبى داود [١٨٤] .

(٣) رواه أبو داود [٨٧٠] عن عقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه ، وضعفه الألبانى فى ضعيف أبو داود ، وصحح الألبانى هذه الزيادة فى صفة الصلاة [٧٧:٥٩] .

(٤) روى أبو داود [٨٨٨] ، وأحمد فى المسند [١٦٢/٣،١٦٣] عن وهب بن مأنوس قال : سمعت سعيد بن جبير يقول : « ما صليت وراء أحد بعد رسول الله ﷺ أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الفتى ». يعنى عمر بن عبد العزيز ، فحرزنا فى ركوعه عشر تسبيحات وفى سجوده عشر تسبيحات . وضعفه الألبانى فى ضعيف أبى داود [١٨٩] .

(٥) أخرجه البخارى [٧٩٤] ، ومسلم [١٧/٤٨٤] عن عائشة رضى الله تعالى عنه .

(٦) أخرجه مسلم [٢٢٣/٤٨٧] ، وأبو داود [٨٧٢] عن عائشة رضى الله تعالى عنه .

= ركعت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، وعليك توكلت ، أنت ربى ، خشع قلبى وسمعى ، وبصرى ودمى ، ولحمى وعظمى وعصبى لله رب العالمين »[1] .

وربما كان يقول : « سبحان ذى الجبروت والملكوت ، والكبرياء والعظمة »[2] .

وكان ركوعه مناسبًا لقيامه فى التطويل والتخفيف ، وهذا بين فى سائر الأحاديث[3] .

ثم كان يرفع رأسه قائلًا : « سمع الله لمن حمده »[4] ويرفع يديه كما يرفعهما عند الركوع ، فإذا أعدل قائمًا قال : « ربنا لك الحمد »[5] ، وربما قال : « اللهم ربنا ولك الحمد ملء السموات وملء الأرض ، وملء ما شئت من شىء بعد ، أهل الثناء والمجد ، أحق ما قال العبد ، وكلنا لك عبد ، اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد »[6] وربما زاد على ذلك : « اللهم =

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم [٢٠٢/٧٧١] ، وأبو داود [٧٦٠] عن علىّ رضى الله عنه .

(٢) رواه أبو داود [٨٧٣] عن عوف بن مالك الأشجعى وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود [٧٧٦] .

(٣) أخرجه البخارى [٧٩٢] ، ومسلم [٤٧١] ، وأبو داود [٨٥٢،٨٥٤] ، والترمذى [٢٧٩،٢٨٠] وغيرهم . عن البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه .

قال ابن القيم : ولا يناقض هذا ما رواه البخارى فى هذا الحديث : « كان ركوع النبى ﷺ وسجوده وما بين السجدتين وإذا رفع رأسه ما خلا القيام والقعود قريبًا من السواء » ، فإن البراء هو القائل هذا وهذا ، فإنه فى السياق الأول أدخل فى ذلك قيام القراءة وجلوس التشهد ، وليس مراده أنهما بقدر ركوعه وسجوده ، وإلا ناقض السياق الأول والثانى ، وإنما المراد أن طولهما كان مناسبًا لطول الركوع والسجود والاعتدالين بحيث لا يظهر التفاوت الشديد فى طول هذا ، وقصر هذا .

(٤) أخرج مسلم [٥/٣٩١] عن مالك بن الحويرث رضى الله تعالى عنه .

(٥) أخرج البخارى [٣٢٢٨] ومسلم [٧١/٤٠٩] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه .

(٦) أخرج مسلم [٢٠٥/٤٧٧] عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه .

= طهرنى بالثلج والبرد والماء البارد ، اللهم طهرنى من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الوسخ »[1] وكان يطيل هذا الركن حتى يقول القائل قد نسى ، وكان يقول فى صلاة الليل فيه : « لربى الحمد ، لربى الحمد »[2] .

ثم يكبر ويخر ساجدا ولا يرفع يديه [3] وكان يضع ركبتيه قبل يديه ، هكذا قال عنه وائل بن حجر[4] وأنس بن مالك[5] .

قال عنه ابن عمر إنه كان يضع يديه قبل ركبتيه [6] .

واختلف على أبى هريرة ففى السنن عن النبى ﷺ : « إذا سجد أحدكم فلا يبرك كما يبرك البعير وليضع يديه قبل ركبتيه » [7] .

وروى عنه المقبرى عن النبى ﷺ : « إذا سجد أحدكم فليبدأ بركبتيه قبل يديه » [8] فأبو هريرة قد تعارضت الرواية عنه ، وحديث وائل وابن عمر قد تعارضا ، فرجحت طائفة حديث ابن عمر ، ورجحت طائفة حديث وائل بن حجر ، =

(١) أخرج مسلم [٢٠٤/٤٧٦] عن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله تعالى عنه .

(٢) رواه أبو داود [٨٧٤] ، والنسائى [١٩٩/٢-٢٠٠] ، وأحمد فى المسند [٣٩٨/٥] عن حذيفة رضى الله تعالى عنه .

(٣) أخرجه البخارى [٧٣٨] ، وأبو داود [٧٢٣] ، وأحمد فى المسند [٣١٧/٤] عن وائل ابن حجر رضى الله تعالى عنه .

(٤) رواه أبو داود [٨٣٨] ، والترمذى [٢٦٨] ، وابن ماجه [٨٨٢] عن وائل بن حجر ، وضعفه الألبانى فى ضعيف أبى داود [١٨١] .

(٥) رواه الدارقطنى [٣٤٥/١] ، والحاكم [٢٢٦/١] .

(٦) رواه الطحاوى فى شرح معانى الآثار [٢٥٤/١] عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما .

(٧) رواه أبو داود [٨٤٠] ، والنسائى [٢٠٧/٢] ، وأحمد فى المسند [٣٨١/٢] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود [٧٤٦] .

(٨) رواه البيهقى فى السنن [١٠٠/٢] وفيه : المقبرى وهو متروك الحديث ، انظر الجرح والتعديل [٧١/٥] .

= وسلكت طائفة مسلك النسخ وقالت : كان الأمر الأول وضع اليدين قبل الركبتين ثم نسخ بوضع الركبتين أولًا ، وهذه طريقة ابن خزيمة فى ذكر الدلائل على أن الأمر بوضع اليدين عند السجود منسوخ فإن وضع الركبتين قبل اليدين ناسخ ، ثم روى عن مصعب بن سعد قال :كنا نضع اليدين قبل لركبتين فأمرنا بوضع الركبتين قبل اليدين [1]، وهذا لو ثبت لكان فيه الشفاء لكن يحيى بن سلمة ابن كهيل قال البخارى : عنده مناكير ، وقال ابن معين : ليس بشيء لا يكتب حديثه ، وقال النسائى : متروك الحديث . وهذه القصة وهم فيها يحيى أو غيره وإنما المعروف عن مصعب بن سعد عن أبيه نسخ التطبيق فى الركوع بوضع اليدين على الركبتين فلم يحفظ هذا الراوى وقال : المنسوخ وضع اليدين قبل الركبتين .

قال السابقون باليدين : قد صح حديث ابن عمر فإنه من رواية عبيد الله عن نافع عنه ، قال ابن أبى داود : وهو قول أهل الحديث .

قالوا : وهو أعلم بهذا من غيرهم فإنه نقل محض .

قالوا : وهذه سنة رواها أهل المدينة وهم أعلم بها من غيرهم ، قال ابن أبى داود ولهم فيها إسنادان :

أحدهما : محمدبن عبد الله بن حسن عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة .

والثانى : الدراوردى عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر .

قالوا وحديث وائل بن حجر له طريقان وهما معلولان فى أحدهما شريك تفرد به ، قال الدار قطنى : وليس بالقوى فيما يتفرد به .

والطريق الثانى : من رواية عبد الجبار بن وائل عن أبيه ولم يسمع من أبيه [2] . =

(١) رواه ابن خزيمة [٦٢٨] ، والبيهقى فى السنن [٢/١٠٠] من طريق إبراهيم بن إسماعيل عن أبيه عن جده ، وإبراهيم ضعيف ، وأبوه متروك ، وجده متروك ، انظر تهذيب التهذيب [١١/٢١٥] .

(٢) رواه أبو داود [٨٣٩] عن عبد الجبار بن وائل عن أبيه رضى الله تعالى عنهما وضعفه الألبانى فى ضعيف أبى داود [١٨٢] .

= قال السابقون بالركبتين : حديث وائل بن حجر أثبت من حديث أبى هريرة وابن عمر ، قال البخارى : حديث أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة لا يتابع عليه فيه محمد بن عبد الله بن الحسن قال : ولا أدرى سمع من أبى الزناد أم لا .

وقال الخطابى حديث وائل بن حجر أثبت منه ، قال وزعم بعض العلماء أنه منسوخ ولهذا لم يحسنه الترمذى وحكم بغرابته وحسن حديث وائل .

قالوا : وقد قال فى حديث أبى هريرة : « لا يبرك كما يبرك البعير » ، والبعير إذا برك يبدأ بيديه قبل ركبتيه ، وهذا النهى لا يمانع قوله : « وليضع يديه قبل ركبتيه » بل ينافيه ويدل على أن هذه الزيادة غير محفوظة ، ولعل لفظها انقلب على بعض الرواة . قالوا : ويدل على ترجيح هذا أمران آخران .

أحدهما : ما رواه أبو داود من حديث ابن عمر : « أن رسول الله ﷺ نهى أن يعتمد الرجل على يديه فى الصلاة »[1] . وفى لفظ : « نهى أن يعتمد الرجل على يديه إذا نهض فى الصلاة »[2] ولا ريب أنه إذا وضع يديه قبل ركبتيه اعتمد عليهما . فيكون قد أوقع جزءاً من الصلاة معتمدًا على يديه بالأرض ، وأيضًا فهذا الاعتماد بالسجود نظير الاعتماد فى الرفع منه سواء ، فإذا نهى عن ذلك كان نظيره كذلك .

الثانى : أن المصلى فى انحطاطه ينحط منه إلى الأرض الأقرب إليها أولًا ، ثم الذى من فوقه ثم الذى من فوقه حتى ينتهى إلى أعلى ما فيه وهو وجهه فإذا رفع رأسه من السجود ارتفع أعلى ما فيه أولًا ثم الذى دونه حتى يكون آخر ما يرتفع منه ركبتاه . والله أعلم . =

(١) رواه أبو داود [٩٩٢] ، وأحمد فى المسند [٢/١٤٧] ، وانظر الذى بعده .

(٢) رواه أبو داود [٩٩٢] عن ابن عمر رضى الله تعالى عنه ، وقال الألبانى فى صحيح أبى داود [٨٧٥] صحيح إلا لفظ ابن عبد الملك فإنه منكر .

= ثم كان يسجد على جبهته وأنفه ويديه وركبتيه وأطراف قدميه [1] ويستقبل بأصابع يديه ورجليه القبلة ، وكان يعتمد على إليتى كفيه ويرفع مرفقيه ويجافى عضديه عن جنبيه حتى يبدو بياض إبطيه ، ويرفع بطنه عن فخذيه وفخذيه عن ساقيه ، ويعتدل فى سجوده [2] ، ويمكن وجهه من الأرض مباشراً به للمصلى غير ساجد على كور العمامة [3] .

قال أبو حميد الساعدى وعشرة من الصحابة يسمعون كلامه : « كان رسول اللّه ﷺ إذا قام إلى الصلاة اعتدل قائمًا ورفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه ، فإذا أراد أن يركع رفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه ثم قال : « اللّه أكبر » فركع ثم اعتدل فلم يصوب رأسه ولم يقنع ووضع يديه على ركبتيه وقال : « سمع اللّه لمن حمده » ورفع يديه واعتدل حتى رجع كل عظم فى موضعه معتدلًا ، ثم هوى ساجدا وقال : « اللّه أكبر » ثم جافى عضديه عن إبطه وفتح أصابع رجليه ثم ثنى رجله اليسرى وقعد عليها واعتدل حتى يرجع كل عظم موضعه معتدلًا ، ثم هوى ساجدًا وقال : « اللّه أكبر ، » ثم ثنى رجله وقعد واعتدل حتى يرجع كل عظم فى موضعه ، ثم نهض فصنع فى الركعة الثانية مثل ذلك ، حتى إذا قام من السجدتين كبر ورفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه كما صنع حين افتتح الصلاة ، ثم صنع كذلك حتى إذا كانت الركعة التى تنقضى فيها الصلاة أخر رجله اليسرى وقعد على شقه متوركًا ثم سلم[4] . =

(١) جزء من حديث أبى حميد الساعدى سبق تخريجه .

(٢) أخرجه مسلم [٢٣٤/٤٩٤] ، وأحمد فى المسند [٤/٢٨٣، ٢٩٤] عن البراء بن عازب

(٣) ذكر أبو داود فى المراسيل أن رسول اللّه ﷺ رأى رجلًا يصلى فى المسجد فسجد بجنبيه وقد اعتم على جبهته فحسر رسول اللّه ﷺ عن جبهته .
وحديث أبى هريرة : أن رسول اللّه ﷺ كان يسجد على كور عمامته . قال ابن القيم فى زاد الميعاد [١/٢٣٢] هو من رواية عبد اللّه بن محرر وهو متروك .

(٤) سبق تخريجه .

= وكان يقول فى سجوده : « سبحان ربى الأعلى »[1].
وروى أنه كان يزيد عليها « وبحمده » وربما قال : « اللهم إنى لك سجدت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، سجد وجهى للذى خلقه وصوره ، وشق سمعه وبصره ، تبارك اللّه احسن الخالقين » وكان يقول أيضًا : « سبحانك اللهم وبحمدك ، اللهم اغفر لى » وكان يقول : « سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت » .
وكان يقول : « سبوح قدوس رب الملائكة والروح » وكان يقول : « اللهم اغفر لى ذنبى كله دقه وجله وأوله وآخره ، وعلانيته وسره » وكان يقول : « اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » ، وكان يجعل سجوده مناسبًا لقيامه .
ثم يرفع رأسه قائلا : « اللّه أكبر » غير رافع يديه [2] ، ثم يفرش رجله اليسرى ويجلس عليها وينصب اليمنى ويضع يديه على فخذيه [3] ، ثم يقول : « اللهم اغفر لى وارحمنى واجبرنى واهدنى وارزقنى » وفى لفظ : « وعافنى » بدل « واجبرنى » هذا حديث ابن عباس[4] . وقال حذيفة : كان يقول بين السجدتين : « رب اغفر لى »[5] والحديثان فى السنن .
وكان يطيل هذه الجلسة حتى يقول القائل قد أوهم أو قد نسى[6] . =

(١) أخرجه مسلم [٢٠٣/٧٧٢] ، والترمذى [٢٦٢] عن حذيفة رضى اللّه تعالى عنه .

(٢) أخرجه البخارى [٧٣٨] . عن عبد اللّه بن عمر رضى اللّه تعالى عنهما .

(٣) رواه النسائى [٣/٣٦] ، وأبو داود [٩٥٧] ، وابن حبان [٤٨٥] وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود [٨٤٤] عن وائل بن حجر رضى اللّه تعالى عنه .

(٤) رواه أبو داود [٨٥٠] ، والترمذى [٢٨٤] عن ابن عباس رضى اللّه تعالى عنهما ، وحسنه الألبانى فى صحيح أبى داود [٧٥٦] .

(٥) رواه أبو داود [٨٧٤] ، وابن ماجه [٨٩٧] عن حذيفة رضى اللّه تعالى عنه . وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود [٧١٤] .

(٦) أخرجه مسلم [١٩٦/٤٧٣] ، وأبو داود [٨٥٣] عن أنس رضى اللّه تعالى عنه .

= ثم يكبر ويسجد غير رافع يديه ، ويصنع فى الثانية مثل ما صنع فى الأولى ، ثم يرفع رأسه مكبراً وينهض على صدور قدميه معتمدًا على ركبته وفخذيه [1] .

وقال مالك بن الحويرث كان رسول الله ﷺ إذا كان فى وتر من صلاته لم ينهض حتى يستوى قاعدًا ، فهذه تسمى جلسة الاستراحة ، ولا ريب أنه ﷺ فعلها ولكن هل فعلها على أنها من سنن الصلاة وهيآتها كالتجافى وغيره ، أو لحاجته إليها لما أسن وأخذه اللحم ؟ وهذا الثانى أظهر لوجهين :

أحدهما : أن فيه جمعًا بينه وبين حديث وائل بن حجر وأبى هريرة أنه كان ينهض على صدور قدميه .

والثانى : أن الصحابة الذين كانوا أحرص الناس على مشاهدة أفعاله وهيآت صلاته كانوا ينهضون على صدور أقدامهم ، فكان عبد الله بن مسعود يقوم على صدور قدميه فى الصلاة ولا يجلس . رواه البيهقى عنه ، ورواه عن ابن عمر وابن عباس وابن الزبير وأبى سعيد الخدرى من رواية عطية العوفى عنهم وهو صحيح عن ابن مسعود ولم يكن يرفع يديه فى هذا القيام .

وكان إذا استتم قائمًا أخذ فى القراءة ولم يسكت وافتتح قراءته بالحمد لله رب العالمين .

فإذا جلس فى التشهد الأول جلس مفترشًا كما جلس بين السجدتين ويضع يده اليسرى على ركبته اليسرى واليمنى على فخذه اليمنى وأشار بأصبعه السبابه ووضع إبهامه على أصبعه الوسطى كهيئة الحلقة وجعل بصره إلى موضع إشارته [2] وكان يرفع أصبعه السبابة ويحنيها قليلًا يوحد بها ربه عز وجل . =

(١) لم أجد دليله ، وهو مخالف لما أخرجه البخارى [٨٢٣] ، وأبو داود [٨٤٤] ، والترمذى [٢٨٧] عن مالك بن الحويرث رضى الله تعالى عنه أنه رأى النبى ﷺ : يصلى ، فإذا كان فى وترٍ من صلاته لم ينهض حتى يستوى قاعدًا .

(٢) رواه أبو داود [٩٩٠] ، وابن حبان فى صحيحه [١٩٤٤] وحسنه الألبانى فى صحيح أبى داود [٨٧٤] عن عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنه .

= وذكر أبو داود من حديث ابن عباس عنه ﷺ أنه قال : هكذا الإخلاص ، « يشير بأصبعه التى تلى الإبهام » ، « وهكذا الدعاء » فرفع يديه مدًا حذو منكبيه ، « وهكذا الابتهال » فرفع يديه مدا . وقد روى موقوفًا .

ثم كان يقول : « التحيات لله والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله » وكان يعلمه أصحابه كما يعلمهم القرآن [1] .

وكان أيضًا يقول : « التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله » هذا تشهد ابن عباس [2] .

والأول تشهد ابن مسعود وهو أكمل ، لأن تشهد ابن مسعود يتضمن جملًا متغايرة وتشهد ابن عباس جملة واحدة ، وأيضًا فإنه فى الصحيحين وفيه زيادة الواو ، وكان يعلمهم إياه كما يعلمهم القرآن .

وروى ابن عمر عنه : « التحيات لله الصلوات الطيبات » وفيه أنواع أخرى كلها جائزة .

وكان يخفف هذه الجلسة حتى كأنه جالس على الردف وهى الحجارة المحماة . ثم يكبر وينهض ويصلى الثالثة والرابعة ويخففهما عن الأوليين ، وكان يقرأ فيهما بفاتحة الكتاب وربما زاد عليها أحيانا .

الصلاة وحكم تاركها [ص ١٨٨ - ٢٠٩] .

○○○

(١) أخرجه البخارى [٦٢٢٨] ، ومسلم [٤٠٢/٥٥] عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه .

(٢) أخرجه مسلم [٤٠٣/٦٠] ، وأبو داود [٩٧٤] عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه .

شرف العبودية للّه تعالى

العبودية هى أرقى مراتب القرب من اللّه تعالى ؛ لأنك تأتى إلى اللّه طائعًا ، منفذًا للمنهج باختيارك .

ولقد عُرض على رسول اللّه ﷺ أن يكون مَلِكًا رسولاً ، أو عبدًا رسولاً ، فاختار أن يكون عبدًا رسولاً »[1] .

فمصدر الشرف للإنسان أن يحس ويشعر أنه عبدًا للّه تعالى وحده ، فيتجلى اللّه سبحانه عليه بالرحمات ويهديه سبل الرشاد .

والإيمان كله عزة ، والناس تكره كلمة « عبودية » ؛ لأن عبودية البشر للبشر فيها ذلة ، وفيها أن السيد يأخذ خير عبده .

أما العبودية للّه وحده فهى أن يأخذ العبد خير سيده ؛ ولذلك نجد أن اللّه سبحانه وتعالى قد امتن على نبيه ﷺ بصفة العبودية ، فى أشرف المقامات وأعلاها فقال سبحانه : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ [الإسراء : ١] .

وعبوديتك للحق سبحانه وتعالى تجعلك تنام ملئ جفنيك ، فأنت عبد لإله لا تأخذه سنة ولا نوم ، وإله هو القيوم عليك وعلى كل الخلق ، وإن احتجت منه إلى شيء ما سألته ، فيجيبك قال تعالى : ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] .

فهل فى هذه العبودية شيء غير العزة ؟

(١) عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه قال : جلس جبريل إلى النبى ﷺ فنظر إلى السماء ، فإذا ملك ينزل ، فقال جبريل : إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق قبل الساعة . فلما نزل قال : يا محمد أرسلنى إليك ربك : أفملكًا نبيًا يجعلك أو عبدًا رسولاً ؟ قال جبريل : تواضع لربك يا محمد . قال : « بل عبدًا رسولاً » أخرجه أحمد [٢٣١/٢] ، وابن حبان [٢١٣٧] قال الألبانى : إسناد صحيح على شرط مسلم [صحيحة ١٠٠٢] .

إنك إن أطعت الحق سبحانه وتعالى أعززت نفسك ، فسجودك وعبوديتك لإله واحد ؛ تعفيك من أن تسجد لألوف الأقوياء فى الأرض ولجؤك لوجه واحد يكفك كل الأوجه .

واعلم أنك إن التجأت إليه سبحانه ، وكنت فى معيته ، كنت أقوى من غيرك ، ولا يستطيع أحد أن ينالك بسوء ؛ لأنك فى معية اللّه ، ومن كان اللّه معه فلا يضره[1] .

ولكن الذى يشرد عن معية اللّه تعالى ويخالف منهجه هو الذى يشقى[2] .

فالحق تبارك اسمه وتعالى جده يريد منا أن نخلص النية فى صدق التوجه إليه سبحانه ، ليضفى علينا من صفات جلاله وصفات جماله .

وانظروا إلى هذ الموقف العظيم فرسول اللّه ﷺ ومعه أبو بكر الصديق رضى اللّه تعالى عنه فى الغار . وأبو بكر يخشى على رسول الله ﷺ من الكفار إن أدركوهم ،

(١) روى الترمذى [٢٥١٦] ، وأحمد فى المسند [٢٩٣/١] عن ابن عباس رضى اللّه تعالى عنهما قال : كنت خلف رسول اللّه ﷺ يومًا ، فقال : « ياغُلام إنى أعلمك كلمات ، احفظ اللّه يحفظك ، احفظ اللّه تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل اللّه ، وإذا استعنت فاستعن باللّه . واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه اللّه لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه اللّه عليك ، رُفعت الأقلامُ وجفت الصحف » وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده : صحيح .

(٢) إشارة إلى قول اللّه تعالى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝ ﴾ [طه] .

وقوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل : ١١٢] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٦] .

فيقول له ﷺ بعزة الواثق من نصرة ربه وحمايته : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة : ٤٠] .أى : إن رسول الله ﷺ يُسرى عن صاحبه لأنهم فى معية الله سبحانه وتعالى ، ذلك أن الصديق رضى الله تعالى عنه قد قال : « لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لرآنا » ، وهو كلام صحيح بحكم القانون الكونى ، ولكن رسول الله ﷺ لا يتكلم عن القانون الكونى ، بل يتكلم عن طلاقة قدرة المكون سبحانه ، فقال : « ما ظنك باثنين الله ثالثهما »[1] .

فمعية الله أضفت عليهما شيئًا من جلاله وجماله سبحانه ، فحجبت رؤية الكافرين لهم فى الغار .

والحق سبحانه يطلب منك أن تواجه الحياة فى معيته سبحانه وتعالى ، فأنت فى الدنيا مثلًا لو واجهتك المشكلات ولك قريب ذو جاه أو سلطان فإنك تواجه الأمور بشجاعة معتمدًا على جاه قريبك وسلطانه مع إنه من الأغيار ، فما بالك بمعية الله عز وجل الذى خضع كل من فى الوجود لعظمته وسلطانه .

وعلى المؤمن أن يصبر لقضاء الله تعالى ولا ييأس من رحمته فهو سبحانه : ﴿ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٥٣] . وما دام الله مع الصابرين فلا بد أن نعشق الصبر . وكيف لا نعشق ما يجعل الله معنا ؟

والعبادة كلها طاعة تتمثل فى تطبيق ما جاء به المنهج من « افعل » و « لا تفعل » ، وقد يظن البعض أن المنهج يقيد حريته ، ولكن القوى الإيمان يعتبر أن هذا القيد نعمة من الله تعالى يجب أن يحمده سبحانه عليها ؛ لأنه إذا كان قيدك أنت فى شىء فقيد كل الخلق فى هذا الشىء من أجلك .

إذن .. الأوامر والنواهى هى نعمة ، يجب أن نحمد ربنا سبحانه عليها[2] ، وكل

(١) أخرج البخارى [٣٤٥٣، ٣٧٠٧، ٤٣٨٦] عن أبى بكر رضى الله تعالى عنه قال : قلت للنبى ﷺ وأنا فى الغار ، لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا ، فقال : « ماظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما » .

(٢) يقول ربنا سبحانه وتعالى : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ [الأعراف : ٤٣] .

ما يجريه الله سبحانه على العبد المؤمن يجب أن يأخذه العبد على أساس أنه نعمة[1] .

فحين تشعر أن التكاليف أمر ثقيل على نفسك ، فاعرف أن هذا لمصلحتك ، وعليك أن تحمد الله عليه ، وبذلك يدخل المؤمن فى زمرة الحامدين .

وأنت حين تؤمن بالله ، يصبح الله فى بالك ، فلا يشغلك شىء عنه سبحانه .

فالعبادة خضوع لله سبحانه وتعالى بمنهجه « افعل » و« لا تفعل » ، والصلاة أساس العبادة ، والسجود هو منتهى الخضوع لله ؛ لأنك تأتى بوجهك الذى هو أكرم شىء فيك وتضعه على الأرض عند موضع القدم إعلانا بخضوعك باختيارك لربك جل وعلا .

(١) أخرج مسلم [٦٤/٢٩٩٩] عن صهيب رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له .

وورد عن سفيان فى قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ [التغابن : ١١] . قال : بالرضا والتسليم .

وعن أبى العباس بن عطاء : الرضا ترك الخلاف على الله فيما يجريه على العبد .

وكان عمر بن عبد العزيز كثيرًا ما يدعو : « اللهم رضنى بقضائك وبارك لى فى قدرك حتى لا أحب تعجيل شىء أخرته ولا تأخير شىء عجلته » .

وكان رضى الله تعالى عنه يقول : « ما أصبح لى هوى فى شىء سوى ما قضى الله عز وجل ».

وكان ذا النون رضى الله تعالى عنه يقول : « ثلاثة من أعلام التسليم مقابلة القضاء بالرضا ، والصبر على البلاء والشكر على الرخاء » .

وثلاثة من أعلام التفويض : « ترك الحكم فى أقدار الله من وقت ، إلى وقت وتعطيل الإرادة لإرادته فى النوافل وأسباب الدنيا ، والنظر إلى ما يقع به من تدبير الله عز وجل ».

وثلاثة من أعلام ذكاء القلب : « رؤية كل شىء من الله ، وقبول كل شىء عنه ، وإضافة كل شىء إليه » .

القضاء والقدر للبيهقى [٩٩-١٠١] بتصرف .

فيكون هذا هو منتهى الخضوع والخشوع والتسليم لله تعالى ، ويتم هذا أمام الناس جميعًا فى الصلاة [1] ؛ إذن .. فالصلاة حضور العبد فى معية ربه ومثوله بين يديه معلنا استدامة الولاء والطاعة لله ولرسوله ولكتابه .

والله سبحانه يريد منا مداومة الولاء له سبحانه ، فإذا كنت تحب الله ، فأدم الولاء له باستمرار الصلاة ، اعلم أنك حين تسجد لله وتتذلل له ، فإنه سبحانه يزيدك عزة ويكون معك دائمًا ، ويقيك ذل الدنيا .

○○○

(١) لذلك يكون الإنسان فى هذه الحال أقرب ما يكون من رحمة ربه وفضله ، وقد أخرج مسلم [٢١٥/٤٨٢] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء » .

قيام الليل .. ومقام الإحسان

إن قيام الليل يدخل العبد فى مقام الإحسان ؛ لذا يقول الحق سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨ ﴾ [الذاريات] .

إن الإحسان هو أن تفعل شيئًا فوق ما افترضه الله سبحانه ، ولكن من جنس ما افترضه الله سبحانه .

والإحسان ، هو أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فهو سبحانه وتعالى يراك .

فالرؤية الإيمانية هى أن تؤمن كأنك ترى ما هو غيب أمامك ، وتكون من هذه الرؤية أكثر يقينًا من رؤية العين ، لأنها رؤية إيمان ورؤية بصيرة .

وقول رسول الله ﷺ حينما سأله جبريل عن الإحسان : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك »[1] .

هو بيان للرؤية الإيمانية فى النفس المؤمنة ، فالإنسان حين يؤمن ، لابد أن يأخذ كل قضاياه برؤية إيمانية ، حتى إذا قرأ آية عن نعيم أهل الجنة فكأنه يرى أهل الجنة وهم ينعمون ، وإذا قرأ آية عن أهل النار اقشعر بدنه ، وكأنه يرى أهل النار وهم يعذبون .

وتروى كتب الحديث أن الحارث بن مالك الأنصارى مر برسول الله ﷺ ، فقال له الرسول ﷺ : كيف أصبحت يا حارث ؟ فقال : أصبحت مؤمنًا حقًا . قال : انظر ما تقول ، فإن لكل شىء حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟

(١) أخرجه البخارى [٥٠] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، ومسلم [١/٨] عن عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه .

فقال : قد عزفت نفسى عن الدنيا ، وأسهرت لذلك ليلى ، وأظمأت نهارى ، وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزًا ، وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأنى أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها .

فقال ﷺ : « يا حارث ، عرفت فالزم ثلاثًا »[1] .

والمؤمن الصادق يعرف أنه فى لقاء دائم مع اللّه سبحانه ، لذلك يضع برنامجًا لنفسه موجزه أنه يعلم أنه لا يغيب عن رقابة اللّه ولو جزىء من الثانية .

والمؤمن يستحضر دائما قول الله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد : ٤] .

إذن .. لا أحد يغيب عن رقابة اللّه سبحانه طرفة عين ، لذا فيجب أن يستحى منه سبحانه . وعندما تتيقن أن اللّه سبحانه وتعالى ينظر إليك ، فكيف تعصيه ؟

أنت لا تجرؤ أن تفعل ذلك مع عبد مساوٍ لك ، فكيف تفعله مع اللّه ؟!

ونحن نعرف أنه سُن لنا قراءة القرآن ليلاً ، وصلاة التهجد ، وهذا فى مدارج المراتب الإيمانية التى يدخل بها الإنسان إلى مقام الإحسان .

فهناك مؤمن يقرأ من القرآن فى وقت من الليل ، ومؤمن آخر يقرأ من القرآن فى وقت آخر ، وكأن المؤمنين يقطعون الليل كله فى قراءة القرآن .

والذى يدخل مع ربه فى مقام الإحسان ، فهو لا يصلى فقط الصلاة المكتوبة بل يتطوع بالنوافل ويقيم الليل .

إذن .. المحسن هو الذى أدى ما افترضه اللّه تعالى عليه ، وزاد من جنسه فمثلاً : تعبدنا للّه سبحانه بخمس صلوات مفروضات ، فنزيدها لتصل إلى عشرين مثلاً بالنوافل .

(١) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير [٣/٢٦٦/٣٣٦٧] ، وعبد بن حميد فى مسنده [٤٤٥] . وذكره الحافظ ابن حجر فى الإصابة [١/٥٩٧/١٤٨] فى ترجمة الحارث بن مالك الأنصارى .

وتعبدنا اللّه سبحانه بصيام شهر فى العام هو رمضان ، ولكن منا من يصوم فى كل شهر عددًا من الأيام . كالثلاثة المعروفة بأيام التشريق ، أو يوم الإثنين والخميس والبعض يترقى فيصوم يوماً ويفطر يوم .

وتعبدنا اللّه سبحانه بالزكاة بالنصاب ، ومنا من يزيد عن النصاب ويتصدق .

وتعبدنا اللّه سبحانه بالحج مرة فى العمر ، ولكن منا من يكثر من عدد مرات الحج والعمرة طلبًا للأجر والثواب .

فحين يريد العبد أن يدخل فى مقام الإحسان ، فبابه هو أداء عبادات من جنس ما تعبده اللّه به ، فالعبد لا يخترع أو يقترح العبادة التى يعبد بها اللّه سبحانه وتعالى ، ولكنه يزيد من جنس ما افترضه اللّه سبحانه عليه .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الذاريات] .

وهذه دقة البيان القرآنى التى توضح مقام الإحسان ، فيكون فى مالهم حق للسائل والمحروم ، وليس هناك قدر معلوم للمال الذى يخرج ، لأن المقام هنا مقام الإحسان الذى يعلو مقام الإسلام والإيمان .

فمقام الإسلام - بالنسبة للزكاة مثلاً - قد جاء ذكره فى قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المعارج] .

فالإنسان فى مقام الإسلام قد يقيد بالإخراج من ماله بحدود الزكاة ، أو فوقها قليلاً ، لكن فى مقام الإحسان فلا حدود لما يخرج من المال .

ومثل هذا أيضاً ، فقد كلف اللّه المسلم بالصلاة ، وأعلمه بأنه فى سعة من أمره بعد صلاة العشاء ، وله الحق أن ينام إلى الفجر ، فإذا ما أذن المؤذن لصلاة الفجر فليقم إلى أداء الصلاة .

لكن المحسن يريد الارتقاء بإيمانه ، فيزيد من صلواته فى الليل عملاً بقول الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ [الإسراء : ٧٩] . متأسيًا برسول الله ﷺ .

وهذا ما بينه الحق سبحانه وتعالى مذكرًا لنا بصفات المحسنين فقال : ﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات : ١٨] .

أكلف الله سبحانه الخلق بأن يستغفروا بالأسحار ؟ لا . بل إن الرسول ﷺ يجيب على رجل سأله عن الفروض الأساسية المطلوبة منه ، فذكر له أركان الإسلام ، ومن بينها الصلوات الخمس المكتوبة .

فقال الرجل : « واللَّهِ لا أزيد على هذا ولا أنقص » .

فقال ﷺ : « أفلح إن صدق » (١).

وبذلك دخل هذا الأعرابى فى نطاق المفلحين .

إذن .. فالذى يزيد على هذا يدخله الله فى زمرة المحسنين .

فالإحسان ، هو أن تفعل فوق ما كلفك الله من جنس ما كلفك موقنًا أنه يراك .

فيكون قد أدخلك الله فى مقام الإحسان ، لأنك حين أديت الفرائض وزدت عليها من جنسها النوافل وذقت حلاوتها ، علمت أن الله يستحق منك أكثر مما كلفك به .

ولذلك فبعض الصالحين قال :

(١) أخرج البخارى [٤٦] ، ومسلم [٨/١١] عن طلحة بن عبيد الله رضى الله تعالى عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس قال : يسمع دوى صوته ولا نفقه ما يقول ، حتى دنا ، فإذا هو يسأل عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : « خمس صلوات فى اليوم والليلة » فقال : هل على غيرها ؟ قال : « لا ، إلا أن تطوَّع » . قال رسول الله ﷺ « وصيام رمضان » . قال : هل على غيره ؟ قال : « لا ، إلا أن تطوع » . قال وذكر له رسول الله ﷺ « الزكاة » . قال : هل على غيرها ؟ قال : « لا ، إلا أن تطوَّع » قال : فأدبر الرجل وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه .
فقال رسول الله ﷺ : « أفلح إن صدق » .

« اللَّهم إنى أخشى ألا تثيبنى على الطاعة ، لأننى أصبحت أشتهيها » .

أى : صارت شهوة نفسى ، فهو خائف أن يفقد حلاوة التكليف والمشقة ، فيقول : يا رب ، إنى أصبحت أحبها ، ومفروض منا أن نمنع شهوات أنفسنا ، لكنها أصبحت شهوة ، فماذا أفعل ؟

إذن .. فهذا الرجل قد دخل فى مقام الإحسان ، واطمأنت نفسه ، ورضيت ، وأصبح هواه تبعًا لما أمر به الله ورضيه .

ولذلك يجب أن نلحظ أن الحق سبحانه وتعالى حينما تكلم عن المتقين قال : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝ ﴾ [الذاريات] .

لماذا هم محسنون يا رب ؟ يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ [الذاريات : ١٧] .

وهل كلفنى الله ألا أهجع إلا قليلاً من الليل ؟

لا ، إن التكليف أن يصلى الإنسان العشاء أول الليل ، ثم ينام حتى الفجر ، لكن أن تخلو للمؤمن العبادة ، ويزداد الإيمان فى القلب والجوارح ، ويأنس العبد بالقرب من الله ، فالحق لا يرد مثل هذا العبد ، بل إنه يحبه ويقربه منه ويدخله فى مقام الإحسان .

يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٣٢] .

فالأعمال تتفاوت ، فقد تكون فى ظاهرها قوالب متحدة ، لكن التفاوت إنما ينشأ بكثرة العمل ، أو بإخلاص العامل للعمل ، والمكتسب ، والفاعل له .

ومسألة الإخلاص هذه لا تحددها لوائح ولا قوانين ، إنما يعلمها الحق سبحانه وتعالى المطلع وحده على النوايا وأعمال القلوب .

إذن .. لا يعلمها إلا ربنا سبحانه وتعالى ، وعلى مقدار ذلك تكون الدرجات ، فالدرجات تكون على مقدار ما يزيده العبد من جنس ما فرضه الله عز وجل عليه .

والذى يؤدى ما افترضه الله سبحانه عليه يثيبه على عمله ، والذى يزيد عما فرض الله من جنس ما فرض الله هو أشد فلاحًا .

ولا يصل الإنسان إلى المرتبة التى هى أشد فلاحًا ، إلا إذا كان فى درجة أعلى .

والزيادة على ما فرضه الله ، ومن جنس ما فرض لها ملحظان :

الأول : أن العبد يشهد لربه بالرحمة ، لأنه كلف دون ما يستحق .

الثانى : أن عمل الطاعة قد خُفِّف على المؤمن فاستراح بها .

ألم يقل رسول الله ﷺ عن الصلاة : « يا بلال أرحنا بها »[1] .

ورب العزة سبحانه يقول فى الحديث القدسى : « من عادى لى وليًا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذ بى لأعيذنه وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته »[2] .

إن الحق سبحانه يضع مسئولية القرب من الله سبحانه فى يد الخلق ، ويسلم المؤمن مفتاح القرب من الله سبحانه ، فمن يكن من أصحاب الخلق الملتزمين بالمنهج يقربه الله عز وجل منه أكثر فأكثر .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) أخرجه البخارى [٦٥٠٢] ، وابن حبان فى صحيحه [٣٤٧] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه.

إذن .. فمن الناس من يصل بطاعة الله سبحانه إلى كرامة الله عز وجل ، ويلزم باب الحق سبحانه حتى يفتح له ، ومن الناس من يصل بكرامة الله سبحانه أولاً إلى طاعة الله سبحانه ثانياً .

والحق سبحانه يريدنا أن نكون موصولين به سبحانه ، وهذه الصلة تتم بإقامة الصلاة المفروضة خمس مرات فى اليوم ، وترك سبحانه الباب مفتوحًا لتطوعك ، فلا تترك ساعة تستطيع أن تكون فيها بين يدى الله مقيمًا للصلاة أو ذاكرًا أو شاكرًا إلا فعلت .

○○○

يقول الله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ۝ ﴾ [الفرقان]

فأول صفة لعباد الرحمن أنهم يمشون على الأرض هونًا ، أى : بوقار ورفق ولين وسكون .

وقالوا : إن المشى الهَوْن : هو الذى يسير فيه الإنسان على سجيته بدون افتعال عظمة أو مشية معينة فيها إعجاب بالنفس أو تكبر واختيال ، وبدون انكسار ، وذلة فى المشى أيضًا ، بل يمشى مشيًا طبيعيًا .

ولا يجب أن يفتخر الإنسان بأية صفة فيه ، فالإنسان ليس عنده أية صفة ذاتية فيه حتى يختال ويتكبر بها ؛ لأن كل صفاته موهبة له من الله سبحانه .

فالمتكبر المختال إنسان ضرب على قلبه الحجاب ، فلم يلتفت إلى ربه الأعلى ، فهو يظن أنه أحسن من الناس كلهم ، ولكنه لو استحضر كبرياء ربه وعلم أن العز إزاره والكبرياء رداؤه سبحانه [1] لاستحى أن يكون متكبرًا .

إذن .. فصفة عباد الرحمن فى ذواتهم أنهم يمشون على الأرض هونًا .

أما صفتهم فى علاقاتهم بالناس فقال عنها ربنا سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ .

و﴿ الْجَاهِلُونَ ﴾ هم : السفهاء ، والسفيه هو الذى لا يزن الأمور ، ولا يعقل كلامه ، ولا يضع كل كلمة موضعها ، إذًا .. فهو جاهل .

وهذا الجاهل السفيه لا تكن مثله ، وترد عليه بمثل قوله ، وإلا فلو سفهت عليه كما سفه عليك فقد صرت مثله تمامًا . فلا بد أن تشعره بالفرق بينك وبينه .

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم [١٣٦/٢٦٢٠] عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهما .

ولكن ، إذا اشتدت سفاهته عليك وطغى وبغى ، فيباح لك أن ترد العدوان بمثله ؛ لأنه قد يظن أن هذا السكوت ضعف منك ، فعليك أن تبين له أن هذا السكوت ليس ضعفًا ، ولكنه كرم خُلق [1] .

ومعنى : ﴿ قَالُوا سَلَامًا ﴾ أى : سلام المتاركة ، فإذا جهل عليك ، إنسان وسبك بلسانه حلمت عليه ، وقلت له : أنا لست مثلك حتى أرد عليك ثم تتركه وتنصرف .

وسلام المتاركة غير سلام التحية الذى تلقيه على من يقابلك حين تبدأه بالسلام ، وقد يتحول سلام المتاركة أحيانًا إلى سلام التحية للانصراف ، مثلما قال الخليل إبراهيم عليه السلام لعمه آزر بعد أن دعاه إلى الإسلام فأبى ، ولم يقتنع فانصرف عنه ، وقال له : ﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ۖ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ [مريم : ٤٧] . ذلك حال عباد الرحمن مع ذواتهم ومع الناس ، ثم من بعد ذلك يأتى حالهم مع ربهم .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٤] .

فساعة يبيت أحدهم فى الليل يحاسب نفسه : ماذا قدم من عمل فى نهاره ؟ ويتذكر نعم الله سبحانه التى تجلت عليه فى ذلك اليوم ، وهى نعم ليست ذاتية فيه ، ولكنها موهوبة من ربه ، فيشكر الله سبحانه عليها ، ويبيت لربه ساجداً قائماً .

قال تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ [الزمر : ٩] .

وأصل القنوت فى اللغة هو : المداومة على الشىء ، وقد حض وحث القرآن الكريم على ديمومة طاعة الله سبحانه ، ولزوم الخشوع والخضوع .

(١) إشارة إلى قول الله تعالى : ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ وإن كان منزلة العفو وكظم الغيظ أعلى وأجل لقول ربنا سبحانه : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٤] .

الخشوع .. يزيل الكبر من القلب

فى الصلاة يمثل العبد بين يدى ربه ، وحينما يقف العبد بين يدى اللّه سبحانه ، لا بد أن يكون فى خشوع وخضوع تام للّه رب العالمين ، وحينئذٍ يزول كل ما في نفسه من كبرياء . فالعزة والعظمة والكبرياء للّه تعالى وحده [1] .

والمتكبر غافل عن معرفة ربه سبحانه وتعالى ، فإن عدم الإيمان بالنبى ﷺ الذى فرضت عليه وعلى أمته الصلاة ، وعدم الوقوف بين يدى اللّه سبحانه للصلاة إنما هو رفض للخضوع للّه سبحانه ، أو استهتار بأوامره سبحانه .

والصلاة تطهر القلب من الاستكبار ؛ لذلك كان مؤدى الصلاة أنها تعود الإنسان على الخشوع والخضوع .

والخضوع الدائم للّه يجعل الإنسان يستحضر عظمة الحق سبحانه ، فيشعر بضآلة نفسه ، ومدى عجزه أمام خالق هذا الكون العظيم .

ويعلم أن كل ما عنده يمكن أن يذهب به اللّه تعالى فى لحظة ، ذلك أننا نعيش فى عالم الأغيار .

ولذلك فلنخضع للذى لا يتغير ؛ لأن كل ما يحصل عليه الإنسان هو من اللّه سبحانه ، وليس من ذاته .

والذين يغترون بوجود الأسباب نقول لهم : اعبدوا واخشعوا لواهب الأسباب وخالقها ؛ لأن الأسباب لا تعمل بذاتها .

واللّه سبحانه وتعالى يجعل الأيام دولًا ، أى : متداولة بين الناس ، إنسان يفاخر بقوته فيأتى من هو أقوى منه فيهزمه ، وإنسان يفاخر بماله ، يضيع هذا المال فى لحظة .

(١) أخرج مسلم [١٣٦/٢٦٢٠] عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى اللّه تعالى عنهما قالا : قال رسول اللّه ﷺ : « العز إزاره . والكبرياء رداؤه . فمن ينازعنى ، عذبته » .

واقرأ قوله تعالى : ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٠] .

ولذلك لا بد أن نفهم أن الإنسان الذى يستعلى بالأسباب سيأتى وقت لا تعطيه الأسباب مطلوبه ، وكثير من الناس يغتر بنعمة اللّه تعالى عليه ، فيتصور أن ذلك لشىء فيه .

ولهذا الإنسان نقول : لا تغتر بما عندك فإنه عطية من اللّه لك فاحذر أن لا تؤدى حق اللّه فيه ، فإذا كان مال فساعد الفقراء ، وإن كان صحة فأعن الضعفاء ، وإن كان علم فعلم به عامة الناس . بذلك تكون أديت حق اللّه تعالى عليك وخشعت له ، وخضعت لسلطانه .

إذن .. الخاشع هو الطائع للّه ، الممتنع عن المحرمات ، الصابر على الأقدار ، الذى يعلم يقيناً داخل نفسه أن الأمر للّه وحده ، وليس لأى قوة أخرى ، فيخشع لربه خالقه وخالق هذا الكون له .

الخاشعون هم الذين يقرنون الطاعة بالثواب ، والمعصية بالعقاب والعذاب ؛ لأن الذى ينصرف عن الطاعة لمشقتها ، عزل الطاعة عن الثواب فأصبحت ثقيلة ، والذى يذهب إلى المعصية عزل المعصية عن العقاب فأصبحت سهلة .

وهكذا يتلقى المؤمن مشقات الطاعة بحب ، فيهونها الحق سبحانه عليه ، ويجعله يدرك لذة هذه الطاعة ، لتهون عليه مشقتها ، ويمده سبحانه أيضًا بالمعونة .

فالخاشع الخاضع للّه يستشعر حلاوتها ؛ ولذلك كان رسول اللّه ﷺ يقول عندما يحزبه أمر : « أرحنا بها يا بلال »[1] أى بالصلاة .

(١) سبق تخريجه .

والحق سبحانه يقول فى شأن الصلاة : ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ .

إذن .. عندما يأتى التكليف يكون شاقاً ، وما دام شاقًا فهو بحاجة لصلابة إيمان وجلد ويقين ، بحيث يعلم أن ما قام به من عمل وإن كان شاقًا لكنه سيعطيه سعادة كبيرة جدًا .

لذلك عندما يعلم المؤمن بعطاءات اللّه ونعمه وإحسانه ورضوانه على عبده الطائع الخاشع فإنه يستشعر حلاوة الإيمان ويقبل على عبادته بحب ولا يجد أثر المشقة [1] .

والحق سبحانه وتعالى يقول : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾ [المؤمنون] .

فالفلاح هو الفوز بأقصى ما تتطلع إليه النفس من خير ، وأول أسباب الفلاح عند المؤمن هو إقامة الصلاة والخشوع فيها .

إما أن تكون الصلاة سببًا من أسباب الفلاح ، فهذا يرجع إلى إقامتها لا مجرد أدائها ، بل لابد من إقامتها على الوجه الأكمل الذى يرضاه اللّه سبحانه بإتمام ركوعها وسجودها .

وكلمة : « أفلح » مأخوذة من فلح الأرض ، فاعلموا أنكم كما تفلحون الأرض وتجتهدون فى ذلك حتى تأتى لكم بالخير الكثير ، فكذلك حين تجتهدون فى العبادة وطاعة اللّه سبحانه فى الدنيا ، فإن ربنا يعطيكم خير الجزاء فى الآخرة .

وأول ظاهرية الفلاح هى الصلاة أيضاً ، فالصلاة صفة لازمة من صفات المؤمن .

---

(١) أخرج البخارى [١٦] ، ومسلم [٦٧/٤٣] عن أنس رضى اللّه تعالى عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : من كان اللّه ورسوله أحب إليه مما سواهما . وأن يحب المرء لا يحبه إلا للّه ، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه اللّه منه كما يكره أن يقذف فى النار .

ولكن الحق سبحانه يريد أن يبين لنا أن فلاح المؤمن ليس فى مجرد أداء الصلاة فقط ، ولكن فى الخشوع فيها .

والخشوع هو سكينة القلب واطمئنانه ، واستحضار عظمة من تقف بين يديه سبحانه وتعالى .

والخشوع أيضًا معناه : اطمئنان القلب ، ومعنى اطمئنان القلب سكونه فى مهمته هذه ، فلا ينشغل بشىء آخر ؛ لأن اللّه سبحانه ما جعل لرجل من قلبين فى جوفه .

يقول تعالى : ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ [الأحزاب : ٤]

ويروى أن عمر بن الخطاب رضى اللّه تعالى عنه دخل المسجد فوجد رجلاً يصلى يعبث بلحيته ، فقال له : لو خشع قلبك لخشعت جوارحك .

لأن الجوارح تستمد طاقتها من القلب الذى يحركها ، فلو كان القلب مشغولاً بشىء آخر لذهل عن الجارحة .

يقول الحق سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۝١٠٩ ﴾ [الإسراء] .

الأذقان : جمع ذقن ، والذقن هو الفك الأسفل .

فساعة يخرون ليس على وجوههم فقط ، ولكن على الوجه والأنف والذقن أيضاً ، وهذا دليل على التمكن فى السجود .

﴿ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ . أى : كلما سمعوا آية من آيات القرآن ازدادوا خشوعاً وخشية للّه سبحانه ، وهؤلاء يقول عنهم رب العزة سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال : ٢] .

والوجل هو : الخوف فى نزع ينشأ منه قشعريرة ، واضطراب فى القلب ، فذكر الله سبحانه يدفع قلوب المؤمنين إلى الوجل ، وهذا لا يتنافى مع قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد : ٢٨] .

ولا تعارض بين القولين ؛ لأن ذكر الله تعالى يأتى بأحوال متعددة ، فإن كان الإنسان مسرفًا على نفسه ، فهو يرجف حين يذكر الله سبحانه الذى خالف منهجه .

وإن كان الإنسان يراعى حق الله فى كل عمل قدر الاستطاعة ، فلا بد أن يطمئن قلبه لحظة ذكر الله ؛ لأنه اتبع منهج الله ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

إذن .. فالخوف أو الوجل إنما ينشأ من مهابة وسطوة صفات الجلال .

والاطمئنان إنما يجىء من إشراقات وحنان صفات الجمال .

ولذلك تجمعهما آية واحدة ، هى قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر : ٢٣] .

فالجلود تقشعر خوفًا ووجلاً ومهابة من الله عز وجل ، ثم تلين اطمئنانًا وطمعًا فى عفو الحنَّان المنان سبحانه وتعالى .

وهكذا نرى أن الجلود تقشعر من هول الوعيد بالنار ، لمجرد قراءة ما ذكره القرآن عنها ، وبعد ذلك تأتى الرحمة ، وفى هذه الحالة لا تلين الجلود فقط ، ولكن لا بد أن تلين القلوب ؛ لأنها هى التى تعطى اللمحة الإيمانية لكل جوارح الجسد . فالإيمان يحرك أعضاء الجسد البشرى كله .

○○○

اسألوا الله من فضله

ما دمت قد ذقت حلاوة ما أعطاك الحق سبحانه من إشراقات ونفحات وتجليات صفائية ، فعليك أن ترفع يديك داعيًا وسائلاً الله شاكرًا له سبحانه .

ولا تخش ، فإن دعاءك سيصل حتمًا إلى ربك ، فهو القائل سبحانه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

والله سبحانه وتعالى فى عطائه يحب أن يطلب منه الإنسان ، وأن يدعوه ، وأن يستعين به ، وهذا يوجب الحمد والشكر ؛ لأنه يقينا الذل فى الدنيا ، فأنت إن طلبت شيئاً من صاحب نفوذ ، فلا بد أن يحدد لك موعدًا ، أو وقت الحديث ومدة المقابلة ، وقد يضيق بك فيقف لينهى اللقاء .

أما الحق سبحانه فإن بابه مفتوح دائمًا ، فأنت تذهب إليه عندما تريد ، وترفع يديك بالدعاء والمناجاة إليه وقتما تحب ، وتسأله سبحانه ما تشاء ، فيعطيك ما تريده إن كان خيرًا لك ، ويمنع عنك ما تريده إن كان شرًا لك .

واقرأ قول الشاعر :

حَسْبُ نفسى عزًا بأننى عبد ... يحتفى بى بلا مواعيد ربُّ
هو فى قدسه الأعز ولكن ... أنا ألقى متى وأين أحبُّ

والله سبحانه وتعالى عطاؤه لا ينفد ، وخزائنه لا تفرغ ، فكلما سألته جل جلاله كان لديه المزيد ، ومهما سألته فإنه لا شىء عزيز على الله سبحانه وتعالى ، إذا أراد أن يحققه لك[1] .

(١) أخرج مسلم [٥٥/٢٥٥٧] ، وأحمد فى المسند [١٦٠/٥] عن أبى إدريس الخولانى ، عن أبى ذَر رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ ، فيما رَوَى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : « يا عبادى ! إنى حرَّمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم مُحرمًا . فلا تظالموا . يا عبادى ! كُلكُم ضال إلا من هديته . فاستهدونى أَهدِكُم . يا عبادى ! كُلكُم جائع إلا من أطعمتُه . فاستطعمونى أُطعمكُم . يا عبادى ! كُلكم عار إلا من كَسَوتُه . فاستكسونى =

واللّه سبحانه يطلب منك أن تدعوه وأن تسأله ، فيقول سبحانه : ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر : ٦٠] .

والعلماء يقولون : إن مجرد الدعاء هو فتح من اللّه لعبده ، وباب من أبواب قبول مسألته .

ولتتعلم ما علمه رسول اللّه ﷺ لعائشة أم المؤمنين رضى اللّه تعالى عنها حين سألت رسول اللّه ﷺ عن الدعاء فى ليلة القدر ، فقالت : إن أدركتنى هذه الليلة ، بماذا أدعو ؟

انظروا إلى رسول الله ﷺ ، لقد علم أم المؤمنين عائشة أن تدعو بمقاييس الخير الواسع ، فقال لها : « قولى : اللّهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى »[1] .

ولا يوجد جمال أحسن من العفو ، ولا يوجد خير أحسن من العفو .

ومعنى العفو محو الأثر ، كالسائر فى الصحراء تترك قدماه علامة ، وتأتى الريح لتزيل هذا الأثر ، كأن هناك ذنبًا والذنب له أثر ، وأنت تطلب من اللّه أن يمحو الذنب .

= أكثكم . يا عبادى ! إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفرونى أغفر لكم . يا عبادى ! إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى . ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى . يا عبادى ! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم . كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم . مازاد ذلك فى ملكى شيئًا . يا عبادى ! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد . ما نقص ذلك من ملكى شيئًا . يا عبادى ! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى . فأعطيت كل إنسان مسألته . ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر . يا عبادى ! إنما هى أعمالكم أُحصيها لكم . ثم أوفيكم إياها . فمن وجد خيرًا فليحمد اللّه . ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » .

قال سعيد : كان أبو إدريس الخولانى ، إذا حَدَّث بهذا الحديث جثا على رُكبتيه .

(١) رواه الترمذى [٣٥١٣] ، وابن ماجه [٣٨٥٠] ، وأحمد فى المسند [١٧١/٦] ، وصححه الألبانى فى صحيح ابن ماجه [٣١٠٥] .

وعندما ندعو بالدعاء الذى علمه لنا الحق سبحانه : ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

فنحن بهذا الدعاء نتوجه إلى اللّه سبحانه ضارعين : أنت يا الله تعلم أننا مهما أوتينا من اليقظة الإيمانية والحرص الورعى ؛ فلن نستطيع أن نؤدى حقك كاملاً ، ولذلك لا ندخل عليك إلا من باب أن تعفو عنا .

والعفو هو : محو الذنب مع عدم المؤاخذة من اللّه للعبد بسببه ، أما الرحمة فهى الدعاء بألا يدخلنا فى الذنب أصلًا .

والحق سبحانه يقول : ﴿ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٤] .

كلمة « يعفو » من « عفا » تدل كما قلنا من قبل على أن هناك أثرًا قد محى ، تمامًا كما يمشى إنسان فى الرمال ، فتحدث أقدامه أثرًا ، ثم تأتى الريح فتملأ مناطق هذا الأثر بالرمال وتزيله .

وهى تطلق فى الدين على محو اللّه سبحانه وتعالى لذنوب عباده ، فلا يعاقبهم عليها .

وما دام الإنسان قد ندم واستغفر من ذنبه ، فقد تاب إلى اللّه تعالى وفى الحديث : أن الندم توبة [1] .

وهو وحده سبحانه الذى يملك العفو والمغفرة ، فلا يُدخلن أحدكم نفسه فى هذه المسألة ، ولا يجب أن يحرج إنسان مذنبًا ما دام قد استغفر من يملك العفو .

ومن يسمع من يستغفر اللّه ويطلب العفو منه سبحانه عليه أن يقول له : يعفو اللّه عنك .

(١) روى ابن ماجه [٤٢٥٢] ، وأحمد فى المسند [٣٧٦/١] عن عبد اللّه ابن معقل بن مقرن ، قال : دخلت مع أبى على عبد اللّه بن مسعود ، فقال : أنت سمعت النبى ﷺ يقول : « الندم توبة » ؟ قال : نعم . وصححه الألبانى فى صحيح ابن ماجه [٣٤٢٩] .

لأنه لا أحد يعرف إن كان الله سبحانه قد عفا عنه أم لا ، ولكن علينا أن نعينه بالدعاء له .

ومن يعيّر مذنبًا تاب من ذنبه نقول له : تأدب ؛ لأنه لم يرتكب الذنب عندك ، ولكنه ارتكبه عند ربه وطلب العفو منه سبحانه ، والعفو شأن الرب العفو الغفور ، القائل سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ١٣٥] .

إن الحق سبحانه وتعالى خلق خلقه ، ويعلم أن الأغيار تأتى فى خواطرهم وفى نفوسهم ، وأن شهواتهم قد تستيقظ فى بعض الأوقات ، فتنفلت إلى بعض الذنوب . وهكذا المسلم دائمًا لمة للرحمن ولمة للشيطان ، نسأل الله أن تكون اللمة الأخيرة للرحمن الرحيم .

ولأنه رب رحيم شرع لعبده إذا أذنب ذنبًا أن يعود إليه تائبًا مستغفرًا نادمًا ، لأن الله يحب أن يتوب عبده ويرجع إليه فهو سبحانه ﴿ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

وفى الحديث « لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله فى أرض فلاة »[1] ، لأن المعصية عندما تأخذ الإنسان من منهج الله لتعطيه نفعًا عاجلًا ، فإن حلاوة الإيمان - إن كان مؤمنًا صحيح الإيمان - ستجذبه مرة أخرى إلى الإيمان بعيدًا عن المعاصى .

ولذلك قيل : إن انتفعت بالتوبة وندمت على ما فعلت ، فإن الله لا يغفر لك ذنوبك فقط ، ولكن يبدل سيئاتك حسنات . لقوله تعالى : ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴾ [الفرقان : ٧٠] .

وكان من دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام :

(١) أخرجه البخارى [٦٣٠٩] عن أنس رضى الله تعالى عنه .

﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٨] . وقولهما : ﴿ وَتُبْ عَلَيْنَآ ﴾ ليس من الضرورى أن نفهم هذا على أنها توبة عن معصية ، وأن إبراهيم وإسماعيل وقعا فى المعصية فيريدان التوبة إلى الله ، وإنما لأنهما علما أن من سيأتى بعدهما سيقع فى الذنب فطلبا التوبة لذريتهما .

وباب التوبة من رحمة الله تعالى مفتوح دائمًا لا يغلق : فقد ورد فى الحديث : « إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها »[1] .

والليل ينتهى فى مكان ، ويبدأ فى مكان آخر ، وهكذا النهار ، فالليل مستمر دائمًا ، والنهار مستمر دائمًا ، فيداه سبحانه مبسوطتان دائماً .

والحق سبحانه يعلمنا أن الإنسان يدعو بالخير لنفسه ، وأنت لا تستطيع أن تحدد هذا الخير ، لأنك قد تنظر إلى شىء على أنه الخير وهو شر ، وما دمت تدعو فأنت تظن أن ذلك هو الخير[2] .

إذن .. فملحظية الأصل فى الدعاء هى أنك تحب الخير ، ولكنك قد تخطىء الطريق إلى فهم الخير أو الوسيلة إلى الخير .

أنت تحب الخير لا جدال ؛ لذلك تكون إجابة ربك إلى دعائك هى أن يمنع إجابة دعوتك ، إن كانت لا تصادف الخير بالنسبة لك .

ولذلك يجب أن تفهم أنك حين لا تجاب دعوتك كما رجوت وطلبت ؛ أن الله سبحانه لم يستجب لك ، فتقول : لماذا لم يستجب الله سبحانه لى ؟

(١) أخرجه مسلم [٣١/٢٧٥٩] عن أبى موسى رضى الله تعالى عنه .

(٢) قال الله تعالى : ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ [الإسراء : ١١] .

لا ، لقد استجاب الله لك ، ولكنه نحى عنك حمق الدعوة ، أو ما تجهل بأنه شر لك ، فالذى تدعوه إله حكيم ، خبير بعباده وماينفعهم فكأنه قال لك : أنا سأعطيك الخير ، والخير الذى أعلمه أنا فوق الخير الذى تعلمه أنت ، ولذلك فمن الخير لك ألا تجاب إلى هذه الدعوة .

وأقرأ قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ [الإسراء : ١١] .

فإذا دعوت فى حال انفعال غضب على نفسك أو على من تحب ، فمن مصلحتك أن لا يستجيب الله سبحانه لدعائك ، وما دمت عرفت الحكمة فى هذا ، فإذا دعوت بخير فى رأيك ، وأخر الله سبحانه لك الإجابة ، أو لم يستجب لك . فاعلم أن هذا الذى تظنه خيرًا فيه شر ، فمنعه الله عنك ، لأن الإنسان دائمًا يستعجل ، ويريد أن يحوز كل شىء .

إذن .. فحظك فى الدعاء لا أن تجاب ، ولكن حظك فيه أن تظهر ضراعة عبوديتك وحاجتك لربك .

فمن يقول : لقد دعوت ربى فلم يستجب لى .

نقول له : لا تكن قليل الفطنة ، فمن الخير لك أنك لا تجاب إلى ما طلبت ، فالله يعطيك الخير فى الوقت الذى يريده .

ولذلك ، إياك أن تدعو وفى بالك أن تُقضى حاجتك بالدعاء وكفى .

ولكن عليك بالدعاء لقصد إظهار الضراعة والذلة والخشوع والانكسار للعزيز الجبار ، قال تعالى ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾ [الفرقان : ٧٧] .

وإياك أن تفهم أنك تدعو الله سبحانه ليحقق لك مطالبك مهما كانت ، فإن هناك أقدارًا وضعها الله سبحانه لتحقيق مطالب العباد ، فهو سبحانه يعطى بقدر ، ويمنع بقدر .

وما عليك إلا أن تجعل حظك من الدعاء الخشوع والتذلل والضراعة له سبحانه ، لا إجابتك إلى ما تدعو إليه ، إنك دعوت لتطلب الخير ، فدع الحق سبحانه بقيوميته وعلمه يحقق لك الخير .

والحق سبحانه هو القائل : ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٦] .

إذن .. فمعرفتك ليست نهائية فى تقرير الخير والشر ، لذلك سلم أمرك إلى ربك فهو سبحانه أعلم بما ينفعك وبما يضرك .

فقد تلح فى دعاء لو استجيب لك لكان شراً ، والله سبحانه يعلم ما هو خير لك ، وهو سبحانه يجيب أحيانًا بعض خلقه فى أشياء كان الإنسان منهم يتمنى أن توجد ، ثم يكتشف الإنسان أنها لم تكن خيرًا .

وأحياناً يأتى لك بأشياء كنت تظن أنها شر لك ، فتجد فيها الخير ، وهكذا يصحح لك الحق سبحانه بحكمته تصرفاتك الاختيارية .

إن الحق سبحانه يعالج قضية الدعاء بالخير أوالدعاء بالشر ، لأن الإنسان قد يضيق ذرعاً بأمور تحيط بذاته أو بالمحيط به ، فإذا ضاق ذرعاً بأمور تحيط به فى ذاته من ألم كمرض مثلاً ، أو عاهة لا يقوى على الصبر عليها ، أو لا يقوى على تحملها ، فيقول : « يا رب أرحنى بالموت » .

إذن .. هو هنا يدعو على نفسه بالموت ، فلو أن الله سبحانه استجاب دعاءه لقُضيت المسألة .

وإذا كنت تقول : أنا أدعو بالخير ، والله سبحانه وتعالى لا يعطينى فخذ مقابلها ؛ أنك تدعو بالشر على نفسك ، ولا يجيبك الله . ثم ألا يضيق الأب أحياناً ذرعاً بمن حوله ، فيقول : فليأخذنى الله ، لأستريح من وجوهكم ؟

والدعاء هو تضرع وذلة وخشوع ، وإقرار منك بأنك عاجز ، وتطلب من ربك المدد والعون ، واستحضار عجزك أمام قدرة ربك يمثل لك استدامة اليقين الإيمانى .

وما جعل ربنا للناس حاجات إلا من أجل ذلك ؛ لأن الإنسان إذا ما رأى الأشياء تنفعل له ، ويبتكر ويخترع فقد يأخذه الغرور ، فيأتى له بحاجة تعز وتعجز فيها الأسباب ، فيقف يدعو .

فتجد من كان متكبراً وعنده صلف وغطرسة يذهب إلى رجل « غلبان » زاهد ليس عنده من الجاه والسلطان غير أنه طائع لربه عابد له قائم بأمره ، فيقول له : أستحلفك بالله أن تدعو لى لأنى فى أزمة . والذى يسأل « هذا الغلبان » الزاهد هو رجل عزيز فى قومه ، لكنه يظن أن « هذا الغلبان » الزاهد العابد أقرب إلى الله سبحانه منه .

والحق سبحانه وتعالى يطلب منا أن ندعوه ، فيقول : ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٥] .

ذلك لأنه سبحانه يعلم أننا سنواجه لحظات متعددة نعجز فيها عن أشياء ، فبدلاً من أن تظل مقهورًا بصفة العجز عن الشىء اذكر أن لك ربًا قويًا مقتدرًا يجبر ضعفك وعجزك .

وقلنا من قبل : من له أب لا يحمل همًا للحياة ، فإذا كان الذى له أب لا يحمل همًا لمطلوبات الحياة ، فمن له رب عليه أن يستحى ، ويعرف أن ربه سيوفر له الخير .

وقد يجعل الحق سبحانه مِنْ تأتى الأسباب وامتناعها عليك مغزى لتلتفت إلى الله سبحانه ، لكن التفاتك إلى الله سبحانه لا يصح أن يكون بغرض أن يقضى حاجتك ، بل اجعل أساس التفاتك لله سبحانه أن تظهر العجز أمامه ، والخضوع والخشوع ؛ ليعطيك ما لم يكن فى بالك حين تدعوه .

وليكن دعاؤك دعاء خفية بينك وبين ربك ، فلا ترفع صوتك بالدعاء ظنًا منك خطأ بأن ربك لن يسمعك ، وهذا خطأ فاحش فإن الله سبحانه سميع عليم ، يسمع كلامك ويعلمه حتى من قبل أن تقوله بلسانك ، والنبى ﷺ علمنا حين

كان فى غزوة غزاها ، فنزل أصحابه واديًا ، فلما نزلوا الوادى صاحوا بالتهليل والتكبير ، فقال ﷺ : « يا أيها الناس ، اربعوا على أنفسكم ، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا ، إنه معكم ، إنه سميع قريب ، تبارك اسمه ، وتعالى جده »[1] .

والدعاء لله سبحانه وتعالي خفية يبتعد بك عن الرياء ، وهو أستر لك فى مطلوباتك من ربك .

والدعاء بالخضوع والخشوع والتذلل يكسر فيك شهوة الكبرياء ، وشهوة الغطرسة ، وشهوة الجبروت .

ما دام الدعاء فى ذلة وخضوع ، فقد تكون أهلًا لما جاء عن رسول الله ﷺ حين قال : ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة . حين يمضى ثلث الليل الأول . فيقول : أنا الملك . أنا الملك . من ذا الذى يدعونى فأستجيب له ؟ من ذا الذى يسألنى فأعطيه ؟ من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له ؟ فلا يزال كذلك حتى يضىء الفجر[2] .

ولأن الإنسان مرتبط بمسائل يحبها ، فما دامت لم تأت فهو يقول دائماً : يا رب .

وعلى المؤمن كما قلنا من قبل ألا يجعل حظه من الدعاء أن يجاب ، إنما حظه من الدعاء ما قاله الحق : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾ [الفرقان : ٧٧] ، فمعنى الربوبية والمربوبية أن تقول دائمًا : « يا رب » .

والحق سبحانه وتعالى يضع شرطًا للاستجابة للدعاء ، وهو أن يستجيب العبد لله سبحانه وتعالى وذلك قوله تعالى : ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

إذن .. على المسلم ألا يشغل نفسه بالإجابة ، فقط عليه أن ينشغل بذكر الله وقراءة

(١) أخرجه البخارى [٢٩٩٢] عن أبى موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه .

(٢) أخرجه مسلم [١٦٩/٧٥٨] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه .

القرآن وعمل الصالحات ثم يترك الإجابة لمولاه جل جلاله ، وفى الحديث القدسى : « من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتى أعطيته أفضل ما أُعطى السائلين »[1] .

ومثال ذلك : سيدنا إبراهيم عليه السلام حين أُلقى فى النار ، قال له جبريل : ألك حاجة ؟

لم ينف أن له حاجة ، فلا يوجد استكبار على البلوى ، ولكنه قال لجبريل : أما إليك فلا .

صحيح أن له حاجة إنما ليست لجبريل ؛ لأنه يعلم جيدًا أن نجاته من النار المطبوعة على أن تحرق وقد أُلقى فيها ، هى عملية ليست لخلقٍ أن يتحكم فيها ، ولكنها قدرة لا يملكها إلا من خلق النار .

فقال لجبريل عليه السلام : « أما إليك فلا » .

لذلك جاء الأمر من الحق سبحانه للنار : ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء : ٦٩] .

ويقول الحق سبحانه يقول : ﴿ كٓهيعٓصٓ ۝ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝ ﴾ [مريم] .

الحق سبحانه وتعالى يعرض هذه القضية فى أن رحمة الله لعبده زكريا عليه السلام تتجلى فى أن الله سبحانه استجاب دعاء زكريا عليه السلام فى أن يعطيه ولدًا على كبر سنه .

والنداء : معناه لغة طلب إقبال ، ولكن إذا ناديت ربك ، أيصح أن تقول : إننى أطلب إقبال ربى ؟

هذا لا يصح ، لأن ربك أقرب إليك من حبل الوريد ، فلا يحتاج إلى النداء

(١) جزء من حديث رواه الترمذى [٢٩٢٦] عن أبى سعيد رضى الله تعالى عنه ، وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى [٢٣٣٥]

بمعناه المتعارف عليه عند الناس . فإذا أُطلقت كلمة « النداء » بالنسبة لله تعالى ، فالمراد بها الدعاء ؛ لأن ربك قريب منك ، ولا يحتاج إلى نداء .

ولذلك قال تعالى عن زكريا : ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾ .

فإياك أن تظن أن الله يحتاج إلى رفع الصوت لكى تسمعه ، فالسر والجهر عند الحق سواء .

قال تعالى : ﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الملك : ١٣] .

فالحق سبحانه سوَّى بين الجهر والسر فى معلومه ، فهو يعلم السر كما يعلم الجهر .

أما زكريا عليه السلام فقد دعا ربه دعاء خفيًا ، حتى لا يسمعه أبناء عمومته ومواليه ، فيغضبوا منه ، فهو لم يأمنهم على حمل منهجه من بعده ؛ لأن ظاهر حركتهم فى الحياة غير متسق مع المنهج ، فهم غير مأمونين ، وإذا كانوا غير مأمونين على أنفسهم فهم غير مأمونين على الناس .

فإذا دعا وقال : يا رب أعطنى ولدًا يرثنى ويرث النبوة ، فسيغضب هؤلاء الموالى ويقولون : إنه لا يأمنا ويعادونه ، فجعل الدعاء خفيًا حتى لا يشعر به أحد .

ونداء زكريا كان هو قوله : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ ﴾ [مريم] .

وأنت فى الدعاء إما أن تقول : يا الله . أو تقول : يا رب .

وأنت حين تقول « يا رب » فهذا أمر يتعلق ببنية حياتك ، ولكنك فى المنهج تقول : « يا الله » .

فهنا قال : ﴿ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى ﴾ . لأن الكلام فى صلاح بنيته ، لينجب ، وهذا أمر من أمور ربوبية الله سبحانه لخلقه ، وإن كانت العلة إلهية ؛ لأنه يريده ليحمل منهج الله سبحانه من بعده .

الصلاة .. أرجى أوقات قبول الدعاء

الوقوف فى الصلاة فى حضرة الحق سبحانه يعطى الإنسان القوة لتحمل الأمر الثقيل ، فما دام هناك ثقل فلا بد أن تزيد الطاعة .

ولذلك كان الرسول ﷺ « إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة »[1] .

لأن حزب الأمر معناه أن أسبابه ضاقت عنه ، وحين تضيق الأسباب لا بد من اللجوء إلى المسبب .

فإذا ضاقت بك الأسباب ، فلم تجد مخرجًا ولا طريقًا إلا أن تلجأ إلى الله ، فتوضأ وصل ركعتين غير الفريضة ، ثم ادع بما شئت ، فيفرج الله كربك .

والحق سبحانه يعطينا مثالاً من قصة زكريا عليه السلام ، حينما دعا ربه فقال : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [آل عمران : ٣٨] .

وحينئذ جاءه الفرج : ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [آل عمران : ٣٩] .

لقد نادته الملائكة وهو فى أعظم لقاءاته مع ربه ، أو هو حينما دعا ربه قد أخذ علمه الله للأنبياء إذا حزبهم أمر : قوموا إلى الصلاة .

إذَن .. فلنقف بين يدى الله سبحانه ، وليجربها كل منا ، عندما يصعب عليه أى شىء ، وتتأزم الأمور ، وتمتنع الأسباب ، فليقم ويتوضأ ، وليقف بين يدى الله خاشعًا خاضعًا مستسلمًا معلنًا عجزه واضطراره ، وليقل : إنه أمر يا رب عز علىَّ فى أسبابك .

---

(١) ذكره ابن حبان فى الثقات [١٢٧٩٢/١٦٨/٨] عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه . وعند أبى داود [١٣١٠] ، وأحمد فى المسند [٣٨٨/٥] ، وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود [١١٧١] عنه بلفظ : « كان النبى ﷺ إذا حزبه أمر صلى » .

وأنا أجزم بأن الإنسان ما إن يُسلِّم من هذه الصلاة ، إلا ويكون الفرج قد جاء وذلك إيمانًا وتصديقًا بفعل رسول الله ﷺ الذى كان كلما حزبه أمر صلى[1] .

فبدلاً من أن تتحير وتذهب إلى هذا أو ذاك ، وتذهب نفسك حسرات على ما فات ، اذهب إلى الله سبحانه من أقصر الطرق وهو : الصلاة ، واضرع إليه وألح عليه فى طلبك فإن الله يحب الملحين فى الدعاء[2] .

إذَن .. لماذا تتعب نفسك أيها العبد ، ولك رب قادر حكيم ؟

يقولون : إن من له أب لا يحمل همًا . ونقول : إن الذى له رب أولى بالاطمئنان ؟

إن زكريا عليه السلام قد دعا الله سبحانه فى الأمر الذى حزبه ، وبمجرد أن دعا ، قام إلى الصلاة ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي ﴾ .

إن الملائكة لم تنتظر إلى أن ينتهى من صلاته ، يقول تعالى : ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾ [آل عمران : ٣٩] .

ولذلك فإن رسول الله ﷺ يعلمنا أنه إذا أجهدنا أمر وأرهقنا أن لا نقصر رؤيتنا على جهدنا وحده ، ولكن لنلجأ إلى الله سبحانه ، فنهزم الأمر الذى يحزبنا ولا نقدر عليه .

إننا عندما نأخذ من سنة رسول الله ﷺ المثل والقدوة ، نعرف أن رسول الله ﷺ لم يكن يَحْزِبه أمر يتعلق بدنياه ،وإنما أمر يتعلق بمنهج الله سبحانه وبالدين .

لذلك يذهب رسول الله ﷺ إلى من يعطيه ، ويعطى أهل الإيمان كل الطاقة ، إنه يذهب إلى الصلاة ، ويعلن أن أسبابه قد انتهت ، ولم يعد يقوى على تحمل هذا الأمر الذى حزبه .

---

(١) الحديث السابق .

(٢) روى العقيلى من طريق عيسى بن يونس عن الأوزاعى قال : كان يقال : « أفضل الدعاء الإلحاح على الله تبارك وتعالى والتضرع إليه » .

إرواء الغليل [٦٧٧/١٤٣/٣] .

إذَن .. فحين تعز الأسباب على المؤمن فى أمرٍ ما ، بعد أن يكون قد أعطى كل جهده واستنفذ كل أسبابه ، فعلى المؤمن أن يقوم إلى الصلاة ويدعو الله ، فييسر الحق سبحانه هذا الأمر للمؤمن بالخير .

فالأسباب إنما هى يد الله الممدودة للإنسان فى الدنيا ، ولا يمكن للمؤمن أن يرفض يد الله . فإذا استنفد الأسباب كان أهلاً لأن يستجيب الله سبحانه له لقوله تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل : ٦٢] .

فحين يقف المؤمن بين يدى الله سبحانه ويصلى ، يمتلىء بالرضا والتوازن النفسى .

إذَن .. فساعة يأتينا أمر شديد ، لابد أن نتجه إلى الله عز وجل ، وأفضل مكان نلتجىء فيه إلى الله تعالى هو فى المسجد الذى هو بيته سبحانه [1] .

فقد كان ﷺ إذا كانت ليلة ريح شديدة ؛ كان مفزعه إلى المسجد حتى يسكن الريح ، وإذا حدث فى السماء حدث من خسوف شمس أو قمر ؛ كان مفزعه إلى الصلاة حتى ينجلى[2] .

ولكن بعض الذين يحترفون الجدل واللجاجة يقولون : ماذا سيفعل الله له ؟ دخل المسجد وخرج كما هو .

ونقول : هذا هو الظاهر من الأمر ، ولكنك لا تعرف ماذا حدث فى داخله ، أنت تتحدث عن العالم المادى الذى فيه العلاجات المادية ، ولكن الله سبحانه

(١) روى الطبرانى فى الكبير [١٠/١٦١/١٠٣٢٤] عن عبد الله قال ، قال رسول الله ﷺ : إن بيوت الله فى الأرض المساجد وإن حقًا على الله أن يكرم من زاره فيها .
ورواه [١٠/٢٦٢/١٠٦٠٨] عن ابن عباس موقوفًا بلفظ : إن المساجد بيوت الله فى الأرض تضىء لأهل السماء كما تضىء نجوم السماء لأهل الأرض » .
وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد [٢/٢٢] وقال : فيه عبد الله بن يعقوب الكرمانى وهو ضعيف .

(٢) رواه الطبرانى فى مسند الشاميين [١/٣٢٣/٥٦٨] عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه .

وتعالى يصلح ما فى داخل النفس دون أن تحس أنت ؛ فإن أنوار الله تدخل القلوب فتجعلها تطمئن . وتدخل النفوس ؛ فتجعلها تحس بالرضا والأمن .

أنت أيها الإنسان إذا أصابك أى شىء من هم أو كرب أو ظروف معيشة ، أو مرض ابن ، ما عليك إلا أن تتوضأ وتتوجه إلى خالقك بالصلاة ، والدعاء أن ليكشف عنك هذا الأمر .

فهو سبحانه الأقدر على ذلك من أى أحد ، فهو خالقك وواضع قانون صيانتك ، وهو الأقدر على إصلاح حالك .

والحق سبحانه يصلحنا بالغيب ، فلا تعرف ماذا فعل بك وأنت واقف أمامه تصلى ، لكنك تشعر بلا شك أن شيئًا فيك قد انصلح .

لذلك كان ﷺ يقول لبلال : « يا بلال أرحنا بالصلاة »[1] .

ذلك أن هناك من يقول لك : إن الصلاة تكون على كتفى مثل الجبل ، فإذا صليت أرتاح .

نقول له : أنت ترتاح بها ، ولا ترتاح منها ؛ لأنك وقفت بين يدى الله سبحانه ، وما دام الإنسان واقفًا أمام ربه فكل أمر شاق يصبح سهلاً .

ولذلك يقول أحد العابدين : أنا لا أواجه الله سبحانه بعبوديتى ، ولكن أواجهه بربوبيته فأرتاح ؛ لأنه ربى ورب العالمين .

فالمؤمن ترتاح نفسه عندما يؤدى الصلاة ، لأنه عَشَقَ الطاعة بحيث لم يعد يجد فيها مشقة أو تكليفًا ، لذلك تجد المؤمن خائفًا ، وكأنه قد فهم أنه لا بد أن توجد مشقة .

ولمثل هذا الإنسان الصالح نقول : لقد هانت عليك مشقة التكليف ؛ فأصبحت لا تجد فيه ما يؤرقك ولا يتعبك لأنك عشقته ، فألفت العبادة ، وحدث الانجذاب بينك وبين الطاعة .

(١) رواه أحمد فى المسند [٥/٣٦٤] عن رجل من أسلم .

إذن .. فعشق التكليف يدل على أنك ذقت حلاوة الطاعة ، وقد يكون شاق عليك ؛ لأنه يخرجك عما ألفت من الاعتياد . فعندما يأتيك أمر فيه مشقة تقول : إن هذه المشقة يريد الله سبحانه بها لى حُسن الجزاء . فإذا ما عشقت الصلاة صارت حبًا لك ، فيخفف الله سبحانه عليك أمور التكليف الأخرى ، ويجعلك محبًا لها .

لأن التكليف ينتقل من التعة إلى الراحة ، ويتمتع الإنسان فيها بتجليات ربه وفيوضاته ، فترتاح نفسه وتهدأ .

○○○

الفهـــرس

الموضـــوع	الصفحة
مقدمة	٣
فرضية الصلاة	٥
هى .. خمس والثواب على خمسين	٢٢
صلاة القانتين .. ودوام الولاء لله	٢٧
صلاة الخاشعين .. والاستعانة بالصبر والصلاة	٣١
الصلاة .. الركن الفارق بين الإسلام والكفر	٤٥
الصلاة .. وتكفير الذنوب	٤٨
الصلاة تفرج الهموم	٥٤
الصلاة الوسطى	٦٣
صلاة الجمعة	٧٢
من أحكام صلاة الجمعة وخطبتها والقراءة فيها	٨٥
التغليظ فى ترك الجمعة	٨٨
فضل يوم الجمعة	٩٠
صلاة العيد وأحكامُها	٩١
صلاة التطوع	٩٧
صلاة الكسوف	١٠٢
صلاة الاستسقاء	١٠٤
صلاة الجماعة والإمامة	١٠٧
صلاة المسافر والمريض	١١١
صلاة الحرب والخوف وقصر الصلاة	١١٣

الموضـــوع	الصفحة
مواقيت الصلاة والمحافظة عليها	١١٧
الأوقات التى نُهى عن الصلاة فيها	١١٩
الرخصة فى الصلاة بعد العصر وقبل الغروب وقبل المغرب	١٢١
الصلاة فى الكعبة فى أى وقت شاء	١٢٢
فضل الصلاة لوقتها	١٢٤
فضل الصلوات	١٢٨
الكسل عن الصلاة من علامات النفاق	١٣٦
صفة صلاة النبى ﷺ من التكبير حتى التسليم كأنك تراها	١٣٩
شرف العبودية لله تعالى	١٥٤
قيام الليل .. ومقام الإحسان	١٥٩
قيام الليل .. من صفات عباد الرحمن	١٦٦
الخشوع .. يزيل الكبر من القلب	١٧٠
اسألوا الله من فضله	١٧٥
الصلاة .. أرجى أوقات قبول الدعاء	١٨٦
الفهـــرس	١٩١

مطابع الشرطة للطباعة والنشر والتوزيع